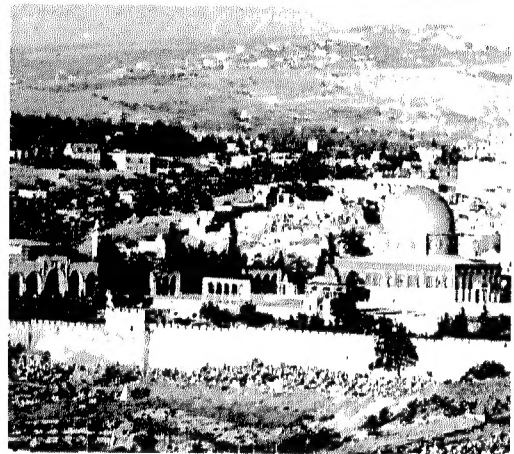


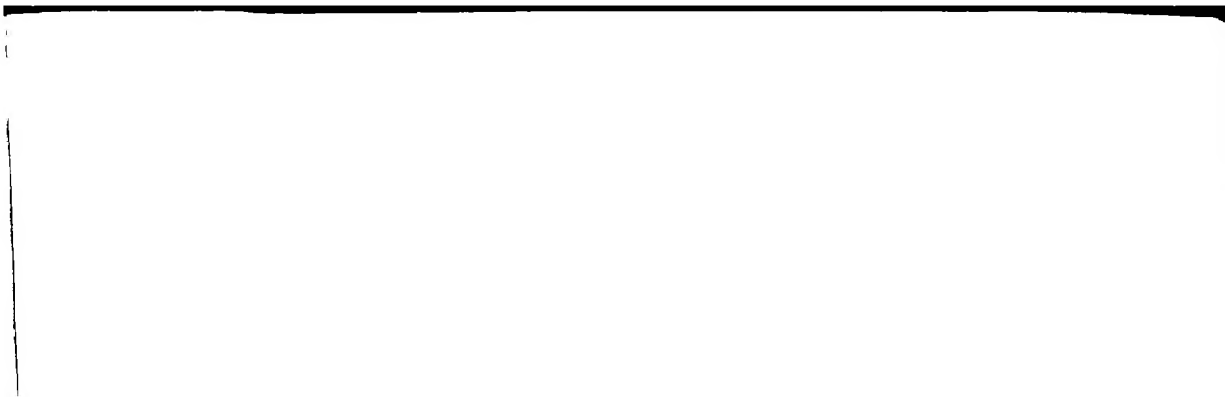
الدكتور سيد فرج راش

الغطاس

عربية إسلامية



دار المريخ للنشر



الفطحي

عَرَبِيَّةٌ إِسْلَامِيَّةٌ

٥٠٨٤٤

الدكتور

سيد فرج راشد

أستاذ اللغات السامية المساعد
جامعة الملك سعود . كلية الآداب

956.74.4

2

١٠٠

٨٤



المكتبة الوطنية والبيانات

دار المريخ للنشر



© دار المريخ للنشر ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م، الرياض، المملكة العربية السعودية

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار المريخ للنشر - الرياض

المملكة العربية السعودية - ص.ب. ١٠٧٢٠ - تلکس ٢٠٣١٢٩

لا يجوز استساح أو طباعة أو تصوير أي جزء من هذا الكتاب

أو احتراؤه بأية وسيلة إلا بإذن مسبق من الناشر.

أشرف على إخراج وتصميم وطباعة هذا الكتاب

شركة الديار - ميلانو - إيطاليا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ
مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي
عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝
مصدق الله العظيم

1

956.4442

٩٥٦٤٤٤٢

٩١٥



مسقط رأس أبي الحرم الشريف محمد وموقعه داخل مدينة القدس



فهرس الموضوعات

٧	تقديم بقلم أ. د. عبد الرحمن الطيب الانصاري
١١	مقدمة بقلم أ. د. حسن ظاظا
١٥	فأحة المؤلف
٢٥	تمهيد
٢٧	أولاً : أسماء المدينة في مختلف أدوارها
٢٨	ثانياً : جغرافية القدس
	ثالثاً : المقدسات الاسلامية في القدس (العهد العصرية
	المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة ، صلة العرب
٣٢	القديمة جداً بفلسطين)
	الفصل الاول
٤٥	تاريخ القدس قبل الوجود اليهودي الطارىء
	الفصل الثاني
٥٣	مرحلة التعايش السلمي بين الفلسطينيين الأصليين وداود
٥٣	- استيلاء داود على جبل صهيون والاستعداد لبناء الهيكل
٥٦	- موت سليمان والتعنت اليهودي
	الفصل الثالث
٦١	موجز لتاريخ القدس منذ انقسام مملكة بن اسرائيل بعد سليمان
٦١	- انقسام وانتشار الوثنية بين اليهود
٦٦	- ششلق وغزو فلسطين
٧٣	- يقظة الفلسطينيين وضعف الكيان اليهودي
٧٥	- سياسة سنحاريب مع الفلسطينيين الأصليين
	الفصل الرابع
٨١	تدمير بختنصر للقدس والمعبد اليهودي
٨١	- تدمير بختنصر للقدس (٥٨٧ ق . م)
٨٥	- نحميا والعودة من السبي البابلي
٨٨	- المعبد السامري على جزيزيم وبداية الصراع بين الطوائف اليهودية

الفصل الخامس

- ٩٥..... الصراع الديني بين الهيكل في القدس والمعبد الاسرائيلي في الشمال
٩٥..... - الديانة الكنعانية وتأثيرها على الطقوس اليهودية
٩٩..... - الاختلافات الرئيسية بين المعبد الجنوبي والمعبد الشمالي

الفصل السادس

- ١٠٥..... القدس في العصرين اليوناني والروماني
١٠٥..... - القدس في العصر اليوناني
١٠٦..... ● الاسكندر وفلسطين
١١١..... ● الفصائل المتأغرة والخروج على الشريعة اليهودية
١١٢..... ● تسرب الحضارة الهيلينية الى المجتمع اليهودي
١١٨..... - القدس في العصر الروماني
١١٨..... ● جابينوس وتفتيت الكيان اليهودي
١١٩..... ● هيرودس والهيكل الثاني
١٢٤..... ● الخراب الثاني للقدس
١٢٦..... ● ايليا كاييتولينا

الفصل السابع

- ١٣١..... يهود الاندلس والحنين الى القدس
١٣١..... - أثر الحضارة الاسلامية على الفكر اليهودي
١٣٧..... - الشعر العربي الوسيط
١٣٨..... - سليمان بن جبيرول وبعض نماذج من أشعاره
١٤٠..... - يهوذا اللاوي وبعض نماذج من أشعاره
١٤٢..... - اسحاق بن غياث وبعض نماذج من أشعاره
١٤٣..... - موسى بن عزرا وتأثره بالأدب العربي
١٤٣..... - يهوذا الحريزي وبعض نماذج من أدبه

الفصل الثامن

- ١٥١..... صلاح الدين واسترداد بيت المقدس من الصليبيين
١٥١..... - فلسطين بين الحروب الصليبية
١٥٥..... - موقعة حطين نقطة تحول لاسترداد القدس

١٦٠	- القدس في عهد المماليك
١٦١	- القدس في العصر العثماني
	الفصل التاسع
١٦٧	وعد بلفوز وقيام اسرائيل
١٦٧	- هرتسل والصهيونية السياسية
١٧٠	- وعد بلفور
١٧٣	- قرار التقسيم
١٧٤	- تقييم للوجود اليهودي في فلسطين :
١٧٤	أولاً/ الروابط الروحية والدينية
١٧٥	ثانياً/ الحقوق التاريخية
١٧٩	خاتمة
١٨٣	المصادر والمراجع
١٨٥	أولاً/ المراجع العربية
١٨٨	ثانياً/ المراجع العبرية
١٩٠	ثالثاً/ المخطوطات
١٩٠	رابعاً/ المراجع الأجنبية
١٩٤	المختصرات
١٩٥	فهرست



تقديم

مدينة القدس مدينة يرتبط بها أتباع الأديان السماوية ، فإليها هاجر ابراهيم أبو الأنبياء عليه السلام وقصدها موسى عليه السلام من مصر في رحلة دامت أكثر من أربعين عاماً ولكن لم تنعم عيناه برؤيتها ، ثم داود وسليمان وبقية الأنبياء ثم عيسى عليهم السلام أجمعين مبشرين بمحمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والرسول إلى المسجد الأقصى ليخرج به السماوات حتى سدة المنتهى . ولذلك فإن ارتباط أتباع اليهودية والنصرانية والاسلام بالقدس ارتباطاً روحياً مقدس . واستمرت القدس مدينة السلام على مر العصور ومن قبل كانت ولا تزال مدينة عربية منذ فجر التاريخ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لأن اسمها القديم كان اسماً عربياً ولكن اليهود لم يعرفوا هذه القدسية للقدس لأن القدس مدينة التوحيد والتوحيد يعني الاسلام منذ ابراهيم (وما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين) . هذه جمل أذكرها في بداية حديثي عن عمل علمي جليل هو كتاب « القدس . . مدينة عربية اسلامية » للدكتور سيد فرج راشد أستاذ اللغات السامية بقسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود . ولا أريد أن أتحدث عن علم الدكتور سيد فهو عالم له نشاط علمي متميز في مجال الدراسات العربية على وجه الخصوص ، ونشرت له عدة أبحاث تتناول ثقافة العبرانيين وتاريخهم ، وهذا الكتاب يتناول في تسعة فصول عدا المقدمة ، قصة القدس وفي المقدمة يتناول أسماء القدس منذ عصر سكانها الأصليين البابليين وهم عرب في الألف الثالث قبل الميلاد ، وفي العصر الاسلامي ثم يدرس جغرافيتها بتفصيل مناسب ويعرج بعد ذلك على المقدسات الاسلامية فيها ، ومن خلال دراسته للمقدسات الاسلامية يذكر العهد العمرية وأهميتها لسكان القدس أو إيلياء عند تحرير المسلمين لها ، كما يتحدث عن المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة . ويتضح هنا أن هناك فرقاً بين المسجد الأقصى وقبة الصخرة يجمله كثير من المسلمين في العصر الحاضر ، فكثير هم أولئك الذين يعتقدون أن المسجد الأقصى وقبة الصخرة شيء واحد ويرجع ذلك إلى جهل المسلمين بتاريخهم وحضارتهم ، وذلك تقصير إعلامي يجب أن نتنبه إليه وواجب الأكاديميين المسلمين أن يقوموا بواجبهم تجاه شعوبهم الاسلامية بالتعاون مع وسائل الاعلام المختلفة ، وهذا الكتاب إنما جاء لسد هذه الثغرة .

ومما يجب أن نلاحظه في هذا الكتاب القيم هو أنه اتخذ خطأ واضحاً وهو عروبة القدس ، وهو في سبيل برهنته على هذه الحقيقة في وجه الصهيونية العارمة يعتمد على البراهين الواضحات ، فيبدأ في الفصل الأول بالحديث عن تاريخ القدس قبل الوجود اليهودي الطاريء ، ثم ينتقل إلى الفصل الثاني متحدثاً عن مرحلة التعايش السلمي بين الفلسطينيين الأصليين وداود عليه السلام واستيلائه على القدس وبناء الهيكل حتى موت سليمان عليه السلام والذي كان موته بداية لانقسام بني إسرائيل .

ورغم أن اليهود التصقوا بفلسطين عامة وبالقدس خاصة إلا أن هذا الالتصاق لم يكن تاماً ، لأن سكوتهم وانقساماتهم الدينية والعرقية والسياسية لم ترح الشعوب التي حاولوا أن يعيشوا بينها ، لأنهم كانوا جسماً غريباً لم يستطع الاندماج مع الشعوب الأصلية في المنطقة ، ولذا حاربتهم شعوب المنطقة الضعيفة منها والقوية ، كما أن انبهارهم بحضارة الشعوب القديمة لم يمكنهم من الالتزام بمبادئ التوحيد التي أتى بها أنبيأؤهم ، فتأثروا بوثنية هذه الأقوام فكانوا بذلك متأرجحين بين الوثنية والتوحيد . وهذه صفة الغريب في كل عصر يتقلب بين تراثه وتراث الأمم التي يعيش بينها فهو من جهة يشعر بقوة تراث هذه الأمم ، ومن جهة أخرى يشعر أن تراثه ومعتقداته لا تساعده على الانصهار ، ولذا كان موقفهم من أنبيائهم غير مشرف والقرآن الكريم خير شاهد على مواقفهم من أنبيائهم ، كما أن التوراة خير شاهد على سلوكهم الدموي مع جيرانهم ، فهو سلوك دموي للدفاع عن النفس ينبع من شعورهم الكاذب بالاستعلاء . وهذا الشعور عاش معهم في كل مجتمع يعيشون فيه في أوروبا وأمريكا حتى الوقت الحاضر وفي البلاد العربية قبل نشأة الكيان الصهيوني . هذا الموقف العدائي لليهود جعلهم عرضة لحملة متعاقبة منذ ملوك آشور وحتى دخول الاسكندر إلى المنطقة ، وقد استطاع المؤلف أن يعرض هذه النكبات في أسلوب علمي مبسط ومقنع مبيناً من خلال ذلك الصراع الديني بين اليهود وبين السكان الأصليين والمحاولات اليائسة لبناء المعبد كرمز لكيانهم الديني ومن ثم السياسي .

ولم يكن دخول اليونان ثم الرومان بأرحم بهم من الدول العظمى السابقة في المنطقة ، بل شهدنا المحاولات اليهودية للبقاء كقوة لها دورها في المنطقة ، إلا أن سلوكهم كان عاملاً مساعداً على قلقهم وعدم استقرارهم ، وكانت القدس هي قطب الرحى في الصراع الذي يفتعله اليهود وهم الأقلية ، فكم من مرة هدمت القدس وكم من مرة هدم الهيكل حتى قدر لليهود أن ينتهوا من المنطقة في القرون الأولى للميلاد ويتشروا في المنطقة يحملون بين جوانحهم الحقد والكراهية لهذه الشعوب ، فذهبوا إلى اليمن ونجران فكانوا وراء حدث جليل سجله القرآن الكريم ، إذ كانوا وراء حادث الأخدود الذي ذهب ضحيته آلاف من

النصارى في نجران ، وكانوا وراء الصراع بين البيزنطيين والفرس في اليمن وغزق اليمن بسببهم ، وعند ظهور الاسلام كانوا الشوكة المؤلة في جنب الدعوة الاسلامية في المدينة المنورة عاصمة الاسلام الأولى حين أخرجهم النبي ﷺ منها ، ثم أخرجهم عمر بن الخطاب من بقية أنحاء الجزيرة العربية .

ومع ذلك فقد وجدوا في الحواضر الاسلامية منتجعاً سليماً يارسون فيه عقيدتهم كعنصر من عناصر أهل الذمة ولكنهم مع ذلك كانوا يظهرون حقدهم وصهيونيتهم من خلال أدهم وفكرهم ، ولعل أبرز مثل على ذلك نشاطهم في الأندلس . وقد وفق المؤلف في الفصل السابع في أن يقدم نماذج من هذه الصور القائمة عن فكرهم وتصوراتهم لما يجب أن يكون عليه وضعهم بين الأمم ، لأنهم كما يعتقدون أنهم شعب الله المختار فمن الأندلس ظهر فكرهم الصهيوني ويعتبر شعرهم أوضح مثال على ذلك .

وقد كان ظهور الاسلام فترة مشرقة أصبحت فيها القدس كما كانت مدينة عربية خالصة تحفها روحانية الاسلام الذي أعاد لها هيبتها ورونقها وقديستها ، وأصبحت بذلك المدينة التي تفتح ذراعيها لكل متعبد . واستمرت لها نصارتها ونقاؤها حتى أواخر العهد العثماني .

ولكن يهود أوروبا ومنذ عصر نابليون يعدون العدة لإنشاء كيان جديد لهم وكانت جمعياتهم وبيعهم مجالاً خصباً لأفكارهم التي ربطوها بجبل في القدس سموه خطأ جبل صهيون وسموا حركتهم بالحركة الصهيونية ، وبمنطقة فلسطين التي أسموها أرض الميعاد لكي تجدد صدى في قلب كل يهودي على وجه الأرض ، فبدأوا يدغدغون عواطف اليهود في العالم ويجمعون قطرات حقدهم الأسود ليصبوه على الأبرياء من سكان فلسطين ، وتجمعت الأحداث العالمية في الحربين العالميتين الأولى والثانية لتهميهم لهم أسباب التجمع مستعملين في ذلك كل أسباب المكر والحيل والدهاء ، وساعدتهم أحداث في أوروبا استغلوها لمصلحتهم فتحقق لهم ما أرادوا في غفلة من الزمن كان المسلمون فيه في حالة ضعف بعد أن مزقهم الاستعمار شرمزق ، وكان لهم ما أملوه فأنشأوا كياناً بنوه على الدماء والفتك والدمار وأعادوا الكرة مرة أخرى ، فهم يعيشون اليوم في أرض تكرهمهم وبين شعب عربي مسلم يمقتهم لأنهم لم يرعوا فيه إلا ولا ذمة ، ولأنه أتاح لهم فرصة الحياة الثرية من المحيط إلى الخليج ولكنهم قابلوا كل ذلك بالاساءة . لعل لا أكون مغالياً إذا قلت إن التاريخ سيعيد نفسه وسيجد اليهود أنفسهم في مستقبل الأيام في وضع لا يحسدون عليه ، فإن الشقاق الذي نعيش فيه سينقلب بإذن الله إلى وحدة اسلامية شاملة لا يجدون لهم فيها مقاماً .

هذا الكتاب الذي أقدمه يقدم كل هذا الصراع الدامي ممثلاً في القدس الشريف ،
وَأَرْجُو أَنْ يَسْتَمْتَعَ الْقَارِئُ بِمَا اسْتَمْتَعْتُ بِهِ لِأَنَّهُ يَقْدَمُ أَفْكَارُهُ وَيَعْرِضُهَا بِالْبَرْهَانِ وَالْحُجَّةِ
مُتَقْنِئاً بِمَصَادِرٍ عَرَبِيَّةٍ وَأَجْنِبِيَّةٍ بَلْ وَعِبْرِيَّةٍ . وَلَعَلَّ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ مَا يُوَضِّحُ لَنَا
الصُّورَةَ وَيَكْشِفُ لَنَا الْغَمَّةَ وَيَجْعَلُنَا أَنْوَرَّ عَلَى فَهْمِ خَلْفِيَّةِ عَدَوْنَا الَّذِي يَحَارِبُنَا بِدَعَاوَى مِنَ
الدِّينِ وَالتَّارِيخِ وَمَنْ لَا حُجَاةَ عَلَيْهِ لَا حُجَّةَ لَهُ .

د . عبد الرحمن بن محمد الطيب الانصاري
أستاذ آثار الجزيرة العربية وتاريخها قبل الاسلام
جامعة الملك سعود - كلية الآداب

مقدمة

في هذا الكتاب الذي يضعه مؤلفه الدكتور سيد فرج راشد بين أيدي القراء أمور كثيرة ربما حال تواضعه المعروف دون التصريح بها أو لعله تركها ترسب في ذهن قارئ الكتاب شيئاً فشيئاً أثناء مسيرته لتاريخ هذه المدينة عبر العصور . ولما كانت مدينة القدس في مجال السياسة الدولية المعاصرة قد أصبحت ورقة تلعب بها الصهيونية على جميع الأشكال ، فإن هذا العالم العربي الذي تقع فيه المدينة المقدسة موقع القلب من الجسد ، لابد أن يعرف تفاصيل المشوار الطويل الذي قطعه علواً وسفلاً حتى يتبين أن هذه الصهيونية المغتصبة ليست إلا دوراً صغيراً جداً من الأدوار لا يكاد يختلف عن سيطرة الصليبيين على هذه المدينة في العصور الوسطى .

ولو أننا تنازلنا للحظة عن النظر إلى القدس من خلال انتسائنا الديني والقومي والاقليمي ، لتبين لنا أن الانسانية في بداية التاريخ لم تكن تبني المدن بالصدفة أو تبعاً للهوى ، فكل مدينة قديمة قد بدأت حياتها مدينة مقدسة : طيبة ومفيس في مصر ، بابل ونيوى في العراق ، شيراز في ايران ، بنارس في الهند ، شنغهاي في الصين ، نارا في اليابان ، لهاسا في التبت ، فضلاً عن أثينا وروما وبلبك في منطقة البحر الأبيض المتوسط ، ويبدو أن الموقع الجغرافي هو الذي كان يحدد قدسية المكان وجدارته بأن تقوم فيه مدينة « بها معبد » وهيكل للحج ، وكان يشترط في الموقع الجغرافي لمثل هذه المدن أن يكون مما يسهل الدفاع عنه عند العدوان ، وكذلك أن يوجد المكان بجوار مصدر من مصادر الماء كالأنهار والبحيرات والينابيع ، وأخيراً يتحتم ارتباط المكان المقدر لهذه القدسية طرق تجلب اليه المؤمنين من كل فج عميق . والقدس في هذا لا تشبه طيبة أو بنارس بقدر ما تشبه مكة المكرمة ، فالموقع حصين في المدينتين بما يحيط بهما من جبال أما مصدر الماء فإنه الينابيع التي تغذيها الشعاب المنحدرة من تلك الجبال بماء المطر ، وأما الطرق فإنها في الحالتين ليست طرق حج فحسب ، وإنما هي مسالك دولية للسفر والتجارة والانتقال العسكري .

كل هذا أوضحه الأستاذ الباحث في أماكنه من هذا الكتاب ، وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد حمى مكة من الاحتلال الأجنبي ودفع عنها غائلة الغزاة ، فإن قدر مدينة القدس لم يكن كذلك لوقوعها في صميم مفترق الطرق بين القارات الثلاث التي تشكل العالم القديم وهي آسيا وأوروبا وإفريقيا ، فإذا أوغلنا في أعماق التاريخ وفيما قبل التاريخ وجدنا

القدس بأسمائها المختلفة في مكانها شاهداً على مسيرة موكب الزمن ، فهي ييوس وشالم وأورشليم وإيليا كاييتولينا ثم إيلياء فقط في العصر المسيحي بعد أن ذالت دولة أصرام الكاييتول ثم بيت المقدس وأخيراً القدس الشريف ، وأكاد استحضر صورة هذه المدينة في الذاكرة بعد السنوات التي عشتها بها وأتذكر هضبة الحرم في وسطها تتوجها قبة الصخرة وأمامها الساحة المكشوفة التي يغطيها بلاط حجري كبير بعضه ينفتح عن آبار مملوءة بالماء العذب الصافي ، وأكاد أرى الجبال التي تحتضنها من الشمال (المكبر وسكوبوس) ومن الشرق (جبل الزيتون الذي يفصله عن ساحة الحرم وادي يهو شافاط) ثم في الجنوب (نبع سلوان ووادي الجن والقيامة من ورائها جبال الصحراء الممتدة حتى النقب) ، بينما يبدأ السهل الساحلي لفلسطين من الجهة الغربية للمدينة حيث يأخذ طريق يافا اتجاهه نحو المدينة الساحلية الكبيرة مخترقاً من حين إلى حين جبالاً أخرى ومرتفعات كأنها أصداء لجبال القدس ، مثل جبال منطقة أبي غوسن وباب الواد وحطين وراملة وغيرها . وأكاد أرى في الحرم الاسلامي مسجد عمر الذي جدّه صلاح الدين الأيوبي بعد ردّ الغزاة الصليبيين عن المدينة . كما أرى كنيسة القيامة بجوار الحرم الاسلامي على مقربة من حائط المبكى اليهودي حيث تشهد الأحجار نفسها أن السلام من صنع الله وأن العدوان من صنع الانسان .

سنقرأ في هذا البحث الدقيق الذي يقدمه لنا المؤلف كيف كانت هذه المدينة متجهة إلى (الله العلي) تحت حكم ملك ومرشد ديني في آن واحد من أبناء فلسطين الأصليين ، هو ملكي صادق وترجمة اسمه للعربية « العادل هو ملكي » رغم أنف ما ارتكبه اليهود قديماً وحديثاً داخل أسوار هذه المدينة من ظلم وجور وتحدي لهذا العادل الذي دان له أول ملك فلسطيني في هذه البقعة عرفه التاريخ وذكره رواة التوراة أنفسهم ، وسنعرف أن سيدنا ابراهيم عندما مرّ بمدينة شالم عائداً من بعض وقائعته الحربية صلى الجماعة مع ملكي صادق لله العلي ، كل هذا قبل أن يُخلّق اليهود بزمان طويل . وسنعرف بعد ذلك أن الله سبحانه وتعالى يزجر العصاة ويدفع ببعضهم ضد البعض الآخر ، ليكون ذلك انتقاماً منه أحياناً من الطرفين المعتدين ، لأنه هو (العادل الذي عبده ملكي صادق) فليس عجباً أن نجد موسى وهارون يقضيان نحبهما دون أن تطأ أقدامهما أرض فلسطين فضلاً عن القدس ، ثم يدور الزمن دورته فيسير داود وسليمان نحو المدينة المقدسة بأمر الله بعد أن كفر أصحابها وعبدوا أصناماً مثل بعل وعشتروت وأشيرا وغيرها ، ثم يكفر اليهود بدورهم بشريعة موسى وأخلاقياته وينسون جهاد داود وحكمة سليمان ، فيرسل هذا العادل عليهم بُخْتَنَصْرَ وتتوالى الحوادث متلاحقة إلى أن تهتز قوانين العدل كلها في العصر الحديث في

أغلب جهات العالم ، وتقوم الدولتان الأعظم ومن قبلهما الامبراطورية البريطانية التي لاتغرب عنها الشمس ، فتحل عبادة المال محل عبادة الله في وقت كان اليهود على مدى قرون الشتات قد استطاعوا أن يمسكوا بأزمة المال ، بحيث راحت هذه الأمم العظيمة تجشوا على الركبتين أمام أثرياء اليهود من أمثال روتشيلد وهيرش ومونتوفوري وغيرهم ، ولمح المغامرون من اليهود هذه الظاهرة منذ أواسط القرن التاسع عشر فاندفعوا يستغلونها وجمعهم بالأمم الغربية عدااء دفين للإسلام منذ جولات الحروب الصليبية ورغبة ملححة في تدمير آخر خلافة اسلامية وهي الخلافة العثمانية ، وكان لابد من شعار ، وهكذا رفعت اليهودية الانتهازية شعار صهيون قلعة داود القديمة التي لم يعد لها وجود ، بل لم يعد للجبل نفسه وجود بعد أن ردم الجرف الفاصل بينه وبين غرب هضبة بيت المقدس ، فسوّى بالأرض وعاد (جبل صهيون) اسماً على غير مسمى ، لكن قامت الصهيونية مُسماً على غير اسم ولوّحت بشعار أوّشليم - القدس ، ونبشت في صميم الحضارة العربية عن شعراء وأدباء في الأندلس كانوا يحنون إلى أداء الحج في هذه البقعة كما يحن المسلم إلى الحرمين ، فتأولوا ذلك على عادتهم وادعوا أن الصهيونية تجري في ثنايا العقل الباطن اليهودي ليس منذ الأندلس الاسلامية فحسب ، بل قبل أن يخلق الله آدم وحواء بل قبل أن يخلق الكرة الأرضية نفسها ، فزعم التلمود أن الله - تعالى عن ذلك علواً كبيراً - قد نزع فصاً من الزمرد من عرشه وطوّح به في الفضاء فكانت منه القدس ، ثم إن هذه الزمردة راحت تتحرك وتدور فخلقت الأرض من حولها فكل ما اقترب من القدس فهو مبارك على قدر قربه منها ، وكل ما ابتعد عنها فقد ابتعدت عنه البركة . ولا أدري ماذا يقول في ذلك سكان طوكيو أو سان فرانسيسكو أو سيدني أو بونس ايرس ، لكن الخرافات اليهودية لا تعرف حدوداً تقف عندها ولها تكتيك في غزو العقل البشري يتغير ويتطور بحسب قابلية هذا العقل ، وكم شكّا علماء المسلمين الأول من تسرب الخرافات الاسرائيلية إلى الدين الاسلامي ، أما المسيحية فيكفي أن نروي منها ما جاء في رسالة من رسائل القديس بولس في العهد القديم حيث يحذر تلميذاً من تلاميذه (من خرافات اليهود) ويأمره أن يتجنبها في مواعظه وفي تبشيره للكفار بديانة المسيح .

إن تاريخ هذه المدينة هو تاريخ حضارة تخطو من الطفولة إلى الشباب والنضج ثم الكهولة والشيخوخة جامعة في ذلك بين الحرب والسياسة والأدب والدين والبطولة والصمود على النحو الذي حرص على أن يرصده لنا الدكتور سيد فرج في هذه الصفحات العلمية الممتعة .

بقلم الأستاذ الدكتور / حسن ظاظا
أستاذ العلوم اللغوية



بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة المؤلف

لم يستطع بنو اسرائيل أن يتخلصوا من دائهم القديم ، وهو التعصب العنصري الذي لم يكتف بالقول بامتياز قومهم على غيرهم من الأمم بالايمان بالله وتوحيده ، بل قلبوا هذا إلى أحقاد يغذونها باستمرار ضد الأمم الأخرى مدعين أنهم يتربعون على القمة في ترتيب شعوب الأرض ، وأن هذه المكانة كانت بتدبير إلهي ، ومن هنا سمّوا أنفسهم « شعب الله المختار » ، وكان ذلك منطلقاً لتفرقة عنصرية رهيبة حتى أمام القانون ، فمن ليس من بني اسرائيل لانتميه الشريعة الاسرائيلية ولا تجازي المعتدي عليه من اليهود ، كما أنهم وصلوا في ذلك إلى أن اليهودي بالنسب والعرق يظل هكذا حتى لو أُلحد أو ارتد ، بينما المتهمون يظل مفصولاً عن الشعب المختار مهما بلغ به الايمان وامثال الشريعة . وهذا وحده دليل على ماكان من انحرافهم عن تعاليم موسى الذي أرسل بتكليف إلهي ، لكي يهدم عبادة الأصنام وعبادة الانسان للانسان ولكي يجعل العدل أساساً للتعامل بين الناس كافة ولهذا ثار على فرعون .

وعلى ذلك فهذه الشريعة الموسوية الاصلاحية التي ثارت على التمييز الطبقي والعنصري ، لايمكن أن تكون هي عصب العنصرية كما يتصورها اليهود فيما نسبوه إلى موسى ، ولأن الحكمة الالهية أرادت أن يفهم هؤلاء الناس أن عرض الدنيا ليس هو المقصود عند اتخاذ الطريق إلى الله ، فإنه أمات موسى وهارون بعيداً عن أرض فلسطين ، والكيانات السياسية المتعاقبة التي قامت في تلك الأرض من بعده لم تكن إلاّ حركات سياسية ضحّوا فيها بكل شيء حتى بالايمان وبالشرعية .

ومن هنا كان بقاؤهم السياسي في تلك الأرض مهتزاً دائماً وعرضة للتدمير ، شهد بذلك أنبياءهم وهم يخطبون فيهم داخل فلسطين ، فنبههم إشعيا يذكرهم بأن تصدع كيانهم في تلك الأرض وتسلّط من لايرحمهم ولا يخاف الله فيهم ، إنما هو جزاء عادل لما ارتكبوه من موبقات وآثام ، وكان بهذا يبشر بزوال الكيان الشمالي لبني اسرائيل من فلسطين والذي يسميه المؤرخون « مملكة اسرائيل » أو « مملكة السامرة » ، كما كرر نفس الخواطر نبينهم إرميا بجانب جدران المعبد في القدس ، وهو يأمرهم بالاستسلام لبخون نصر « بختنصر » الكلداني لأنه جزاء عادل من الله حل بهم ، وأنهم إذا رفضوا عقوبة الله فإنها ستضاعف وسيكثر فيهم القتل والتشريد والتدمير فعصوا نبينهم وأرسلوا وراءه من يقتله

بعد وقوع الكارثة .

كل هذا يكاد يمر عليه كثير من المؤرخين ببرود الباحث السطحي ، فيكتفون بالاشارة إلى أن هذا الوجود السياسي الاسرائيلي القديم قد ذهب مع الريح شمالاً في القرن السابع قبل الميلاد (٧٢٢ ق . م على يد الامبراطور الأشوري سرجون الثاني) ، وجنوباً بعد ذلك بقرن ونصف من الزمان (٥٨٧ ق . م على يد الامبراطور الكلداني بختنصر) ، دون الاشارة إلى أن الذي يقيم حكماً دينياً بأمر الله تسقط شرعيته في هذا الحكم بمجرد عصيانه لأمر الله . واليهود عصوا كل أوامر الله بشهادة كتبهم منذ موسى وإلى السبي البابلي ، ثم حروبهم مع اليونان وأخيراً التشريد الروماني المسمى بالشتات والذي استمر مايقرب من ألفي عام ، إلى أن سمحت لهم المساومات السياسية البحتة واللا أخلاقية في معظم مظاهرها بتقوية هذه الصهيونية المعاصرة في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وبإقامة دولة اسرائيل المزعومة في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، حيث صبب زعماء الصهيونية حركتهم في إطار ديني حشري يتم تحقيقه بالجهود السياسية .

ومؤدى هذا كله أن الكثرة الغالبة من الباحثين في تاريخ اليهود ، يرون أنهم الأمة الوحيدة تقريباً التي لم تستقر حضارتها على قوائم انسانية ثابتة ، بل كتبت تاريخها بنفسها أو- إن شئت مزيداً من دقة التعبير- قل كتبت حسب هواها ، ثم زعمت أن ذلك التاريخ صادر من الله بطريق الوحي ، ولكنهم نقلوا عن المأثورات الشعبية لأرض الرافدين والكنعانيين وبعض الأمم الأخرى التي عرفوها وشرعية محمورابي شاهد على صدق هذا الذي نقول .

وحقيقة الأمر أن الاسرائيليين عندما تسللوا إلى فلسطين بعد الخروج من مصر بقيادة موسى عليه السلام - والذي توفي على جبل « نبو » بالقرب من الضفة الشرقية لنهر الأردن يرى أرض الميعاد من فوق الجبل بعيدة ولا يستطيع أن يطأها بقدميه - ثم تولى يوشع ابن نون قيادتهم من بعده ؛ وجدوا اليبوسيين (الفلسطينيين) والأدوميين والموابيين والعمونيين والكنعانيين وغيرهم وهؤلاء جميعهم عرب ، أي أن العرق السامي عربي في أصوله الجغرافية ، ثم غدت مسيحية في عهد الرومان البيزنطيين ولكنها ظلت سامية من حيث العرق والسلالة البشرية ، ثم أصبحت اسلامية من حيث الدين وظلت عربية سامية من حيث التكوين والسلالة .

وارتكازاً على ذلك نجد أن زعم اليهود وتحريفهم للتاريخ بأنه كانت لهم دولة في فلسطين فترة من الزمن - ازدهرت في عهد داود وسليمان - زعم باطل يقوم على قراءة غير واعية وغير أمينة للتاريخ ، فالصهيونية تقيم وزناً لسبعين عاماً هي فترة حكم داود وسليمان

في القدس ، وهي فترة متأخرة وغير مُجمَع عليها من كل طوائف اليهود ، واعتبرت القاعدة الحربية والسياسية للمملكة الجديدة التي ليست لها علاقة سياسية بموسى ، والعلاقة كلها علاقة دينية فقط بتكليف آلهي ، لتحقيق الايمان به في وجه وثنيات كثيرة كانت قائمة في المنطقة ، وبالتالي ينتهي الأمر الآلهي بنهاية حياة داود وسليمان بحيث تكون الأمة مسؤولة عن عقيدتها أمام الله وليس عن وقائعها الحربية أمام رجبعام بن سليمان أو أمام يربعام بن نباط ولا عن عدوانها المتكرر على جيرانها الأمنين .

وهذه المسؤولية أمام الله هي التي انحرف عنها اليهود حتى اكتشفها أحد أحفاد سليمان (يوشياهو في عام ٦٢٢ ق . م) ، ومن مظاهرها في معبدهم في القدس :

١ - أنهم أضاعوا الشريعة الموسوية ولم يعد هناك من يقبل على دراستها أو قراءتها .
٢ - أنهم وضعوا الأصنام الوثنية في داخل المعبد وسمحوا لكهنتها بممارسة الكفر لقاء ثمن قليل .

٣ - أنهم سمحوا للنساء احترام الدعارة في داخل الهيكل .

٤ - أن كهنتهم كانوا يسرقون الأموال من صندوق النذور الذي كان وقفاً على الهيكل .
واستناداً إلى هذه الانحرافات ، قام الملك يوشياهو بعملية تطهير أحرق فيها كل ماينافي الأخلاق وعقيدة التوحيد ، ونثر رماده على قبور آبائه تعبيراً منه عن تحميل أولئك الملوك السابقين ، مسؤولية هذا الفساد كاملة ، كل هذا موجود بتفاصيله في العهد القديم الذي تقرأه الصهيونية الآن وفي سفر الملوك الثاني بالتحديد .

فنحن إذن أمام دعوة دينية يبدأ تاريخها من قرب نهاية حكم داود وحتى نهاية حكم ابنه سليمان ، الذي بوفاته نشأت المعارضة بجانب القدس في إقليم السامرة وكانت لا تُقَر بأبي قدسية للقدس ، ومع ذلك في السنوات القليلة التي بقوا فيها هناك تركوا بعض قبور ملوك يهوذا وحائط المبكى .

وأمام هذه الظاهرة نجد أن مدينة القدس منذ ما قبل التاريخ ، وهي أهلة بالسكان ومعرفة الله فيها بالوثائق - ومنها التوراة اليهودية نفسها - ترجع على الأقل إلى عهد ابراهيم وملكى صادق الذي كان يصلي الله العلي قبل موسى بحوالي خمسمائة عام ، كما نجد أن اليهود قد اعتبروا فترة داود وسليمان رمزاً لمجد طائل ، في حين أهدروا ثلاثة آلاف عام عاشها العرب على أرض فلسطين .

وارتكازاً على ما قدمت ؛ فهدفي من هذا البحث هو تجميع وتركيز كل ما يمكن من معلومات عن مدينة القدس العربية ثم الاسلامية وتفنيده مزاعم اليهود الباطلة تجاه المدينة المقدسة تلك المدينة التاريخية التي تعتبر من أقدس المدن الاسلامية بعد مدينتي مكة المكرمة

والمدينة المنورة ، يقدها المسلمون على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم . وقد خصّها الله بعقيدة التوحيد للاله الواحد لأول مرة في تاريخ البشرية ، كما خصّها بعدد كبير من الأنبياء « وما فيها موضع شبر إلا وقد صلى فيه نبي أو قام فيه ملك »^(١) . وقد شرفها الله بأسراء رسوله المصطفى ﷺ ، فجاء في كتابه العزيز « سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير »^(٢) . وهكذا كان الاسلام هو المرحلة الأخيرة من طريق طويل من النبوات إلى معرفة الله وبصايات الاسلام في القدس كثيرة ، فالدين الاسلامي هو الدين الذي جعل الحج ركناً من أركانه ، ويهود العصور الوسطى عاشوا في كنف المسلمين ورأوا احتفال المسلمين بموسم الحج حيث اندلعت الحروب الصليبية في هذا الوقت ، فرأوا استماتة المسلمين في القدس ، فأيقظ هذا عندهم الاهتمام بالمدينة المقدسة ، ولقد كان الشتات اليهودي في العصر المسيحي السابق على الاسلام شتات خوف من الاقتراب من القدس ، لأن الرومان كانوا يسيطرون عليها ، فلما دخلت ضمن ممتلكات المسلمين أصبح حج اليهود إليها ميسوراً خاصة وأنهم كانوا متمركزين في المغرب والأندلس .

يضاف إلى ذلك أن الأدب العربي الذي ظهر في هذا العصر اتجه نحو مكة والمدينة ، فكان مقابله عند اليهود المغرّمين بتقليد المسلمين هو الاتجاه نحو القدس . وهكذا أسدل الستار على مسلسل الحقوق التاريخية المزيفة لليهود ، والتي تقوم على الدعوة الخاصة بالروابط التي تربط بين اليهود وفلسطين على أساس الوعد الالهي لبني اسرائيل في أرض كنعان ، فالصهيونية السياسية تقرأ التوراة بروح متعصبة ونزعة قومية عنصرية ، لتستخرج من نصوص التوراة ما تبرر به ادعاءاتها في إقامة الدولة الصهيونية على أرض فلسطين العربية . وحتى نفند هذه الأكاذيب وجب علينا أن نتناول القدس كبقعة مقدسة قبل الوجود اليهودي في فلسطين من أول ملكي صادق - قبل داود بحوالي ألف سنة - وحتى العصور الوسطى وما تخللها من وجود طاريء لليهود في فترة حكم داود وسليمان كما أسلفنا .

ونرى من الواجب علينا في مستهل هذه الدراسة أن نشير إلى أن استيلاء اليهود القدماء على القدس من الفلسطينيين وتحويلها إلى قاعدة دينية لهم ، كان مقترناً بعنصرية دينية عملت على ألا يبقى في هذه المدينة إلا اليهود فقط ، وهي نفس السياسة التي اتبعتها

(١) معجم البلدان لياقوت ١ : ١٢ .

(٢) سورة الاسراء (١) .

الصهيونية في المدينة المقدسة في العصر الحديث . وعندما أصبحت القدس مسيحية قضت البطارقة والباباويات المختلفة على ألا يكون هناك أثر ديني يهودي ظاهر للعيان ، بينما افتتح الامبراطور قسطنطين عصر تنصير القدس بملئها بالكنائس والأديرة . أما الاسلام فعلى خلاف ذلك اعتبرها بالنسبة للشرعية الاسلامية القبلة الأولى وجعلها حرماً مساوياً للحرمين الشريفين في الحجاز ، ولكنه مع ذلك وعلى مدى أربعة عشر قرناً من الزمان لم يمنع المسيحيين ولا اليهود من أن يتلمسوا في هذه المدينة المقدسة طريقهم إلى الله .

وإذا كان لي أن أقول شيئاً فإنها هو تقديم الشكر الخالص إلى سعادة الدكتور مدير مركز البحوث بكلية الآداب بجامعة الملك سعود ومجلس ادارته على مساعدتهم الفعالة في تمويل النسخ والتصوير لبحثي هذا تمهيداً لنشره ، وهي مكرمة تذكر لهذا المجلس الموقر . كما لايسعني في هذا المقام إلا أن أقدم شكري الخالص وتقديري العميق إلى أستاذي الدكتور حسن ظاظا على ماقدمه لي من النصح المخلص في مراحل البحث المبكرة وأثناء كتابته ، وقد أخذت بملاحظات الصائبة عند اعدادي هذا البحث . كما يقتضي واجب العرفان أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الأنصاري رئيس قسم الآثار والمتاحف على ماقدمه لي من عون وتشجيع طوال فترة كتابتي لهذا البحث ، ثم ما تفضل به من النظر فيه جملة وتفصيلاً بغاية الدقة والعناية بعد الفراغ منه .

وللاخوة الزملاء من الأساتذة والفنيين من قسم الآثار والمتاحف كلمة اعزاز وتقدير ، لما أسهموا به من جهود مختلفة في سبيل إنجاز هذه الدراسة بهيئتها التي يجدها القارئ الآن بين يديه .

والله الموفق

د . سيد فرج راشد

الرياض - في العاشر من ربيع الأول ١٤٠٥ هـ

تقہید

تمهيد

أولاً : أسماء المدينة في مختلف أدوارها

ذكرت أول اشارة إلى مدينة القدس في النصوص المصرية السائدة منذ القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد ، وكان اسمها على الأرجح ينطلق « روشاليم » Rushallmum ووردت بعد ذلك في رسائل تل العمارنة (القرن ١٤ ق.م) باسم « أوروسالم » كما جاء في رسالة وجهها « عبد نجيبا » حاكمها من قبل فرعون مصر أمينوفيس الثالث (١٤١١ - ١٣٧٥ ق.م) ، يطلب فيها العون العسكري لصد هجمات أهل البادية « الحبرو » .

وقد سميت « ييوس » نسبة إلى اليوسيين ، وهم فرع من الكنعانيين سكنوا القدس وما حولها^(١) ، وكانوا قد نزحوا إليها من قلب الجزيرة العربية حوالي ٣٠٠٠ ق. م . وكان المصريون يطلقون عليها اسمها اليوسى « يابيتي » و « يابتي » وأحياناً يستخدمون اسمها الكنعاني « أوروسالم » ، ومن المحتمل أن صيغة هذه الكلمة آرامية ترتب من مقطعين : المقطع الأول « أور » بمعنى موضع أو مدينة ، والثاني « سالم » بمعنى السلام وهو غالباً اسم اله وثني لسكان فلسطين الأصليين وهو إله سلامة القوافل ، وعلى ذلك فكلمة « أوروسالم » تعني مدينة السلامة . وظل اسم « ييوس » علماً على المدينة (قضاة ١٩ : ١٠) حتى استولى عليها داود ، وصار بعد ذلك اسمها « مدينة داود » (١ أخ ١١ : ٧ ، ٢ صم ٥ : ٩) .

وقد وجد اليهود بعد ذلك صعوبة في كتابة اسمها « أوروسالم » باللغة العبرية فوردت في أسفار العهد القديم^(٢) ست مرات تحت اسم « يروشاليم » ولكنها وردت بدون ياء

(١) يشوع ١٥ : ٨ ، ٦٣ - قضاة ١ : ٢١ ، ١٩ : ١٠ .

ويبدو أن اسم ييوس الذي سمي اليوسيون باسمه هو أحد أولاد كنعان (راجع سفر التكوين ١٥ : ١٥) .

(٢) هو الكتاب المقدس لليهود ويشتمل على تاريخهم القومي والديني الذي بُعِث خلال فترة طويلة (حوالي ١٠٠٠ سنة) ، وكان غرضهم من تصنيفه دينياً أكثر منه أدبياً . والعهد القديم في صورته التي وصل إلينا بها يحتوي على ثلاثة أقسام رئيسية هي « التوراة » و « أسفار الأنبياء » و « كتب

٦٥٦ مرة في هذه الأسفار أيضاً^(١) .

ثم نجد اسم القدس وارداً في نقوش الامبراطور الآشوري سنحاريب (حوالي ٧٠٠ ق . م) تحت اسم « أوروسليمو » . وفي عهد الاسكندر الأكبر سماها اليونان « هيروسوليا » ثم صار اسمها « ايليا كابيتولينا »^(٢) في عصر الامبراطور الروماني « ايليوس هديران » بعد أن قضى على الكيان الديني لليهود ، وفي أعقاب ذلك أصدر مرسوماً يتضمن أمراً بقتل كل من يدخل القدس من اليهود ، وظلت تعرف بهذا الاسم « ايليا » حتى أوائل الفتح الاسلامي ، وسميت كذلك في العهدة العمرية .

أما اسم « القدس » فقد عرفت به المدينة منذ بداية تاريخها عندما أقيمت فيها أماكن مقدسة للعبادة . ومن الجلي أن المؤرخ اليوناني « هيرودوت » (٤٨٤ - ٤٢٥ ق . م) لم يذكر اسم أوروسليم ولكنه ذكر كلمة « قديتس » مرتين ، وقد حاول بعض الباحثين الوصول إلى تفسير العلاقة بين القدس وكلمة « قديتس » ، فجاء التفسير لافتاً للنظر ، فإسم القدس محرف من اليونانية عن النطق الآرامي « قديشتا » وبما يثير في النفس ريبة أن اليهود أطلقوا عليها أحياناً اسم « مدينة القدس » (اشعيا ٤٨ : ٢ ، نحميا ١١ : ١) . أما « بيت المقدس » فقد أطلق على المدينة بدءاً من العصر الاسلامي ، ومن أسمائها « الزيتون » وفي ذلك نزلت الآية الكريمة « والتين والزيتون ، وطور سنين ، وهذا البلد الأمين » . قال ابن عساكر عن ابن عباس « إن التين بلاد الشام والزيتون في بلاد المقدس ، وطور سنين هو الجبل الذي كلم الله موسى عليه ، وهذا البلد الأمين هو مكة المكرمة » .

ومؤدى هذا كله أن مدينة القدس كانت تحمل اسم أوروسليم وهي الصيغة العربية لاسم أوروسالم الآرامي ، قبل غزو الاسرائيليين لها ، وهذا يظهر بوضوح في رسائل تل العمارنة ، كما كانت تحتل مكانة بارزة في التاريخ قبل الوجود اليهودي فيها .

ثانياً : جغرافية القدس

تتمتع مدينة القدس بموقع استراتيجي متميز ، فهي تقع على خط عرض ٣١°١٣ / ٤٥° شمال خط الاستواء ، وعلى خط طول ٣٥°١٣ / ٢٥° شرق جرينتش ، على هضبة

(١) راجع A Hebrew and English Lexicon of O . T . P . 436 حيث يذكر أن « يروشاليم » وردت بالياء

خمس مرات على النحو التالي :

استير ٢ : ٦ ، ارميا ٢٦ : ١٨ ، أخبار الأيام الأولى ٣ : ٥ ، ٣٢ : ٩ أخبار الأيام الثاني ٢٥ : ١

(٢) « ايليا » هو الاسم الأول للامبراطور الروماني هديران والكابيتول هو اسم معبد جُبتر الكبير .

غير مستوية يتراوح ارتفاعها بين ٢١٣٠ - ٢٤٦٩ قدماً .
ومتوسط ارتفاع المدينة فوق سطح البحر الأبيض المتوسط من اتجاه الغرب ٢٥٠٠ قدم ، ٣٨٠٠ قدم من سطح البحر الميت من اتجاه الشرق . وهي تبعد ٣٢ ميلاً عن البحر الأبيض المتوسط غرباً ، وحوالي ١٨ ميلاً عن البحر الميت شرقاً و ١٩ ميلاً عن الخليل (حبرون) جنوباً و ٣٠ ميلاً عن السامرة شمالاً ، وتتميز المدينة بطقسها القاري الصحراوي .

وقد اعتبرت المدينة منذ القدم موقعاً استراتيجياً قوياً وهاماً ، بسبب مناعتها الطبيعية حيث أنها محمية من الغزو ، فهي تقع على هضبة مرتفعة يحيط بها من جميع أطرافها أودية عميقة ، وادي « قدرون » في الشرق ووادي « هنم » في الغرب ويلتقي الواديان عند الطرف الجنوبي تاركين الجهة الشمالية فقط بغير حماية طبيعية .

وادي قدرون (الوادي الشرقي)

يبدأ هذا الوادي من الشمال الغربي للمدينة على بعد ميل ونصف ، ثم يسير أولاً نحو الشرق حتى يصل إلى الزاوية الشمالية الشرقية لسور المدينة ، ثم ينحرف بميل حاد نحو الجنوب - وهو يفصل بين سور المدينة الشرقي وبين جبل الزيتون وجبل بطن الهوا - حتى يلتقي بوادي هنم المنحدر من جهة الغرب ، ويبلغ طول وادي قدرون نحو كيلو مترين وهو عميق سريع الانحدار . وقدرون هو اسم جدول الماء الذي يجري في قاعة عندما يسقط المطر ، كما أنه اشتهر كذلك باسم « يهوشافاط » وثمة اعتقاد لدى كثير من الطوائف المسيحية واليهودية أن الحشر يوم القيامة سيصبح في هذا الوادي^(١) . وقد ورد ذكر وادي قدرون في أخبار الملك داود حيث عبره لما هرب من وجه ابنه ابشالوم ، وكذلك مرّ به السيد المسيح^(٢) .

وادي سلوان (الوادي الغربي)

وهو اسم النبع الموجود في هذا الوادي ، وكذلك عرف باسم وادي « هنم » أو وادي « بني هنم » ، وهنم اسم قبيلة كان يسمى بها الوادي قبل الوجود العبري هناك . وقد عرفت كلمة الوادي في بعض اللغات السامية القديمة باسم « جي » ، فكان يقال

(١) د . حسن ظاظا : اسراييل ركيزة للاستعمار بين المسلمين ص ٨٦ .

سفر يوثيل ٣ : ٢ : ١٢ .

(٢) ٢ سم ١٥ : ٢٣ ، العهد الجديد يوحنا ١٨ : ١ .

« جَهَنَّم » أي وادي هنم^(١) هذا ويمتد وادي هنم حتى يتصل بالطرف الشرقي من جبل صهيون .

وادي الجبانة أو التروبيون

يمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي حتى يتصل بوادي سلوان الذي يتصل بدوره بوادي قدرون شرقاً ، وبذلك يقسم أرض مدينة القدس قسمين مكونين من هضبتين مستطيلتين ، الهضبة الغربية يحدها وادي هنوم من الغرب ، والهضبة الشرقية يحدها وادي قدرون من الشرق ، ويسمى وادي الجبانة في الجزء الجنوبي الغربي من القدس وادي « الزبالة » أو وادي « الدمن » أو وادي « القمامات » ، وقد ردم جزء منه في أعمال توسيع لجبل صهيون وللحرم المقدس الواقع على جبل الموريا الذي هو هضبة الحرم الشريف .

وادي الأرواح (يوشع ١٥ : ٨)

واشتهر أيضاً باسم وادي العفاريت ويلتف حول جبل صهيون من الغرب وحتى أقصى الجنوب وتوجد به مدافن الموتى .

وأهم جبال القدس

١ - جبل الزيتون :

ويسميه العرب « جبل الطور » ، وتقع أسوار الحرم في مواجهة الجبل من الجهة الشرقية ، ويفصله عنها وادي قدرون . واشتهر عند اليهود باسم « جبل المسح » أي جبل التتويج ، لأنهم كانوا يستخلصون من زيتونه الزيت المقدس المستخدم في تتويج ملوكهم .

٢ - جبل بطن الهوا :

ويعتبر امتداداً لجبل الزيتون من الجنوب الشرقي للقدس ويفصله عنها وادي سلوان المتصل بوادي قدرون من نفس النقطة والاتجاه ، واشتهر عند اليهود بالجبل الفاضح ، ويزعمون أن المعابد الوثنية لنساء سليمان الأجنبية قد أقيمت عليه وذلك حسب ماورد في سفر الملوك الأول ١١ : ١ - ٨ .

(١) وكانت قبيلة هنم تقدم ضحاياها من البشر (القبيلة كانت ذات وثنية متطرفة) إلى الهيا « مولك » بعد ذبحها والقائها في النار ولذلك يقال اسم « جهنم على مكان العذاب في الآخرة (٢ ملك ٢٣ :

(١٠) راجع ظاظا : اسرائيل ركيزة للاستعمار - ص ٨٦ - ٨٧ .

٣ - جبل صهيون :

ويقع في الزاوية الجنوبية الغربية للقدس وكانت عليه قلعة اليبوسيين التي سميت باسم « مدينة داود » ، وذلك بعد استيلائه عليها حيث أقام قاعدة عسكرية لحكمه هناك . وكان جبل « أكرا » - الأقل ارتفاعاً - يمتد على شكل هلال منحنيًا إلى الشمال الشرقي لصهيون ليفصل بين جبل صهيون وهضبة القدس .

٤ - جبل بيت المقدس :

وقد اشتهر باسم « هضبة الحرم » حيث المسجد الأقصى ، ولكنه عرف عند اليهود باسم جبل « الموريا » (تك ٢٢ : ٢) .

٥ - جبل رأس المشارف (أو سكوبوس) :

ويعرف عند اليهود باسم جبل المراقبين وهو امتداد طبيعي لجبل الزيتون من الشمال الشرقي وحتى الشمال ويفصل بينهما منخفض يسمى « عقبة الصوان » . وعلى هذا الشكل تقوم مدينة القدس على مرتفعين اثنين هما : هضبة الحرم وفي مواجهتها في الجنوب الشرقي « جبل صهيون » ويفصل بينهما وادي الجبانة . يختلف المؤرخون في أمر بناء المدن ، ولذلك نجد أن موقع المدينة لا يتم اختياره بمحض الصدفة ، بل يكون على عدة أسس : أهمها وجود موارد كافية للمياه ، كما أن موقعها ينبغي أن يكون حصيناً بحيث يضمن حمايتها ضد أية قوى معادية ، وينبغي أن يكون الموقع ذا استراتيجية خاصة تسهل للمدينة الحركة والتجارة مع جيرانها ، ولذلك كان من الضروري أن نتعرف على الطرق الرئيسية والفرعية التي تربط القدس بالمدن الهامة في فلسطين . وإذا رجعنا إلى المدن القديمة نجد أنها فرضت نفسها على جغرافية المنطقة ، وإن كانت قد حدثت بعض التغيرات الطفيفة ، إلا أن هذا لم يؤثر على اتجاهات الطرق الرئيسية .

الطرق الرئيسية التي تربط مدن فلسطين

أولاً/ الطريق الساحلي : كان يبدأ من مصر ويمتد على ساحل البحر الأبيض ويستمر حتى صور وصيدا ماراً بخان يونس وغزة ويافا وعكا .
ثانياً/ الطريق الأوسط : كان يمتد من بئر سبع حتى القدس والتي كانت محطة مواصلات دولية في الشرق القديم ، بمعنى أن الطرق كانت تؤدي إليها والتي تخرج منها كثيرة أهمها :

أ/ طريق القدس - يافا : وهو طريق وعريمر بمناطق جبلية حتى يصل السهل الساحلي ، ويبلغ طوله حوالي سبعة وستين كيلومتراً ، ويبدأ هذا الطريق من غرب القدس - من الباب الغربي للقدس والمسمى باب يافا - ويستمر على هضبة القدس نفسها ثم يعبر دير ياسين وأبوغوسن ثم الرملة ، ويبدأ الطريق في الانحدار من أبوغوسن إلى الرملة ، ويطلق على الطريق من جهة الرملة حتى السهل الساحلي اسم باب الوادي .

ب/ طريق القدس - حيفا : يمر برام الله ونابلس (شكيم) وجنين ثم حيفا .
ج/ طريق القدس - الجليل (أوطبرية) : يمر برام الله وقليلية وطول كرم ونابلس (شكيم) والسامرة (سبسطية) والعفولة ثم الجليل .
ثالثاً/ بقية الطرق الرئيسية في فلسطين :

أ/ طريق السامرة - شرق الأردن : ويمر جنوب بحيرة طبرية متجهاً إلى مدينة اربد شمال الأردن ، ثم يستمر في اتجاه دمشق وحلب .

ب/ طريق السامرة - صور الساحلي : كانت السامرة ترتبط بالطريق الساحلي - الذي يبدأ من مصر حتى صور - عند ميناء حيفا ، وعلى هذا فطريق السامرة - صور الساحلي يمر بالكرمل وحيفا وعكا ثم صور .

ج/ طريق السامرة - الجليل : وهو طريق مباشر يمر بجنين والعفولة ثم الناصرة .

د/ طريق السامرة - شكيم : يمر بالجلجال وجنين ثم العفولة .
طريق السامرة - الأردن : يمر بمخاضة البيوق^(١) (على الضفة الغربية للأردن) .

ثالثاً / المقدسات الاسلامية في القدس

ليس بغريب أن يفكر المسلمون في فتح « بيت المقدس » ، وهو البيت الذي ورد ذكره في القرآن الكريم وعلى لسان النبي ﷺ وفي أحاديث الصحابة .
إن ثمة حديثاً قدسياً عن سيدنا رسول الله ﷺ يوضح للمسلمين مكانة القدس عند الله تعالى بقوله (أنت جنتي وقديسي ، وصفوتي من بلادي ، ومن سكنتك فبرحمة مني ، ومن خرج منك فبسخط مني عليه) .

(١) D. Baly : Geographical companion to the Bible , P. 152.

راجع الأطلس العربي طبعة ١٩٦٥ صفحات ٣٢ ، ٣٣ .
قسطنطين خمار : موسوعة فلسطين الجغرافية ، صفحات ١٧٣ - ١٨٣ .



ومؤدى هذا الحديث القدسي أننا نستطيع أن نقول إن الله تعالى اختص بسكنى هذا المكان الطاهر من يرضى أمانته واستحقاقه لشرف العيش فيه ، وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن ينزل فيه سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام ، وأن يجعل من ذريته كل الأنبياء ، فاختص الله تعالى بيته العتيق ، وهو أول بيت وضع للناس في مكة المكرمة بالرسالة الخاتمة ، حيث أقام فيه سيدنا اسماعيل أول أبناء سيدنا ابراهيم بذريته من العرب ، وفيه وحوله قامت الرسالة الخاتمة للأديان جميعاً بنزول القرآن الكريم على المصطفى عليه الصلاة والسلام .

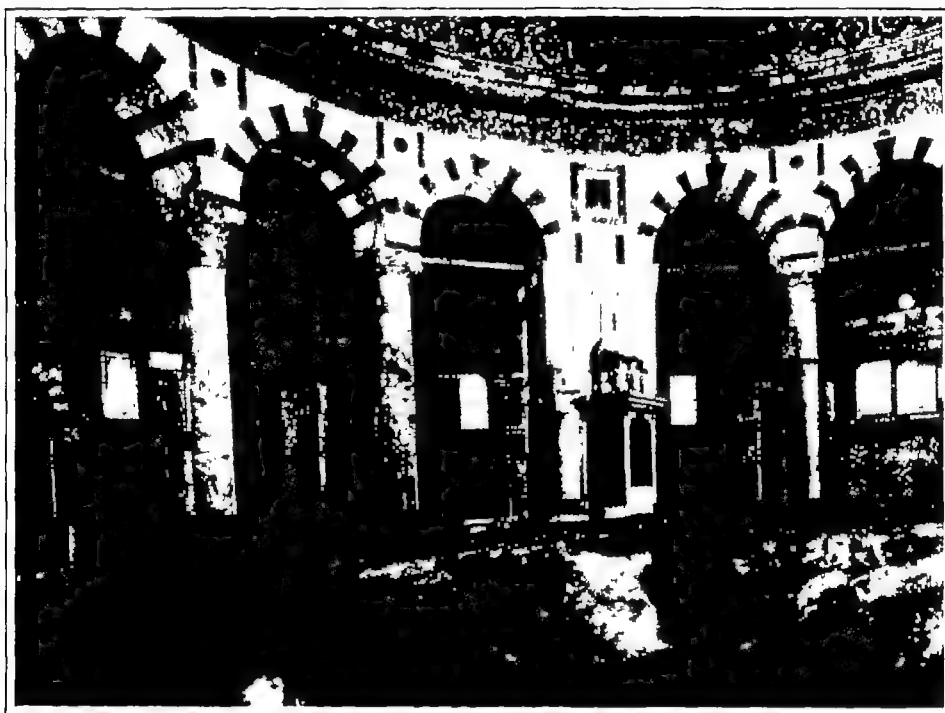
ونحن إذ نتمعن مطلع سورة الاسراء بقول الله تعالى : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير) ندرك أن الاسراء كان من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وأنه كان في القدس من قديم الأزل بقعة مطهرة يعبد فيها الله تعالى ، ذلك هو المسجد الأقصى الأول ، أو مايسمونه بالمسجد الأقصى القديم ، وهذه البقعة الطاهرة صلى فيها سيدنا ابراهيم مع ملكي صادق الذي كان أميراً دينياً - من أصل فلسطيني - للمدينة ، وهذه القصة هي أصل نسبة المسجد الأقصى إلى سيدنا ابراهيم لأنه سجد فيه - وهو بقعة مطهرة - لله العلي ، أي قبل الوجود اليهودي بحوالي سبعمائة سنة .

وهكذا تجسدت قدسية القدس في اسراء سيدنا محمد ﷺ إلى الصخرة المقدسة ، وبها صلى الأنبياء والرسول حيث صلى رسولنا بهم إماماً ، ومنها عرج إلى السماوات العلا ، ثم عاد إلى القدس ومنها إلى مكة المكرمة .

وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع على الأرض ، فقال المسجد الحرام . قلت ثم أي ؟ قال المسجد الأقصى ، قلت : وكم بينهما ؟ قال : أربعون عاماً .

فالقدس إذن بأنبيائها ورسولها وعبادها تنتمي إلى الاسلام من قديم الحقب . ومن الجدير بالملاحظة أن نذكر أن المسلمين بعد أن هزموا الروم في معركة اليرموك وفتحوا الشام ، توجه أبو عبيدة بن الجراح إلى فلسطين وحاصر مدينة ايليا (القدس) فترة أربعة أشهر ، وتم تسليمها في السنة الخامسة عشرة من الهجرة (٦٣٦ ميلادية) في حضور الخليفة عمر بن الخطاب ففتحت له أبوابها ، وعندما دخلها آمن أهلها على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وأعطاهم عهداً بذلك ، وكتبت لهم وثيقة الأمان التالية وقد عرفت بالعهد العُمري : (١)

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١١ صفحات ١٩٤ - ١٩٥ .



صورة للصخرة المقدسة داخل مسجد قبة الصخرة

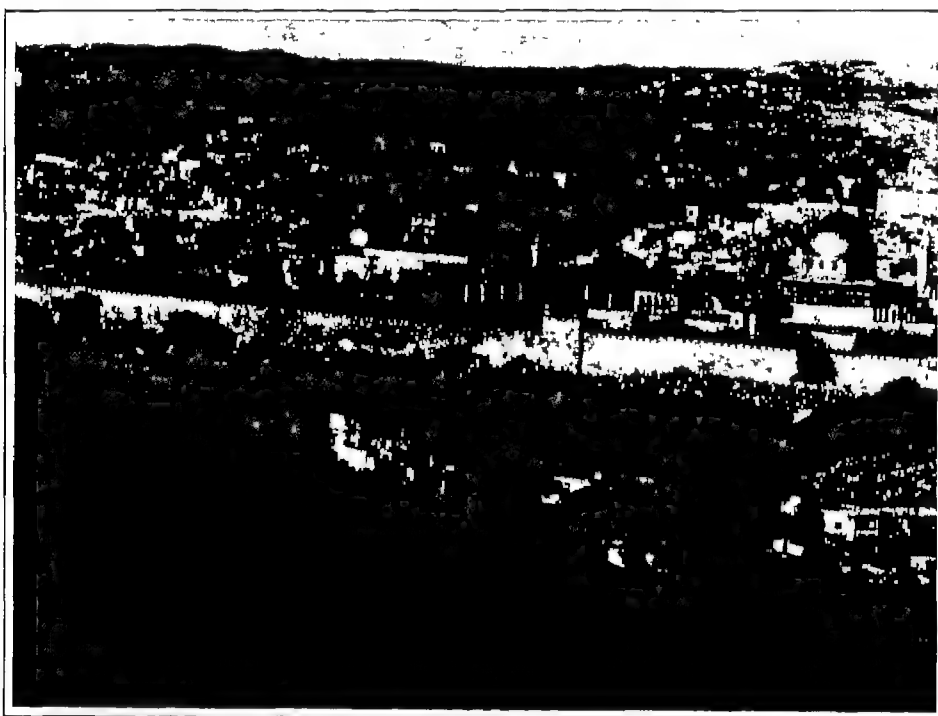
« بسم الله الرحمن الرحيم »

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان . أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم . سقيمها وبريئها وسائر ملتها . أنه لا تُسكن كنائسهم ، ولا تُهدم ، ولا يُنتقص منها ولا من خيرها ، ولا من صلبهم ، ولا من شيء من أموالهم . ولا يُكرهون على دينهم ، ولا يُضار أحد منهم . ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود . وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما تعطى أهل المدائن . وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص . فمن خرج منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية . ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم . فمن شاء منهم قعد ، وعليهم مثل ما على أهل إيلياء من الجزية . ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم . وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء المؤمنين إذا أعطوا الذين عليهم من الجزية .

شهد على ذلك خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان . كُتب سنة خمس عشرة هجرية .

ولما زار عمر بن الخطاب كنيسة القيامة استقبله هناك بطريرك النصارى صفرونيوس ، وصادف أن حان وقت الصلاة ، وهو يزور الكنيسة فأشار عليه البطريرك أن يصلي حيث هو فأبى ذلك خشية أن يتخذها المسلمون فيما بعد حجة يتذرعون بها للمطالبة بحق في الكنيسة ، ويقال أنه أمسك بحجر ورماه بالقدر الذي سمحت له به قوته وصلى في المكان الذي رمى فيه الحجر ، وهو المكان الذي يقوم عليه الجامع المعروف باسمه الآن وهو على بعد خطوات من كنيسة القيامة .

ولم يجرؤ اليهود طوال أيام الخلفاء الراشدين على الإقامة في القدس ، ولما جاء الأمويون أولوا القدس اهتمامهم ، وبنى الخليفة عبد الملك بن مروان مسجد قبة الصخرة المشرفة عام اثنين وسبعين هجرية (٦٩١ م) ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنوات كاملة ، ويقع مسجد قبة الصخرة وسط فناء واسع على أرض الحرم ، ويتميز مبناه بقبة هي من أهم المعالم البارزة لمدينة القدس حيث يبلغ ارتفاعها ثلاثين متراً وتتكون من جزئين ، العلوي منها مغطى برقائق الرصاص الذي لا يتغير لونه مع الزمن ، وقد تم تجديده بصفائح الألومنيوم المذهبة بعد أن تعرض للقصف اليهودي الأعمى أيام حرب عام ١٩٤٨ م ، أما الجزء السفلي فقد كسى برقائق الرخام الأبيض البديع وفوقه مربعات من القيشاني



صورة من فوق جبل سكوبوس توضح الأوضاع النسبية لمسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى.

الأزرق ، وقد كتبت عليه سورة (يس) باللون الأبيض ، وكان السلطان سليمان القانوني قد أمر بتركيبه عام ١٥٦١ م .

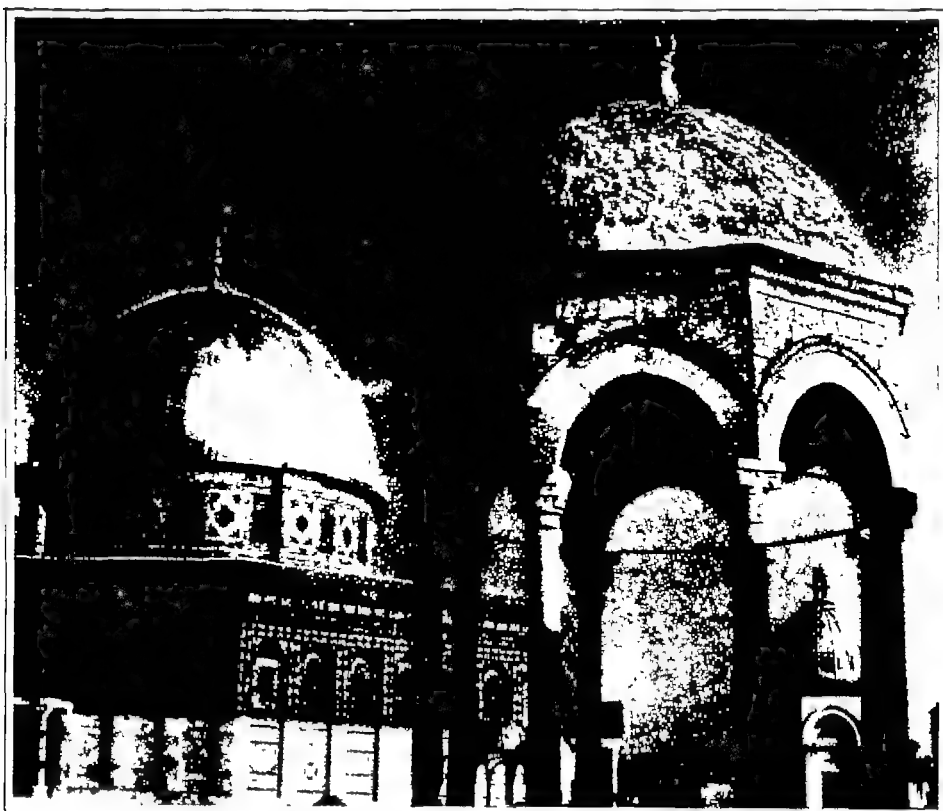
وتعتبر قبة الصخرة المشرفة أقدم نموذج فريد لفن العمارة الإسلامية وفي طليعة الأعمال الفنية العالمية ، واجماع علماء الآثار وفن العمارة شاهد على صدق هذا الذي نقوله ، فجانبا كبيرا من الفن العربي الإسلامي يتميز به جامع قبة الصخرة فهو مضمن الشكل ، يبلغ طول كل ضلع فيه عشرون متراً وارتفاعه عشرة أمتار وترتفع القبة فوق البناء عشرين متراً ويعلوها هلال طوله أربعة أمتار ، وللمسجد أربعة أبواب مزدوجة ويقوم المسجد على ستة عشر عموداً رخامياً مختلفة الألوان بالإضافة إلى ثنائي دعائم مكسوة بالرخام المعرق ويعلو هذه الدعائم والأعمدة زخارف بأنواع الفسيفساء المختلفة .

وتحت هذه القبة تقوم الصخرة المقدسة التي يتراوح ارتفاعها عن الأرض ما بين متر ومترين ، وشكلها غير منتظم وطولها حوالي ثمانية عشر متراً وعرضها نحو ثلاثة عشر متراً وهي محاطة بسياج من الخشب المنقوش ، ومن قمة هذه الصخرة المشرفة عرج سيدنا محمد ﷺ إلى السماء .

وروي عنه ﷺ أنه قال : « صليت ليلة أسرى بي إلى بيت المقدس عن يمين الصخرة » وروي عنه أيضاً أنه قال : « صخرة بيت المقدس من صخور الجنة » ، أما المسجد الأقصى فإنه يقع في الجهة الجنوبية من هضبة الحرم الشريف ، ويطلق اسم الحرم الشريف على المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة المشرفة وما حولهما من مساحات ومنشآت ، ومنطقة الحرم الشريف محاطة بسور كبير . وللحرم الشريف أحد عشر باباً هي : باب الأنبياء ، باب الناظر ، باب المطهرة ، باب السلسلة ، باب المغاربة ، باب الأسباط ، باب حطة ، باب الغوانمة ، بالإضافة إلى ثلاثة أبواب مغلقة هي : باب الرحمة ، وباب التوبة ، وباب البراق .

وقد شرع في بناء المسجد الأقصى الخليفة عبد الملك بن مروان عام ٧٤ هـ (٦٩٣ م) وأكمله ابنه الوليد بن عبد الملك عام ٨٦ هـ (٧٠٥ م) . ويبلغ طول المسجد ثمانين متراً وعرضه خمسة وخمسين متراً ، ويقوم على ثلاثة وخمسين عموداً من الرخام وتسع وأربعين دعامة مربعة . وفي داخله عند الزاوية الجنوبية الشرقية يقع مسجد « عمر » الذي أشرنا إليه . وأمام المسجد الأقصى رواق كبير مؤلف من سبع عقود وللحرم القدسي أربع مآذن هي : مثذنة باب المغاربة ، ومثذنة باب العمود ، ومثذنة باب السلسلة ، ومثذنة باب الأسباط وفي خارجه إحدى عشر مثذنة أخرى .

ومن المعالم البارزة لمدينة القدس الكثرة الغالبة من المساجد ، فيوجد بها ستة وثلاثون



صورة لمسجد قبة الصخرة من خلال قبة الأرواح وإلى اليمين قبة الخليلي وإلى اليسار قبة جبريل الصغيرة المواجهة لقبة الصخرة.

مسجداً بالإضافة إلى المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة المشرفة .
ومن الثابت تاريخياً أن القدس كانت تتمتع بمكانة ممتازة بين مدن العالم لما لها من
القدسية والاحترام في نظر أصحاب الديانات السماوية ، وهي معروفة منذ أقدم عهود
التاريخ ، ولقد شهدت كثيراً من المعارك التاريخية وتوالى عليها الغزاة والفتاحون تارة
يُحاصرونها ويدكون أسوارها وتارة يفتحونها ويؤمنونها . ومن ذلك أن تيتوس الروماني دمر
الهيكل عام ٧٠ م وقتل عدداً كبيراً من بقايا اليهود ، وهكذا قضى على الكيان الذاتي لبقايا
اليهود في فلسطين . وعندما تولى الامبراطور الروماني ايلیوس هدریان عرش الرومان ،
صمم القضاء على بقايا العقيدة اليهودية نهائياً ودمر المدينة وبقايا الهيكل تدميراً كاملاً ،
وشيد مدينة « ايليا كابيتولينا » على أنقاضها وأقام معبداً لجوثر كبير آلهة الرومان ، وأصبح
اسم المدينة ايليا حتى الفتح الاسلامي لفلسطين ثم صار اسمها بيت المقدس .
ومؤدى هذا كله أن صلة اليهود بالقدس صلة مؤقته جاءت وليدة غزوة طارئة لا يترتب
عليها أية حقوق قومية ، ونحن أمام هذه الظاهرة سوف نسرد تاريخ اليهود من قديم
الحقب لنثبت أنهم عنصر طارئ على المنطقة ، وأن فلسطين كانت قبل الوجود اليهودي
وبعده هي فلسطين وأنهم لا يمثلوا إلا مرحلة قصيرة جداً كانوا في معظمها إما تابعين لمصر
أو لآشور وبابل ، ولولا هذا ماكان لهم وجود .

صلة العرب القديمة بفلسطين

وبعد تعريفنا الموحز بالقدس ومقدساتها الاسلامية نسارع إلى قدسنا العربية - مع
حرصنا الشديد على استخدام « العربية » - حتى لا يتبادر إلى البعض أن صلة العرب
بالقدس تبدأ بالاسلام ، وواقع الأمر غير ذلك بالمره ، وحتى ننفي نفياً قاطعاً هذا الرأي
الذي انتشر على أيدي بعض المستشرقين ، سوف نتبع التاريخ العربي في إقليم فلسطين
وذلك قبل أن نسرد المرحلة القصيرة من الوجود اليهودي الطارئ في فلسطين .
إن صلة العرب بفلسطين قديمة جداً ، فقد ورد ذكرهم في الكتابات المسماة
القديمة ، ففي أوائل الألف الثاني قبل الميلاد عثر على نقش لأحد ملوك بابل وهو « نرام
سين » يشير إلى بطولاته ، وورد فيه مانصه « نرام سين ، الملك القوي المسيطر على
الأقاليم الأربعة . . . أخضع بلاد « بجان » وأخذ « مانيوم » أمير « بجان » أسيراً » . ويرى
فريتز هومل عالم الآثار الألماني أن « بجان » ربما كان تحريفاً لاسم اقليم « معين » في
اليمن ، ولكن عالم اللغويات الدكتور حسن ظاظا يرى أنه من المحتمل أن تكون لفظة
« بجان » هي في الأصل « معان » في أقصى الشمال من الحجاز شرقي خليج العقبة ، ولم
يعتمد في تحليله هذا على قرب هذا المكان من العراق ، ولكن على اسم هذا الأمير

(مانيوم) الذي كان يحكم الاقليم « مجان » - الذي يبدو أنه نطق آشوري للاسم العربي « معن » بالضم والتنوين - وهو اسم شائع في أسماء عرب الشمال نادر في الجنوب ، لانجده فيما نعلم في النقوش اليمنية ، بينما يقابلنا بكثرة في الشعر العربي الجاهلي وفي بعض النقوش الصفوية في الشمال^(١) .

كما ورد ذكر العرب في العهد القديم - كتاب اليهود المقدس - حيث نجد كثيراً من النصوص التي تشير إلى الوجود العربي في شمال الجزيرة العربية وفي فلسطين على وجه الخصوص ، وأولئك العرب هم الذين فرضوا على كل الجزيرة فأصبح اسمهم علماً عليها وعلى لغتها وسكانها ، ولقد كانت اللهجات قديماً تنسب إلى اقليمها أو إلى أكبر قبائلها ، ولم تكن لفظة «عَرَبٌ أو عُرَبٌ» تدل على مدلولها المتعارف الآن بل كانت تطلق على نوع خاص من القبائل التي تسكن البادية ، وهي من النوع المتنقل الذي لا يستقر في مكان واحد بل يتبع مساقط الغيث ، ففي معاجنا العربية نجد لفظة «عَرَبٌ» مستخدمة للتعبير عن الإقامة في البادية ، ومن هنا كانت لفظة «عرب» تعني الجفاف والصحراء .

ويرد ذكر العرب في العهد القديم في أكثر من موضع ، ففي سفر ارميا ٢٥ : ٢٠ « وكل اللفي و كل أرض عوص و كل ملوك أرض فلسطين . . . » و ارميا ٢٥ : ٢٤ « وكل ملوك العرب و كل ملوك اللفي الساكنين في البرية . . . » ، ويبدو ذلك واضحاً عندما يخاطب النبي حزقيال مملكة صور الفينيقية مانصه « العرب وجميع رؤساء قياد يتجرون معك في الضأن والكباش . . . وبالذهب أقاموا أسواقك » (حزقيال ٢٧ : ٢١ - ٢٢) . وهذا يدل على أن العرب كانت لهم تجارة مزدهرة في هذا التاريخ المبكر .

ومما يجدر ذكره أن بعض النصوص في اللغتين البابلية الآشورية والعبرية تشير إلى استخدام لفظة « عرب » كمذلول جغرافي لاقليم بعينه في منطقة فلسطين ، وورد في سفر اشعيا ٢١ : ١٣ مانصه « في غابة باقليم عرب تنامون يا قوافل الدادانيين » . ونرى أن استخدام اللغة العبرية للفظ « عرب » لا ينصرف إلى سائر بلاد العرب أو كل سكانها ولغاتهم وأدابهم ، لأن هذه المعاني لم تكن تدل على مدلولها المتعارف عليه الآن ، بل كانت تطلق على نوع خاص من القبائل يسكن البادية . وهذا ما أثبتته العالم « الفريد ارميا » في كتابه « العهد القديم في ضوء الشرق القديم » ، بأن لفظة « عرب » في النصوص العبرية تدل على بعض أجزاء فلسطين وبخاصة الجزء الجنوبي منها والمعروف أحياناً باسم « يهوذا » والذي كان أهلاً بالعرب^(٢) .

(١) د . حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ص ١٢٦ .

(٢) د . فؤاد حسنين : فلسطين العربية . ص ٦٣ .

وكذلك نجد أن صحراء مؤاب تسمى بالعبرية « عربوت مؤاب » بمعنى بادية الأردن .

على أن هناك ظاهرة قوية يدركها الباحث في النقوش الآشورية هو أن الفلسطينيين العرب من أقدم السلالات التي سكنت كنعان ، لا قبل غزو الاسرائيليين فحسب بل إبان وجودهم الطاريء هناك ، فقد ورد في نقوش الامبراطور الآشوري سلما نصر الثالث (٨٥٩ - ٨٢٥ ق.م) أن ملكاً عربياً اسمه « جندبُو » . وبالعبرية « جَنْدُب » ، تحالف ضده مع الآراميين وكما جاء في الحوليات الآشورية أن ملك العرب أرسل امدادات كبيرة محملة على ألف جمل أثناء موقعة قرقار (٨٥٤ ق.م) .

كما تمدنا المتون الآشورية بمعلومات حول السبي الآشوري لبعض سكان فلسطين والذي جاء في حوليات سرجون الثاني (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) ملك آشور . . . وتسلمت الجزية من فرعون مصر وكذلك من شمس (سَمْسِي بالآشورية) ملكة العرب . . . وفي نقش آخر لسرجون الثاني يشير فيه إلى نقله لبعض القبائل العربية مثل ثمود والعباد^(١) (أباديدي وهي اسمها باللغة البابلية الآشورية) إلى السامرة بعد أن هزم ودمر اسرائيل (٧٢٢ ق.م) .

ولا شك أن هذا النص يشير إشارة واضحة إلى الوجود العربي في فلسطين في هذه الفترة .

إلى جانب ذلك كله نجد العرب بقيادة ملكهم جُشَم ، كونوا حلفاً ضد سنبليط الحوراني وطوبيا العموني (نحميا ٢ : ١٩) وذلك في أيام نبي اليهود نحميا (٤٢٤ - ٣٥٨ ق.م) .

وكان نتيجة تتبعنا للنصوص البابلية الآشورية والعبرية في العهد القديم ، أن تأكدت لنا بالبراهين الساطعة انتهاء القدس إلى العرب منذ فجر التاريخ . ولا بد هنا من إضافة أراها واجبة دفعاً لسوء الفهم ، وهو أن عمر بن الخطاب لم يُدخل العرب إلى فلسطين - كما يدعي بعض المستشرقين المتعصبين - وإنما أدخل الاسلام ، وهما أمران مختلفان .

(١) العباد (أباديدي) وهي قبيلة من ربيعة كانت تعيش على حدود العراق القديم .

الفصل الأول

تاريخ القدس قبل الوجود اليهودي الطارئ

تاريخ القدس قبل الوجود اليهودي الطارئ

تحتل مدينة القدس مكانة بارزة في التاريخ وذلك قبل الوجود اليهودي فيها ، فقد سكنها اليبوسيين - أقدم سكان القدس - وكانت على عهدهم تدعى « ييوس » ، ويرجع تاريخ وجودهم في المدينة إلى حوالي ٣٠٠٠ سنة ق.م حيث اتخذوها عاصمة لهم . ومن المرجح أنهم كانوا بطناً من بطون العرب الأوائل نشأوا في داخل الجزيرة العربية ، ثم نزحوا عنها مع القبائل الكنعانية في الألف الثالث قبل الميلاد . ومن ملوكهم « ملكي صادق » وكان أول من خطط لبناء مدينة ييوس (القدس) ثم قام بتحصينها .

وورد في التوراة (تك ١٤ : ١٨) اسم ملكي صادق على أنه كان كاهناً لله العلي ، ومن المرجح أنه كان معاصراً لسيدنا ابراهيم عليه السلام . وكان بعض ملوك البلاد الواقعة على نهر الفرات قد أغاروا على مدن سهل الأردن واستولوا على سدوم بعد أن أسروا لوطاً وقومه ، وعند سماع سيدنا ابراهيم لهذا الخبر قام بإعداد رجاله وسلحهم وحارب هؤلاء الملوك واسترد أملاك لوط وأعاد الأسرى ، وقام ملك سدوم باستقبال سيدنا ابراهيم عند عودته ، وقدم ملكي صادق ملك اليبوسيين خبزاً وماء وبارك سيدنا ابراهيم قائلاً : « مبارك ابرام من الله العلي مالك السموات والأرض ومبارك الله العلي الذي أسلم أعدائك في يدك »^(١) ، فأعطاه سيدنا ابراهيم العُشر مما معه من الغنائم .

ومن ملوكهم « سالم اليبوسي » الذي بنى قلعة على جبل يقع في الزاوية الجنوبية الغربية للدفاع عن القدس ، والذي عرف أيام داود باسم جبل صهيون . وكانت ييوس « القدس » في ذلك الوقت ذات أهمية من الناحية التجارية ، فقد كانت تقع على طريقين من أهم طرق التجارة ، الطريق الأول يربطها بالبحر الأبيض والآخر يربط حبرون (الخليل) ببیت ايل (بيتين) ، ومن بيت ايل كان الطريق يتفرع إلى اتجاهين واحد نحو شكيم (نابلس) والآخر إلى أريحا ووادي الأردن . أما من الناحية الاستراتيجية فهي تقع على تلال مرتفعة يحيط بها سور طبيعي منيع ، وكان بينها وبين البلاد المجاورة معاهدات تحالف قوية .

(١) تك ١٤ : ١١ - ٢١ .

الفصل الأول

وبعد أن كان العهد القديم المصدر الأساسي لدراسة تاريخ اليهود ، حدثت تحولات أساسية في طرائق دراسة تاريخهم بعد الوثائق الأثرية - وثائق البحر الميت ، والوثائق الآشورية والبابلية - التي تم اكتشافها في الفترة الأخيرة على ضوء معرفة المستشرقين في العصر الحديث للغات الشرق القديم .

وأقدم النقوش التي ورد فيها ذكر القدس موجودة في مجموعة اللوحات المسارية المكتوبة باللغة الأكادية تتخللها تفسيرات قليلة بالكتابة المسارية الأوجاريتية الكنعانية المبسطة ، وهذه النقوش عرفت باسم « لوحات تل العمارنة » ، وهي وثائق دبلوماسية ترجع إلى عهد فرعون مصر أمنوفيس الثالث (١٤١١ - ١٣٧٥ ق.م) وابنه اخناتون (١٣٧٥ - ١٣٥٠ ق.م) ، وقد ورد اسم القدس في هذه النقوش تحت اسم « أورسالم » وهو اسمها الكنعاني ، وذلك عندما استنجد حاكمها عبد نخبيا - وكان حاكماً من قبل فرعون مصر - بأمينوفيس الثالث لصد غارات « الحايرو » (١) .

(١) يبدو أن بعض الباحثين اعتقدوا أن اسم العبريين قد ورد في لوحات تل العمارنة تحت اسم « حايرو » ، ومن المرجح أن هذا الاعتقاد خاطئ ، فمعنى الكلمة مازال يكتنفه بعض الغموض وهو في الغالب كان له مدلول عرقي في تلك الفترة ، فكلمة عبري كانت تشمل الآراميين وجميعهم عرب نزحوا من موطنهم الأصلي في الجزيرة العربية ، قبل أن يكون لليهود وجود ، أي أن مصطلح « عبرو » كان يطلق على القبائل البدوية التي هاجرت من الجزيرة العربية قبل موسى عليه السلام ، والذي لاشك فيه أن كلمة عبري أو عبراني لم ترد في القرآن الكريم وإنما ورد ذكر « بني إسرائيل » وقوم موسى ، واليهود . ولذلك لم يعرف اليهود باسم العبريين في زمن سيدنا محمد ﷺ ، وإنما عرفوا بتسمياتهم التي وردت في القرآن الكريم . وصفوة القول في هذا الموضوع إن المصادر الإسرائيلية قد صمتت عن بعض الأمور ولم تستوعب أموراً أخرى ، وأثبت دليل على صحة مانقول إن العهد القديم لم يذكر قط أخبار عاد وثمود التي انفرد بذكرها القرآن الكريم .

ويتضح لنا مما تقدم أن تسمية إبرام (سيدنا إبراهيم) بالعبراني كما جاء في التوراة (تك ١٤ : ١٣) ، كان يقصد بها انتساب سيدنا إبراهيم إلى القبائل العربية البائدة ، ولذلك لم يقصد بإبرام العبراني معنى الاسرائيلي ، وإنما العابر أو المهاجر ، وعندما وجد اليهود وانتسبوا لإسرائيل كانوا يتحدثون عن العبرية على أنها لغة كتعان ولم يطلقوا عليها العبرية إلا في وقت متأخر . ويرى البعض الآخر من الباحثين أن كلمة حايرو يقصد بها كلمة العبريين ، فهي مشتقة من الفعل (عبر) الذي كان شائعاً في اللغات السامية ومنها العربية والعبرية ، واستعمل في العبرية بمعنى « عبر النهر » والمقصود هنا نهر الفرات ، وعلى ذلك فيحتمل أن كلمة عبري كانت تعني الذي يعبر الفرات إلى آرام (سورية) ، وجاء في التوراة (تك ٣١ : ٢١) مانصه « فهرب هو (يعقوب) وكل ماكان له ، وقام وعبر النهر ، وجعل سمته نحو جبل جلعاد » ، والمقصود هنا عبور يعقوب نهر الفرات ، وكان

الفصل الأول

٤٧

ويبدو أنه في عصر الملك رعمسيس الثاني (١٢٥٠ ق.م) خرج بنو اسرائيل^(١) بقيادة موسى وعبروا صحراء سيناء ، وكان هدفهم فلسطين - التي أطلقوا عليها أرض الميعاد حسب ما جاء في التوراة - .

وفي خلال رحلة الخروج ظهر الرب لموسى باسم « يهوه » وجدد العهد بينه وبينهم - هذا حسب دعواهم - وأوحى الرب لموسى بالشرعية وأسس العقيدة حول اله واحد أحد ، إلا أن اليهود اعتبروه الههم القومي الخاص بهم ، وأنهم « شعبه المختار »^(٢) .
وتحدثنا التوراة على أن موسى قد توفي وأرض الميعاد على مرمى بصره ، فتولى يوشع بن نون قيادة بني إسرائيل وعبروا نهر الأردن واحتلوا أريحا بعد تدميرها وسفكوا دماء أهلها^(٣) ، وكذلك فعلوا مع مدن عاي والجلحال وشيلوح وبقيّة المدن الكنعانية التي احتلها أثناء تقدمهم إلى ييوس (القدس) .

== الساميون قديماً إذا أقاموا عبر النهر دون أن يشيروا إلى اسم النهر فهم بذلك يقصدون نهر الفرات ، ولذلك يقول بعض العلماء إن اسم العبريين قد أطلق على اليهود اعتباراً من رحلة يعقوب وعبوره الفرات إلى آرام (سورية) ، ولذلك فهم ينتسبون إلى من عبر بهم النهر (يعقوب) ، وهو رأي مبالغ فيه لأنه ليس العبور الوحيد في تاريخهم فهناك عبور موسى البحر بيني اسرائيل من وجه فرعون وهو عبور تاريخي أكثر من عبور يعقوب وهكذا فسّر اللغويون اليهود لفظة عبري تفسيراً عنصرياً لا يقوم على أساس متين .

راجع : عباس العقاد : ابراهيم أبو الأنبياء - صفحات ١١٩ ، ١٣٢ - ١٣٣ .

د . حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ص ٥٤ .

د . حسن ظاظا : الشخصية الاسرائيلية - صفحات ١٩ - ٢١ .

د . أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ - صفحات ٢٤٥ - ٢٥٣ .

G . R . Driver : Language Entry Britannica 1961 Vol 11 .

G . R . Driver . Semetic Writing PP . 78 - 79 .

- (١) يبدو أن كلمة بني اسرائيل أصبحت اسماً لليهود منذ أيام يعقوب على أساس أنه كان كنية له معناها « قوة الله » .
(٢) ومن اللافت للنظر أن اليهود يقرأون التوراة بروح متعصبية ونزعة عنصرية قومية ليستخرجوا من نصوصها ما يبرر ادعاءهم بأنهم شعب الله المختار .
(٣) يش ٦ : ٢١ - ٢٥ « وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها ، إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب » .

الفصل الأول

وخلال غزو بني إسرائيل لفلسطين بقيادة يوشع ، اتحد ملك اليبوسيين « أدوني صادق » مع أربعة من الملوك المجاورين (ملك حبرون - ملك يرموت - ملك لخيئ - ملك عجلون) وتصدوا ليوشع ابن نون إلا أنهم وقعوا في الأسر فأعدمهم ، ورغم ذلك لم يتمكن بنو إسرائيل من احتلال ييوس (القدس) نفسها ، إذ كانت محصنة تحصيناً منيعاً حيث قاومهم اليبوسيون الذين اتحدوا مع ملك حاصور ضد يوشع ، إلا أنهم انهزموا أيضاً وتشتت شملهم (يش ١١ : ١ - ٩) ومع ذلك لم يتم الاستيلاء على المدينة إلا بعد وفاة يوشع ، حيث حاصروها وقاموا بتدميرها^(١) ولكنهم لم يستطيعوا الاستيلاء على قلعة اليبوسيين (حصن صهيون فيما بعد) وبقيت في أيديهم مدة عهد القضاة وفترة حكم الملك شاول أول ملوك بني إسرائيل .

وكان يوشع قد شرع قبل وفاته في تقسيم فلسطين إلى أنصبة قبلية بين أسباط بني إسرائيل الأثنى عشر^(٢) محدداً مكان كل سبط . وأصبحت مدينة القدس في قطاع سبطي يهوذا وبينامين ، ورغم ذلك التقسيم إلا أن القدس ظلت مدينة ييوسية حتى عصر داود ، وقد وردت هكذا صراحة في الفقرة ٦٣ من الاصحاح ١٥ من سفر يوشع وهي مانصه « وأما اليبوسيون الساكنون في أورشليم (القدس) فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم (القدس) إلى هذا اليوم » .

ولذلك استمرت القدس على تسميتها القديمة (ييوس) أي مدينة اليبوسيين كما جاء في سفر القضاة الاصحاح ١٩ : ١١ - ١٢ مانصه « وفيما هم عند ييوس ، وقد أشرف النهار على نهايته ، قال الغلام لسيدة : تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها . فقال له سيده : لانميل إلى مدينة غريبة حيث لأحد من بني إسرائيل هنا » .

ويتضح مما تقدم أن المدينة المقدسة ظلت إلى عهد داود مدينة لليبوسيين - سكانها الأصليين - أكثر من ألفي عام قبل عهد موسى ، كما بقيت بأيدي أهلها ثلاثمائة عام أثناء الوجود اليهودي في فلسطين ثم بعد دخولهم إليها في عهد داود . ومما يؤيد ذلك أنه عندما أراد داود بناء هيكل للرب في القدس ، قام بشراء البيدر الذي كان ملكاً لرجل ييوسي يدعى آرونا (٢ صم ٢٤ : ٢٤ - ٢٥) ، ولذلك عاش اليهود أقلية بين اليبوسيين حتى تم السبي البابلي (٥٨٧ ق.م) .

(١) « وحارب بنو يهوذا أورشليم (القدس) وأخذوها وضربوها بحد السيف وأشعلوا المدينة بالنار » (قضاة ١ : ٨) .

(٢) وهذه الأسباط هي : رأوبين ، شمعون ، جاد ، يهوذا ، ياسكر ، زبولون ، افرايم ، منسا ،

وقبل أن تنتقل إلى مناقشة استيلاء داود على القدس ، نود أن نشير إلى حقيقة هامة مؤادها أن بني اسرائيل عندما غزوا فلسطين بقيادة يوشع بن نون ، وجدوا البيوسيين والأدموميين الموآبيين والعمونييين والكنعانيين وغيرهم وهؤلاء جميعهم (تك ١٥ : ١٩) عرب . إذن لم يكن اليهود هم الشاغلون الأوائل لفلسطين بل كانوا بالأحرى ولفترة محدودة بين كثيرين غيرهم من الشعوب العربية ، ولا يستطيعون بحال من الأحوال المطالبة بوضع استثنائي لهم في سياق هذا التاريخ الطويل ، إلا أن الصهيونية السياسية تخضع أحداث الماضي للتلاعب والتحريف حيث اعتبروا غزو فلسطين في عهد يوشع حرباً مقدسة ، وتتذرع بالوعد الألهي الوارد في سفر التكوين ١٥ : ١٨ مانصه : « في ذلك اليوم قطع الرب مع ابراهيم ميثاقاً قائلاً . لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » .

ولا يوجد خارج التوراة أي اشارة أو وثيقة تعود إلى هذه القصة القديمة عن اسرائيل^(١) ، ولذلك يحق لنا أن نسأل : أتستطيع أي مجموعة بشرية مهما كان وضعها أن تفرض وجودها على بقية شعوب المنطقة بمجرد ايمان تلك المجموعة بتقاليدها المتوارثة كقاعدة لوجودها . . ؟ .

= بنيامين ، دان ، آشر ، نفتالي ، يضاف إلى هذه الأسباط الأثنى عشر سبط لاوي وهم عشيرة موسى وهارون وكانت لهم الزعامة الدينية والاجتماعية على سائر الأسباط ، وكانت عشيرة اللاويين تقوم بالكهانة في مناطق الأسباط .

(١) أثبت البحث العلمي أن الجزء الأول من العهد القديم وهو المعروف بالتوراة - تورا موسى - لم يكن على هذا الحال التي نراها عليه الآن ، إذ يذهب الباحثون إلى أن الشطر الأكبر منه قد تم تدوينه فيما بين عذرا (٤٢١ ق. م) والفتح الروماني (٦٣ ق. م) ، ويعتمد العلماء على أدلة كثيرة منها نصوص من التوراة نفسها « فهاث هناك موسى . . ولم يعرف انسان قبره إلى هذا اليوم » (تثنية ٣٤ : ٥ - ٦) . ولا يمكن أن يصدر هذا القول عن موسى عليه السلام ، وهذا يقطع أن التوراة في وضعها المعروف لنا حالياً ما لا يمكن نسبته إلى موسى .

الفصل الثاني

مرحلة التعايش السلمي بين الفلسطينيين الأصليين وداود

[Redacted line]

[Redacted line]

[Redacted line]

مرحلة التعايش السلمي بين الفلسطينيين الأصليين وداود

استيلاء داود على جبل صهيون والاستعداد لبناء الهيكل

بعد وفاة يوشع بن نون سادت الفوضى بين بني اسرائيل ، وارتد كثير منهم إلى الوثنية ولذلك تشربوا كثيراً من عادات الكنعانيين وطقوسهم الدينية .

وكان النظام الاجتماعي الاسرائيلي القديم يقوم على القبيلة ، وكانت القبائل بدورها تنقسم إلى عشائر معظمها متجمعة حول هيكل مركزي في « سيلون »^(١) . وكما أسلفنا فتقسيم فلسطين إلى أنصبة قبلية جعل مدينة القدس في قطاع سبطي بنيامين ويهوذا (يش ١٥ : ٨ - ٦٣) ورغم ذلك التقسيم ظلت القدس مدينة ييوسية حتى عصر داود (قضاة ١٩ : ١٠) ، وقبله لم تكن هناك حكومة ثيوقراطية - دينية - بل كان هناك زعماء محليون يتصدرون للقيادة ، وهؤلاء هم القضاة الذين سميت باسمهم حقبة من تاريخ بني اسرائيل الديني تشمل القرنين اللاحقين لغزو فلسطين على وجه التقريب .

ولم يتسع الوقت للغزاة لتوطيد انتصارهم الأول في فلسطين ، فقد شن الفلسطينيون هجوماً مضاداً بدأ من المنطقة الساحلية وانتهى إلى داخل فلسطين ، وحاربوا بكل قوة حتى انهزم الاسرائيليون حيث أخذ الفلسطينيون تابوت العهد وهدموا هيكل سيلون . وفي هذه الفترة أيضاً كان المديانيون والمؤابيون والعمونيون والأراميون يواصلون إغارتهم على الاسرائيليين وساعدتهم على ذلك الفرقة التي كانت تمزق القبائل الاسرائيلية من الداخل . . . وفي ختام الألف الثاني قبل الميلاد وصل بنو اسرائيل إلى حالة من الفوضى والتمزق تكاد تكون تامة ، ولكن أنقذهم من ذلك رد فعل جاء في صورة دعوة لوحدة

(١) سبتينو موسكاتي : الحضارات السامية القديمة ص ١٤٠ . من الترجمة العربية للدكتور السيد يعقوب بكر .

وسيلون هي الآن خربة سيلون ، كانت في منطقة سبط افرايم ، ولم تكن لها أهمية كبيرة قبل أن ينقل تابوت العهد إلى هيكلها ، وقد ظل التابوت بها حتى وقع في أيدي الفلسطينيين الذين ربما هدموا المدينة والهيكل معاً (حوالي عام ١٠٠٠ ق.م) .

الفصل الثاني

وطنية قام بها صمويل التشبي^(١) ، فقد نجح في أن يجمع مجلساً من ممثلي أسباط الشمال والجنوب جميعاً ، ورشح لهم شاعول ملكاً على كل بني إسرائيل فبايعوه . وكان شاعول ينتمي إلى بنيامين أصغر سبط وأقربه إلى وسط البلاد ، ونصب صمويل وبقية بني إسرائيل شاعول (١٠٢٠ - ١٠٠٠ ق.م) ملكاً عليهم في الجلجال^(٢) (صم ١١ : ١٤ - ١٥) .

وقد أقيمت هذه الوحدة السياسية في وقت كان الموقف التاريخي موافقاً على نحو فريد ، فكانت مصر تحتجاز فترة تأخر واضملال ، أما آشور فكانت مشغولة بتأمين حدودها وتوطيد دولتها في العراق القديم .

وكان نظام الحكم في عهد شاعول قائماً على أساس غير ثابت إذ أن عجزه عن السيطرة على الفئات المتعارضة داخل فلسطين منعه من توطيد سيطرته عليها ، كما كان نزاعه مع داود زوج ابنته ميخال من الأسباب التي عجلت بسقوطه^(٣) . وكان شاعول قد بدأ سلسلة من الحروب ضد أعدائه وفي مقدمتهم شعب فلسطين ولكنه انهزم أمام الفلسطينيين في معركة فاصلة على جبل « جلبوع » وانتهت بمقتله منتحراً مع أبنائه الثلاثة (١ صم ٣١ : ٦) . ومن هذا السرد التاريخي لسفر صمويل الأول يتبين لنا أن الفلسطينيين كانوا قوة عسكرية لا يستهان بها في هذا الوقت^(٤) .

وبعد مقتل شاعول حاول داود أن يسيطر على الموقف لصالح بني إسرائيل ، ولكن أسباط الشمال رفضوا مبايعته ، وأقاموا اشبوش (اشبعل) ابن شاعول ملكاً عليهم في مدينة محانيم (٢ صم ٢ : ٨ - ١٠) ، بينما بايعت الأسباط الجنوبية داود ملكاً عليها في حبرون (الخليل) حكم فيها سبع سنوات ونصف (٢ صم ٢ : ١١) ، استمرت أثناءها الحرب دائرة بين الجنوب والشمال وانتهت بموت اشبوش .

وفي أعقاب ذلك اجتمع ممثلو بني إسرائيل من الشيوخ وقواد الجيش وعقدوا مجلساً من حبرون حوالي سنة ١٠٠٠ ق.م وبايعوا داود ملكاً على كل بني إسرائيل^(٥) (٢ صم ٥ : ٣) .

(١) هو النبي صمويل من سبط بنيامين وكان آخر القضاة .

(٢) تقع الجلجال في سهل أريحا إلى الشمال الشرقي للقدس .

A . Lods : Israel From Its Beginning PP . 352 - 358

(٣) يوحنا أهارون : اوتس إسرائيل بتقوت همقرا (أرض إسرائيل في عصر المقر) ، ١٩٦٢ م

(٤) E. Heaton : The Philistines And Old Testament PP . 170 - 171 (1971)

LODS : Israel PP . 359 - 360 (٥)

M.L Margolis . A History of the Jewish People PP . 45 - 47 (1969) .

الفصل الثاني

٥٥

ومن الجدير بالذكر أن الكاتب اليهودي أهاروني قد أنكر مساعدة الفلسطينيين لداود ، على الرغم من اشارة العهد القديم لهذه المساعدة والتي ورد فيها أن داود قد لجأ إليهم لمساعدته في نضاله ضد شاعول ، وقد استمرت هذه المساعدة بعد موت شاعول نفسه . وجاء عن ذلك في سفر صمويل الأول مانصه « وقال داود في قلبه إني سأهلك يوماً بيد شاعول فلا شيء خير لي من أن أفلت إلى أرض الفلسطينيين فيأس شاعول مني » (١ صم ٢٧ : ١) « وكان عدد الأيام التي سكن فيها داود في بلاد الفلسطينيين سنة وأربعة أشهر » . (١ صم ٢٧ : ٧) .

وقاوم الفلسطينيون وحدة بني اسرائيل بقيادة داود الذي شعر بخطرهم ولذلك خطط للقضاء عليهم وهزمهم في معركتين فاصلتين في وادي الرفائين (٢ صم ٥ : ١٧ - ٢٥ ، ٨ : ١٠) جنوب القدس ، حيث طاردهم حتى المنطقة الساحلية ، وبذلك انحسر خطر الفلسطينيين على بني اسرائيل فترة من الزمن . وفي أعقاب ذلك فكر داود في تغيير عاصمته حبرون في الشمال ، واتجه نظره إلى مدينة القدس (ييوس) في الجنوب وكانت في أيدي البيوسيين العرب ، فخطط للزحف نحوها بجيش قوامه ثلاثون ألف مقاتل ، إلا أنه واجه مقاومة عنيفة من البيوسيين ، ولكنه كرر هجومه وانتزع منهم جبل صهيون وبنى عليه قلعة حصينة اتخذها قاعدة لانطلاقه حيث مارس ضغوطاً على سكان المدينة حتى استولى عليها واتخذها عاصمة للملكه ، وكان اختياره للقدس يعد دليلاً واضحاً على حنكته السياسية فهي مدينة محايدة تتمتع بمزايا كثيرة فهي ذات موقع استراتيجي وسط فلسطين على تل يرتفع حتى ٢٦٠٠ قدماً فوق سطح البحر وتحيط بها وديان عميقة ، ومن ثم تصلح أن تكون عاصمة حصينة ، ورغم كل هذه الأحداث ، فلم يحدث اندماج حقيقي بين اسباط الشمال والجنوب ، وبقي هذا الانفصال قائماً في ضمائرهم . ونلاحظ أن مقدرة داود نفسها لم تكن لحفظ السلام داخل مملكته ، بل أنه في وقت من الأوقات ، حين تزعم ابنه ابشالوم الثورة ضده ، اضطر إلى الفرار إلى ماوراء نهر الأردن ، لينجو بنفسه^(١) (٢ صم ١٥ ، ١٩) .

وكان داود قد أقام في البداية في حصن صهيون قبل استيلائه على المدينة ، وكانت عليه قلعة أمامية لليوسيين يدافعون منها عن القدس ، وكانوا يسمون جبل صهيون بكل منشأته « المدينة الفوقانية » ، أما « المدينة التحتانية » فقد أطلقوا هذا الاسم على هضبة الحرم (جبل الموريا) . وقد بدأ داود بزيادة تحصينات قلعة البيوسيين في « المدينة

(١) . A Sachar · History of the Jews P . 35 (1973)

A . T . Olmstead : History of Palestine and Syria PP . 316 - 317 (1923)

LODS : Israel P . 360 .

الفصل الثاني

الفوقانية » وجعلها قاعدة لحكمه ولذلك سميت « مدينة داود » ثم صار الاسم يطلق على المدينة كلها^(١) . وقد ظل اليبوسيون في الإقامة في القدس وأقام الملك قصراً عليها بمساعدة المهندسين والعمال الفينيقيين^(٢) ، ثم نقل تابوت العهد إلى القدس حيث تركزت السلطة الدينية والسياسية والعسكرية جمعياً واستمر داود في الضغط على اليبوسيين ومضايقتهم في جبلهم (الموريا) ، وخطط لبناء هيكل للرب فبدأ بشراء بيدر آرونا اليبوسي الذي كان يتخذ جرنًا ومربضًا لماشيته ، فوافق على بيعه لداود بما فيه من المواشي بخمسين شاقلاً من الفضة . ومن اللافت للنظر أن « القدس » (ييوس) قبل إقامة داود بها ، كانت مدينة ذات حضارة حيث اشتملت على منازل كبيرة بها الكثير من أسباب الراحة وكان فيها حكومة وصناعة وتجارة ، بالإضافة إلى أنها كانت آهلة بسكانها اليبوسيين وهم إحدى القبائل الفلسطينية ، ومعرفة الله فيها بالوثائق ترجع على الأقل إلى ملكي صادق الذي كان كاهنًا لله العلي قبل موسى بحوالي خمسمائة عام ، ولذلك تشرَّب الاسرائيليون هذه الحضارة من اليبوسيين ومن المدن الكنعانية الأخرى التي احتلوها بالغزو، فغادروا الخيام وسكنوا في منازل كمنازل اليبوسيين والكنعانيين ، وسكنوا الطابق الأرضي على خلاف ما تبعه اليبوسيون والكنعانيون من قبل في استخدامهم للطابق الأرضي كمخازن وكحجرات لاقامة الخدم ، وخلعوا عنهم الجلود ولبسوا ثياباً منسوجة من الكتان والصوف كثياب الكنعانيين .

ولما كانت عشيرة داود هي سبط يهوذا ، فقد بدأ الاسرائيليون يسمون باليهود أيضاً منذ هذا الوقت ، ويعتقد كثير من المؤرخين أن أهم العوامل التي ساعدت داود على توطيد مملكته أن الأحوال في مصر كانت مضطربة فضعفت سيطرتها على فلسطين وبلاد الشام ، بالإضافة إلى أن الدولة الآشورية كانت في حالة من الضعف جعلت لداود حرية الحركة والنشاط .

موت سليمان والتعنت الاسرائيلي

بعد موت داود خلفه ابنه سليمان (٩٧٣ ق . م تقريباً) وكان على عكس والده يميل إلى حل مشاكله السياسية والاقتصادية حلولاً دبلوماسياً . وإذا أردنا الكشف عن الاهتمامات الحقيقية التي كانت تشغل سليمان ، فإننا نجد أنه أدرك مبكراً أن مملكته الصغيرة لن تدوم إلا بتدعيم علاقاته الودية مع الدول الكبرى التي تحيط به ، فقام بتوثيق علاقاته مع جيرانه التي كان داود قد بدأها مع ملوك صور ، وتزوج سليمان ابنه فرعون

(١) ظاظا : اسرائيل ركيزة للاستعمار - ص ٨٨ .

(٢) LODS . Op . Cit P . 361 .

مصر - أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرين - الذي أهدى له مدينة جازر ، وكان فرعون مصر قد استولى عليها مؤخرًا من الكنعانيين (١ ملك ١٦:٩) .

وقد امتاز عهد سليمان بتقدم تجاري كبير ، كفله الموقع المتميز لفلسطين على طرق التجارة بين مصر وسوريا وسيطرته عليها ، فدخل مع ملك صور شريكا في الاسطول التجاري ، وأدى ذلك إلى مساعدة حيرام ملك صور لسليمان في بناء الهيكل عن طريق امداده بالذهب وخشب الأرز وبقيّة المواد اللازمة لعملية البناء بالإضافة إلى امداده بالكثير من العمال المهرة .

بدأ سليمان ببناء سور يحيط بجبل الموريا ، ثم أخذ في بناء الهيكل الذي كان قد بدأه قبل وفاته ومن المؤكد أن المهندس المعماري الفينيقي الذي صمم هيكل سليمان ، قد استوحاه من الفن المعماري السامي ، فالتصميم العام لمعبد سليمان ، يكاد يماثل تصميم المعبد الكنعاني مع اختلافات غير جوهرية أهمها أن قدس الاقداس كان في نهاية المعبد . ودليلنا على ذلك أن المعبد الكنعاني الذي تم اكتشافه في بيت شان والذي يعود تاريخه إلى عام ١٣٠٠ ق.م ، كان نقطة تحول في تصميم المعبد الكنعاني ، فهو يتكون من غرفة خاصة مربعة الشكل تقع في نهاية الغرفة الرئيسية للمعبد ، ويتم الوصول إلى الغرفة العليا بواسطة بعض الدرجات حيث تمثل للاله ، وتمثل الغرفة العليا قدس الاقداس الذي يعتبر صفة مميزة لمعبد سليمان فيما بعد ، وكانت هذه الصفة المميزة موجودة أيضاً في معابد مصر والعراق . كما كان هناك مذبح صغير أمام التمثال المرتفع حيث تقدم البخور في الغرفة العلوية ، وربما كانت توقد أيضاً بعض الشموع وفي الفناء الخارجي للمعبد يوجد المذبح الرئيسي حيث تحرق القرابين .

إذا كان المعبد الي عهد داود وسليمان قد اقتصر على أن يكون بيت الله يأتيه بنو اسرائيل لاقامة شعائرتهم حيثما كان^(١) فإنه مع قيام المملكة قد أصبح يغطي مسئوليتين كبيرتين ، الأولى منها أن يصبح المعبد المركزي ومكان الحج المحدد الذي لا يتجه الناس الي سواه ، ثم إنه في نفس الوقت صار رمزاً على فخامة ملك سليمان وعظمة الجالس على عرش بني اسرائيل .

وإذا كان الباحثون قد قللوا من الأهمية المعمارية لهذا البناء الجديد معتمدين على المآثور

(١) فقبل ظهور الملكية سياسياً كان اليهود يعبدون الله في أي مكان وقد عبدوه مع موسى وهارون أربعين عاماً في سيناء وليس في بقعة معينة ، فأبنا وصلوا كانت « خيمة الاجتماع » التي بها تابوت العهد وفيها يقيمون الصلاة ، وبعد موسى وهارون وعلي مدى ثلاثمائة عام - عصري يوشع والقضاة - كانت أماكن العبادة متفرقة ، حتى إنها كانت في بعض الأحيان حول المدن الفلسطينية القديمة .

الفصل الثاني

الذي جاءتهم به الكتب اليهودية ، فإن الذي لاشك فيه هو أن عمل سليمان لم يكن بناء معبد فحسب ، بل كان مشروعاً هندسياً معمارياً ضخماً جداً لبناء عاصمة جديدة كاملة ، لم يكن داود قد أتم منها الا القلعة التي شيدها علي جبل صهيون وداره التي بناها بالقرب من القلعة ، أما سليمان فإنه تصور خريطة لعاصمة كاملة بأسوارها ومعبدتها المركزي وقصرها الملكي ومبانيها الدينية والادارية ومساكن زوجاته ومملكته يمينه ممن دان بالشريعة الموسوية ومن لم يدخلها . وسنرى أنه جعل في عاصمته حياً دينياً وآخر ملكياً وثكنات للحرس وحياً لغير التابعين للشريعة الموسوية من نسائه وحشمه ، وأقام الأسوار الفاصلة بين هذه الأحياء والتحصينات المحيطة بها والسلام المؤدية إليها من الأراضي المنخفضة المحيطة بها ، كما أعد خزانات المياه والأحواض والبرك التي يجد فيها المتعبدون والحجاج ما يحتاجون إليه من الماء ، وهو في المدينة المقدسة ما يزال حتى يومنا هذا يشكل معضلة تفاجيء الناس بأزمة من حين إلى حين .

فالأمر كما نرى ليس مشروعاً صغيراً نفذه سليمان كما اتفق ، وإنما هو شيء يسهل معه تصور مجاء في القرآن الكريم حول ضخامة الجهد الذي بذله سليمان بن داود لجعل عاصمة ملكه لا تنقل لا دينياً ولا سياسياً ولا إدارياً ولا عسكرياً عن أية عاصمة في المنطقة ، فنحن نعلم أن الفناء الخارجي للمعبد سليمان كان يحتوي على حوض ضخم جداً مصبوب من البرنز وقائم على تماثيل لاثني عشر ثوراً تمثل الأسباط الاثني عشر ، وكان هذا الحوض يسمى « بحر النحاس » ، ولعله المقصود به « جفان كالجواب » كما جاء في قوله تعالى (وسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير . يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور » (سورة سبأ آية ١١ ، ١٢) .

ورأينا نموذجاً من الجفان والتماثيل أما المحاريب فلنا أن نتصور أن هذا المعبد المنقسم إلى ساحة خارجية ثم فناء مكشوف ثم صالة مسقوفة ثم صالة داخلية فيها قدس الأقداس ، كل هذا كان يتضمن عدداً كبيراً من المحاريب حتى يستطيع العامة في الساحة وفي الفناء المكشوف أن يشاركوا في الشعائر مع الخاصة في البهو المسقوف وخاصة الخاصة ومن بينهم الملك وكبار الكهنة في قدس الأقداس .

ومن المفيد أن أذكر للقارئ نص مجاء في سفر الملوك الأول الاصحاح الخامس فقرة ١٣ - ١٦ « وسخر الملك سليمان حشوداً كبيرة من بني اسرائيل تقدر بحوالي ثلاثين ألف رجل ، فأرسلهم إلى لبنان ، عشرة آلاف في الشهر من النوبة ، يكونون شهراً في لبنان

وشهرين في بيوتهم ، وكان أدونيسرام على التسخير ، وكان لسليمان سبعون ألفاً يحملون أحمالاً وثمانون ألفاً يقطعون في الجبل . . . وأمر الملك أن يقلعوا حجارة كبيرة ، حجارة كريمة لتأثيث البيت ، حجارة مربعة . ويتضح لنا من نص سفر الملوك أن عدد الصناعات الذين اجتمعوا في القدس ضخم جداً ويزيد على مائة وخمسين ألف عامل .

وهكذا يبدو لنا أنه لا تعارض بين ماجاء في القرآن الكريم من أبهة مُلك سليمان وماورد في العهد القديم (سفر الملوك الأول) ، ولذلك نشعر أن مُلك سليمان كان أبعد مايكون عما أراد الباحثون^(١) أن يصفوه به من الصغر والفقر والتقشف ، وإلا لما واجه هذا التمرد الذي تواتر في المأثور أن سببه الظاهر كان الاسراف ، وكذلك تواتر في هذه المآثورات اليهودية أنه بعد الفراغ من البناء واستقبال ملكة سبأ ، أن بني اسرائيل قد تمردوا على سليمان لكثرة نفقات المملكة وإمعانه في توفير وسائل البذخ ، مما أرهقهم بالضرائب لدرجة أنه لكي يقر عدالة التوزيع بينهم جعل الانفاق على المملكة على كل سبط من الاثني عشر شهراً من السنة .

ولعله من المفيد أن نذكر اليهود بأن الحرم الاسلامي الشريف أقيم في نفس المنطقة التي كان « ملكي صادق » يدعو فيها باسم الله العلي في زمن سيدنا ابراهيم ، ومن المرجح أن السور الذي كان يحيط بمنطقة الهيكل على عهد سليمان ، كان مربعاً طول ضلعه مائة وثمانون متراً . ولقد وقفنا على دراسة دقيقة للأثر الفرنسي « دي سولسي » في كتابه « تاريخ الفن اليهودي » ، يشير فيها إلى أن مقاييس الحرم الاسلامي الشريف في نفس المنطقة هي « الضلع الشرقي لسور الحرم طوله ٣٨٤ متراً » ، والضلع الجنوبي ٢٢٥ متراً ، ثم يمتد الضلع الغربي في خط مستقيم بزاوية منفرجة ، وبذلك يصبح الضلع الشمالي من السور أطول بكثير من الضلع الجنوبي . وعلى ذلك فمساحة الحرم الشريف أكبر من ضعف مساحة جبل الهيكل داخل أسوار سليمان أو نحميا أو هيردوس .

وقد يكون من أبرز المعالم التي تميز الحرم الاسلامي الشريف أنه مستطيل ويأخذ الاتجاه

(١) ومن اللافت للنظر أن الأساطير التي نُسجت عن فخامة هذا الهيكل وضخامته لا يمكن أن تكون قد نجت من شحطات الخيال ، ولذلك وصلت إلينا مبالغاً فيها أشد المبالغة ، وليس أدل على ذلك من أقوال الكاتب اليهودي الأمريكي لويس براون في كتابه بعنوان « حياة اليهود » مائمه « إن انجازات سليمان في القدس ، وفي مقدمتها قصره الملكي كانت تبدو في عين اليهود السذج من رعيته فخمة فخامة تفوق التصور ، مع أنها لو قورنت بالقصور الهائلة في مصر وبابل أو الهند لبدت ضئيلة سمجة الذوق » .

من الشمال الى الجنوب في اتجاه قبلة مكة المكرمة ، على خلاف هيكل سليمان فبرغم استطالته فهو يأخذ الاتجاه من الغرب الى الشرق^(١) .
كل هذا ينفي نفيّاً قاطعاً الرأي القائل بأن هيكل سليمان يقوم مكان الحرم الاسلامي الشريف ، ولا دليل لليهود سوى العنعنات التي اتخذت في نفوسهم منزلة مقدسة يكررونها عبر الأجيال .

(١) ظاظا : اسرائيل ركيزة للاستعمار - صفحات ١١٦ - ١١٧ .

الفصل الثالث

الفلسطين

موجز لتاريخ القدس منذ انقسام مملكة
بني إسرائيل بعد سليمان

موجز لتاريخ القدس منذ انقسام مملكة بني إسرائيل بعد سليمان

الانقسام وانتشار الوثنية بين اليهود

انعكست مظاهر الترف في عهد سليمان على عاتق سكان فلسطين ، حيث أقام نظاماً للضرائب الباهظة من أجل بناء الهيكل وملحقاته وفي سبيل تحقيق هذا قام بتقسيم المملكة - فيما عدا يهوذا - إلى اثني عشر قسماً إدارياً لا تتوافق في حدودها مع حدود الأسباط الاثني عشر (١ ملك ٤ : ٤ - ١٨) ، وعيّن حكاماً على كل قسم وذلك لتسهيل جباية الضرائب من رعاياه وتجهيز الامدادات الخاصة بالبلط المملكي شهراً كل سنة (١ ملك ٤ : ٧) . ومن ناحية أخرى فقد كان هدفه كذلك جمع شملهم ومحاولة القضاء على النزعة الانفصالية بينهم^(١) .

وقد اعتبرت الأسباط الشمالية بناء الهيكل في الجنوب على أنه مركز لجباية الضرائب ، وإساءة في حقهم أكثر منه اجتذاباً لهم ، وهكذا كانت الزيادة الكبيرة في الضرائب مع التقسيم الإداري الجديد سبباً في اندلاع الثورة وتفجرها لأول مرة أثناء حكم سليمان نفسه والتي تم اخمادها حوالي عام ٩٤٣ ق.م واضطر زعيمها يربعام بن نباط للهرب إلى ششون فرعون مصر وأول ملوك الأسرة الثانية والعشرين^(٢) .

وبعد موت سليمان انتهى النفوذ اليهودي في فلسطين ، وطفئت على السطح مظاهر الانفصال والشقاق القديم بين الأسباط الشمالية والأسباط الجنوبية ، فما كاد ابنه « رحبعام » يخلفه على العرش حتى ثارت عليه الأسباط للشمالية ، وذلك عندما أدرك أنه من الحنكة السياسية أن يحضر اليهم في الشمال لكي يبايعوه ملكاً ، ولكنهم رفضوا مبايعته بعد رفضه تخفيض الضرائب عن كاهلهم وهرب إلى القدس (١ ملك ١٢ : ١٨) ، حيث بايعه سبطي يهوذا وبنيامين ملكاً على بني إسرائيل في الجنوب .

(١) أشعيا برس : محقرم يديعت هأرتس وطبوغرافيا مقرائيت .

(بحوث في الجغرافيا والطبوغرافيا التوراتية) .

راجع يوحنا أهاروني : المرجع السابق صفحات ٢٦١ - ٢٦٢ .

(٢) . (١٩٦٨) P . 7 From Elephantine Archives . B . Porten

الفصل الثالث

وفي الوقت نفسه بايعت الأسباط الشمالية يربعام بن نباط من سبط افرايم - الذي عاد من مصر بعد موت سليمان - ملكاً على بني إسرائيل في الشمال (١ ملك ١٢ : ١٩) ، واتخذ شكيم (نابلس) عاصمة له^(١) ، ثم نقل العاصمة إلى فينوثيل على نخاضة اليبوق عبر الأردن ، وربما كان ذلك تفادياً للتهديد المسلح من جانب مملكة يهوذا ومصر أيضاً ، بالإضافة إلى أنها كانت معرضة دائماً للهجوم من جانب آشور وبعض الدويلات الآرامية ، في حين أن مملكة يهوذا كانت حدودها آمنة فيما عدا حدودها مع مصر^(٢) ، وبعد ذلك نقل يربعام عاصمته من فينوثيل إلى ترصة^(٣) ، حيث استقر بها . (١ ملك ١٤ : ١٧) .

ويبدو أن يربعام عمل على توسيع شقة الانفصال بين المملكتين « إسرائيل ويهوذا » ، ولذلك بنى معبدتين أحدهما في « دان » في الشمال والآخر في « بيت ايل » (بيتين) الذي اتخذ مزاره الملكي المقدس ، وكان يربعام قد أحاط هذين المعبدتين بهالة من القدسية ليعوض الأسباط الشمالية عن نقص « تابوت العهد » وغيره من الأشياء التقليدية المقدسة واليهودية المرتبطة بهيكل سليمان في القدس ، وفي سبيل تحقيق ذلك زوّدهما بعجلين ذهبيين وخصص فريقاً من الكهنة لخدمة المعبدتين وأداء الطقوس الدينية ؛ وربما أن يهو لم يعد رباً لإسرائيل ذلك لأنها اعتادت تجسيد يهو في شكل عجل ، ولم يكن ذلك جديداً في إسرائيل ، وربما كان هذا كتقليد للآراميين المجاورين الذين كانوا يُسرون من تمثيل بعل هدد في شكل عجل أو ثور^(٤) (١ ملك ١٢ : ٢٨ - ٣٢) .

وهذه الصورة القائمة تأتينا من المصادر الجنوبية في يهوذا ، ولكن المصادر الشمالية تعطي تقييماً مختلفاً تماماً لما قام به يربعام ، فمن الواضح أن يربعام وبقيه ملوك إسرائيل لم يلقوا يهو خلف ظهورهم ، ولم يعتبروا العجول الذهبية آلهة أخرى ، وهذا مخالف لما كتبه المؤرخ الجنوبي (١ ملك ١٤ : ٩) ، فالملك ياهو (كما سيرد فيما بعد) الذي أشارت إليه النبوءات على أنه سيكون محطاً للآلهة البعلية الكنعانية لم يقم بإزالة العجول الذهبية ، ولم

(١) The Jewish Quarterly Review , Vol . 58 (1967 - 1968) .

Eva Denellus , The Sine of Jeroboam Ben - Nebat P . 100 .

A . Olmstead : History of Assyria P . 131 . (٢)

(٣) ترصة مدينة كنعانية قديمة هزمت على يد يوشع بن نون (يوشع ١٢ : ٢٤) ، وموقع ترصة غير معروف على وجه الدقة ، وأكثر الافتراضات احتمالاً أنه قريب من مدينة السامرة التي أنشأها عمري بعد ذلك .

(٤) الامام بن حزم الأندلسي : الفصل في الملل والأهواء والنحل . الجزء الأول صفحات ١٥٢ - ١٥٣ . (١٩٦٤) .

الفصل الثالث

٦٥

يلفظ النبيان « الياهو »^(١) و« الإشع »^(٢) بأي كلمة ضد هذه العجول ؛ واعتبارها تعبر عن آلهة أخرى كما جاء في سفر الملوك الأول (١٤ : ٩ ، ١٥) ، يعكس وجهة النظر الجنوبية ، وهي على أي حال اداة جاءت في وقت لاحق . ومن المرجح أن العجول لم تكن نماذج مجسدة لآلهة اسرائيل ، فمن الواضح أنه للدوافع السياسية التي أسلفناها ، قام يربعام ببناء معابد في مملكة اسرائيل على غرار هيكل سليمان في القدس ، ولذلك كان في حاجة إلى رمز يحل محل تابوت العهد^(٣) الجنوبي ، فأقام العجلين الذهبيين كما أسلفنا والالذان كانا على الأرجح من النوع المجنح ، ويمكن اعتبار ذلك بمثابة تطوير أو نموذج آخر للكروب^(٤) .

(١) الياهو : معنى الاسم « يهوه هوربي » ويسميه القرآن الكريم الياس والياسين وقد ذكر مرة في سورة الانعام آية ٨٤ « وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين » .

(٢) الإشع : هو تلميذ الياهو وخليفته ومعنى هذا الاسم « الله خلاص » ، ويسميه القرآن الكريم « اليسع » وقد ذكر في سورة الانعام ٨٥ « واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلناه على العالمين » .

* ونحن نرى ان الاسرائيليين كانوا دائماً مرتبطين بتقديس العجول بشكل أو بآخر ولولا الردة التي حدثت في عبادة العجل في سيناء ، لما تراشقوا في الشمال والجنوب بتهمة عبادة العجل ، وربما كانت قد مرت بدون لفظ كبير ، فمعروف أن حوض غسل القرايين الموصوف في العهد القديم في هيكل سليمان بالقدس والمعروف باسم « بحر النحاس » ، كان يقوم على اثني عشر عجلًا من البرونز ، ولو تتبعنا المعتقدات الخاصة بارتباط العجول عند بني اسرائيل بغيبيات دينية ، لطال بنا الحديث وخرجنا به عن المقصود .

(٣) تابوت العهد : أو تابوت الشهادة حيث أودع به لوحا الشهادة اللذان نقشت عليهما الشريعة ، وهو صندوق مصنوع من خشب السنط طوله ذراعان ونصف (حوالي ١٢٥ متر) وعرضه ذراع ونصف (خروج ٣٧ : ١ - ٩) .

(٤) الكروب : يوجد في داخل غرفة قدس الأقداس بهيكل سليمان ، حيث يغطي تابوت العهد بتمثالين من الكرويين واحد على يمينه والآخر على يساره وطول جناحي الكروب الواحد عشرة أذرع (خمسة أمتار) وهو مصنوع من خشب الزيتون المطعم بالذهب وارتفاعه عشرة أذرع (١ ملك ٦ : ٢٣ - ٢٨) ، وكان الرب - حسب أقوال اليهود - يكلم موسى من فوق غطاء تابوت العهد من بين الكرويين اللذين يظللان التابوت . وكلمة كروب ليست عبرية خالصة وأغلب الظن أنها اشتقت من كلمة « جروبس » اليونانية ، وهو اسم كائن خرافي له جسم أسد ورأس طائر (نسر عادة) ، ولكن الرأي السائد أنها أكديّة الأصل من مادة « كاربيا » ومادة « كرب » في الأكديّة معناها « صلي » ثم تطورت فكرة الكرويين لدى اليهود في العصور اللاحقة .

راجع اسبيتينو موسكاتي : الحضارات السامية القديمة ص ٢٨٦ من الترجمة العربية للدكتور يعقوب بكر .

إذن فليس هناك فارق بين العجول والكروبيين ، وينبغي ألا تضللنا الروايات اليهودية التي تحاول أن تعطي الانطباع بأن الكروبيين تنطوي على أفكار دينية أكثر نقاء من العجول . وهكذا كان حال ما يسمى بالمملكة الشمالية والمملكة الجنوبية المزعومتين في وقت مبكر بعد موت سليمان ، فقد كانت الوثنية متفشية في الشمال والجنوب تحت مسميات مختلفة ، كل يدعي لشعبه أحقية معابده بالقداسة ومحيطها بهالة من الاحترام والقدسية ويتهم جاره بالكفر ، فأين إذن الاستقرار الذي عاشه اليهود على أرض فلسطين . . . ؟ إننا على ضوء مفهومنا الشمولي لتاريخ فلسطين سنوضح بالشواهد والأدلة أن اشعاع اليهودية الروحي لم يرتبط أبداً بالعودة إلى فلسطين ، وأن تاريخ ملوكهم الهامشي يرتبط دائماً بالتبعية لملوك مصر أو ملوك آشور .

على أن مانلحظه اليوم ونخشاه ، هو أن يُفهم بطريق الخطأ أننا نسرد تاريخ ملوك اليهود في الجنوب والشمال ، والذي نحب أن نؤكد دائماً أننا نتعرض لهذا التاريخ الهامشي لنوضح دائماً الانقسام الذي نشأ بين المملكتين في معظم الأحيان والذي أسرع بانتهيارهما ، وكذلك كيف استقرت الفتن في داخل كلتا المملكتين ، وكيف استمرت المؤامرات وأعمال الاغتيال والارهاب لأسباب شخصية وأخرى سياسية ودينية ، حيث تفشت الوثنية والفساد الخلقي بين الجميع ، وجاءت الغزوات من الخارج متكررة ومتلاحقة تضعضع الكيان اليهودي في فلسطين ، فالأراميون من سورية والعمونيون والمؤابيون والأدوميون والفلسطينيون العرب ؛ كل هؤلاء ضيقوا الخناق على مملكتي إسرائيل ويهوذا ثم بدأت قوات مصر وآشور تأخذ طريقها إلى مهاجمة المملكتين المزعومتين .

ششنق وغزو فلسطين

وفي صيف عام ٩٢٤ ق.م فتح فرعون مصر ششنق فلسطين ، ويظن بعض المؤرخين أن حملة ششنق غير مؤكدة ، إلا أن المصادر الأثرية تصور لنا سير العمليات العسكرية في مملكتي يهوذا وإسرائيل ، وقد بدأ ششنق هجومه باحتلال غزة واتخذها مركزاً لتجميع قواته ، ويبدو أنه قسم قواته ثلاثة أقسام في ثلاثة اتجاهات ، حملتان في اتجاه النقب ، أما الحملة الثالثة والرئيسية فقد توجهت بقيادة ششنق نفسه لمهاجمة المدن الحصينة في يهوذا مخترقاً سهل فلسطين ، واستولى على عجلون وبيت حران وجبعون حيث انتظر قرار رجبعام ، إما بدفع الجزية أو الاستسلام ، ولكنه فضل دفع الجزية (١ ملك ١٤ : ٢٥ - ٢٧) ، ولذلك لم تظهر القدس في قائمة المدن التي استولى عليها ششنق^(١) .

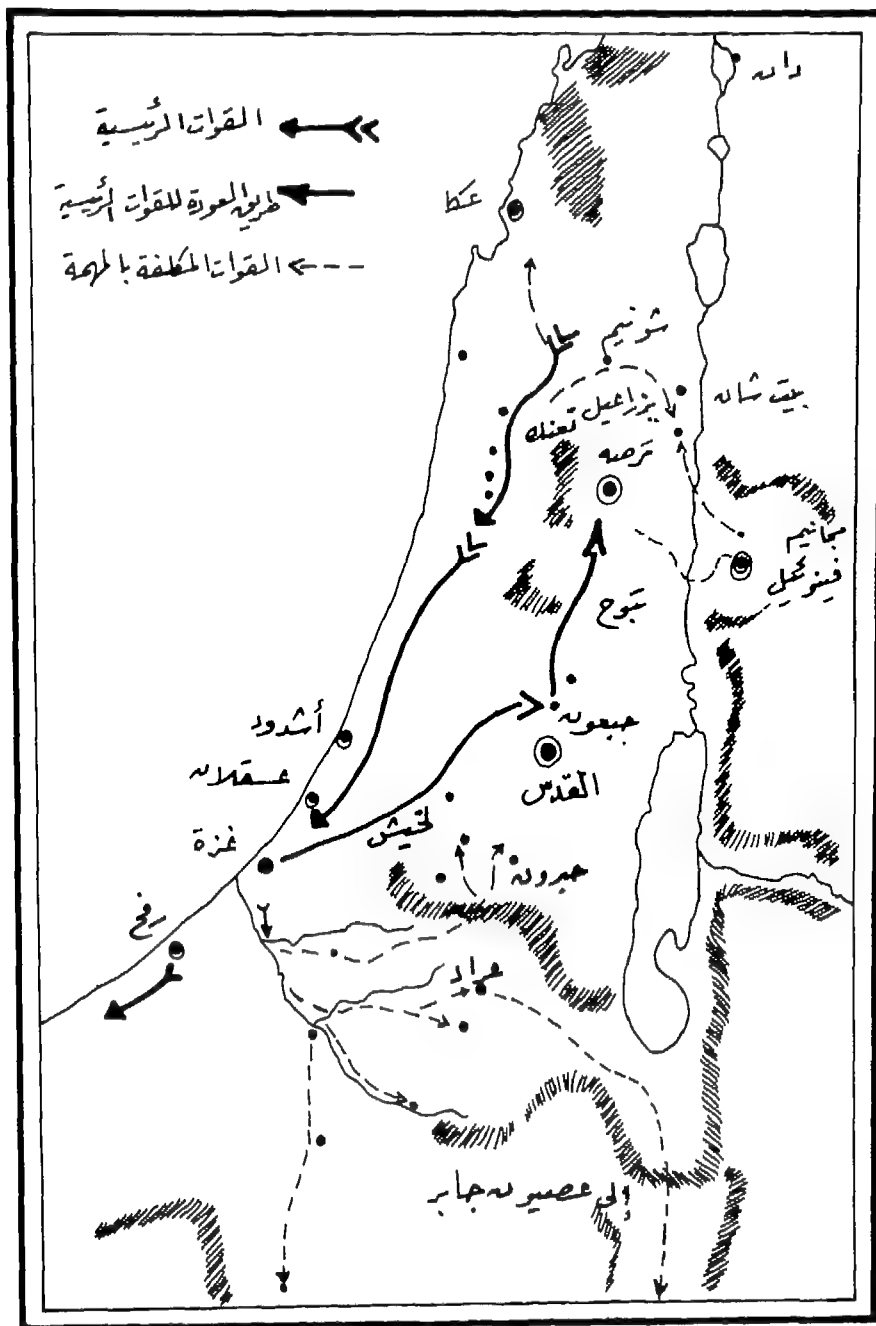
وبعد نجاح حملته في يهوذا استمر في تقدمه نحو مملكة اسرائيل في الشمال ، وعندما شعر يربعام بقرب وصوله ترك عاصمته ترصة وتقهقر عبر الأردن إلى فينوثيل ثم مخانيم . ووجد ششنق طريقه سهلاً لاحتلال شكيم (نابلس) ثم اتخذ بعد ذلك ترصة قاعدة لعملياته ضد يربعام الذي استسلم ودفع الجزية واعتبر نفسه تابعاً لفرعون مصر ، وتابع ششنق هجومه في الشمال حتى مجيدو التي اتخذها قاعدة لعملياته في شمال اسرائيل وهناك أقام نصباً تذكاريّاً بارتفاع عشرة أقدام (اكتشف قمته « فيشر » عام ١٩٢٩) ، وبعد أن اطمئن إلى تبعية ملكي يهوذا واسرائيل ودفعهما للجزية عاد إلى مصر عبر الطريق الساحلي من الكرمل وحتى غزة ، وهناك التقى بالمجموعتين اللتين كانتا في صحراء النقب وعادوا جميعاً عبر سيناء إلى مصر حيث احتفل بالنصر^(١) .

وقد سجل ششنق أعماله الحربية في فلسطين على الحائط الغربي لمعبد آمون في الكرنك ، ومن اللافت للنظر أن اسم مدينة القدس لم يرد ذكره في قائمة الكرنك للمدن التي استولى عليها ششنق ، بينما نجده واضحاً في سرد العهد القديم لهذه الأحداث (١ ملك ١٤ ، ٢ أخ ١٢ : ٢ - ٤) ، ويبدو أن بعض الأثريين فشلوا في العثور على اسم القدس في هذه القائمة حتى تحت اسم آخر . ويرى بعض الباحثين أن حملة ششنق شملت يهوذا فقط وأنها تمت بطلب من يربعام ملك اسرائيل ، ولكننا نجد أسماء بعض مدن اسرائيل (تعنك ، مجيدو ، فينوثيل) ضمن قائمة الكرنك ، ومن غير الممكن كذلك أن يكون الكتبة قد ذكروا كل الأماكن المعادية أو الصديقة التي تدفع الجزية لفرعون مصر .

ولقد وقفنا في حملة ششنق على نتيجة بالغة الأهمية ، وهي أن مملكتي يهوذا واسرائيل أصبحتا تابعتين لمصر يدفعون الجزية كل عام ، وقد انتقلت العداوة بينهما إلى أحفادهم وظلت لسنوات طويلة وإن تخللها علاقات ودية في بعض الأحيان .

وكانت وفاة يربعام ايذاناً بتغيير واضح في سياسة اسرائيل ، واعتبر ذلك أحد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى ضعفها وضمحلها ، فعلى صعيد العصيان والتمرد نجد أن الخنزرج على العرف المألوف أصبح السمة الطبيعية في اسرائيل ، - التي لا تتمتع بأي استقرار سياسي أو اجتماعي - فقد أفل نجم ناداب بن يربعام وانتهى الأمر باغتياله في السنة الثانية لحكمه نتيجة مؤامرة نسج خيوطها بعشا بن أخيا (٩١١ - ٨٨٧ ق.م) من قبيلة يسساكر ، وبذلك قضى نهائياً على أسرة يربعام - الذي كان من سبط أفرايم - (١

(١) يوحانان أهاروني : المرجع السابق صفحات ٢٧٠ - ٢٧١ .



حلة ششنق الأول على فلسطين (٩٢٥ ق.م)

ملك ١٥ : ٢٧ - ٢٩) .

ويهمنا في هذا المقام أن نبرز استمرار العداوة بين المملكتين ، حيث ذهب بعشا - ملك إسرائيل - في عداوته لمملكة يهوذا إلى حد التحالف مع « بن هدد » ملك الأراميين في دمشق ، واتجه إلى الجنوب مؤيداً بهذا التحالف ، واستولى على رامة المحصنة - تقع على بعد خمس أميال من القدس - لكي يغلق الطريق المؤدية إلى يهوذا (١ ملك ١٥ : ١٦ - ١٧) . ولليهود منذ فجر التاريخ أسلوبهم في الدهاء السياسي والذي يتخذونه أساساً في حل مشاكلهم ، وخير من يمثل هذه السياسة آسا ملك يهوذا الذي نجح في استمالة « بن هدد » إلى جانبه بما قدمه له من العطايا الثمينة ، وبذلك انقلب بن هدد على حليفه ملك إسرائيل . وتكرر حوادث الاغتيال بقتل ايلاه بن بعشا ثم باعدام القاتل خلال أسبوع واحد من اعتلائه العرش ويصبح عمري « قائد الجيش » ملكاً على إسرائيل (٨٨٥ - ٨٧٤ ق.م) ، وكان معاصراً لآسا ملك يهوذا (٩١٥ - ٨٧٥ ق.م) .

وأقام عمري في ترصة ست سنوات حيث اتخذها عاصمة له ، ولكنه عندما أقام السامرة انتقل إليها متخذاً إياها عاصمة له ، وهنا نقف طويلاً أمام هذا الملك الذي ربما اتخذ سمة التمرد على كل ما هو أكبر منه ، فكان اختياره للسامرة كعاصمة مماثلاً لما فعله داود في اختياره للقدس كمدينة محيدة عاصمة لبني إسرائيل ، ولتكون السامرة منافسة للقدس (١) . فاذا رجعنا إلى الفترة الزمنية منذ عصر يربعام الأول وحتى عمري لنعرف كيف سارت المملكة ، فإننا نرى الأخطار المحدقة بالمجتمع اليهودي في الشمال قد هدأت أيام عمري ، ومن هنا بدأ تفكيره في نقل عاصمته من ترصة بهدف أن يكون لشعبه مكاناً مقدساً للحج مثل الجنوبيين في القدس ، فبنى السامرة في هذا الوقت على طريقة سليمان عند بنائه للمعبد والقصر بملحقاته كما أسلفنا ، وهذا يعني بناء معبد وقصر وحي ملكي بالإضافة إلى سور للمدينة تتخلله بوابات وأبراج (٢) .

وتقع السامرة في وادي سعير ولها موقع استراتيجي يسيطر على الطريق الشمالي الجنوبي في مواجهة أي زحف من مملكة يهوذا ، بالإضافة إلى سهولة اتصالها بفنيقيا التي كان يرتبط معها بمعاهدة تحالف وتبعد السامرة عن القدس بحوالي اثنين وأربعين ميلاً إلى الشمال وخمسة وعشرين ميلاً إلى الشرق من صور . ومن اللافت للنظر أيضاً أن عمري قد استعان بالمهندسين والعمال الفينيقيين في بناء قصره وملحقاته كما فعل سليمان من قبل .

(١) . A . Alt : Essays on O . T . , History and Religion PP . 322 - 323 .

أهاروني - المرجع السابق صفحات ٢٧٧ - ٢٧٨ .

(٢) . G . A . Smith : Historical Geography of Holy Land PP . 227 (1966) .

الفصل الثالث

ويبدو أن الكراهية بين الشمال والجنوب قد امتدت آثارها إلى العهد القديم ، الذي كان يتجاهل غالباً الأحداث التي يرد فيها انتصار المملكة الشمالية على مملكة يهوذا في الجنوب ، وفي ذلك نعتمد على النقوش الآشورية وغيرها في استقاء المعلومات التي يغض عنها القديم عن ذكرها . ويبدو أن عمري قد دفع الجزية لآشور ناصر بال الثالث (٨٨٠ - ٨٦٠ ق.م) نقادياً لصدام مسلح مع آشور ، وهذا يدل على استمرار تبعية إسرائيل لآشور بعد ما كانت تابعة لفرعون مصر ششنق .

واضطّر عمري - تحت ضغط بن هدد ملك الأراميين - إلى التنازل عن عدد من المدن التي تقع شرق الأردن ومن بينها راموت جلعاد (١ ملك ٢٠ : ٣٤) ، كما سمح للأراميين مضطراً بأن يقيموا داخل السامرة أسواقاً خاصة بهم أشبه بالموانئ المفتوحة وأعطاهم « حق امتياز التجارة لشعب دمشق » ، ذلك لأن التجار الأراميين اتخذوا من دمشق طريقاً للتجارة ينقلون عبرها تجارتهم إلى ساحل البحر الأبيض ، ولم يحصل عمري لنسامين في دمشق على امتيازات مماثلة^(١) (ملك ٢٠ : ٣٥) . وفي مواجهة تهديدات دمشق قام عمري بتوثيق علاقاته مع فينيقيا ، وزوج ابنه آحاب من ايزابيلا ابنة إتوبعل ملك صور ، وهذا يذكرنا بالتحالف الذي كان قائماً بين صور وبين داود وسلميان ، وهذا الخط أصبح تقليداً التزم به ملوك إسرائيل الشمالية بعد ذلك .

وقد تحسنت علاقاته مع مملكة يهوذا - بعد فترة طويلة من التنافس والكراهية تخللتها بعض الحروب - وقد عقد آحاب بن عمري (٨٧٤ - ٨٥٢ ق.م) معاهدة تحالف مع يهود شافاط (٧٦٣ - ٨٤٩ ق.م) ، ملك يهوذا (٢ ملك ٨ : ١٨) ، وتوثيقاً لتحالف آحاب مع ملك صور فقد سمح بإقامة معبد لبعل صور (ملكارت) في السامرة (١ ملك ١٦ : ٣١ - ٣٣) ، ومن المرجح أن تكون عبادة الآلهة الكنعاني أشيرا قد دخلت من قبل إلى السامرة .

ونقد وقفنا في هذا الفصل على دراسة هامة مؤداها أن اليهود ليسوا فقط الشاغلين لفلسطين في القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد ، بل كان المؤابيون والأدوميون والفلسطينيون والآراميون والكنعانيون وغيرهم من العرب يقطنون فلسطين ، وهذا واضح من خلال الصراعات الطويلة في المنطقة ، بالإضافة إلى ذلك فلم تكن المملكتان نقائمتين على أسس ضعيفة في وضع يسمح لهما بالاستقرار على الإطلاق ؛ فالصراع بينهما لا يهدأ وكذلك صراعهما مع الأراميين في دمشق ، وهم لا يستطيعون بحال من الأحوال انضائية بوضع استثنائي لهم في سياق تاريخ منطقة فلسطين ، وجانب كبير من تاريخ



يهود في هذه الفترة يتخذ أشكالاً متكررة ، فالانقلابات العسكرية يكاد يكون طابعها متبثلاً .

وبعد أن انتهى النفوذ السياسي لأسرة عمري بمقتل يورام ملك اسرائيل ، حكمت أسرة ياهو في الفترة الممتدة بين عام ٨٤٢ و عام ٧٤٣ ق.م ، وكانت السمة الغالبة لهذه الفترة هي سيادة آشور على مملكتي اسرائيل ويهوذا ، ومن ناحية أخرى فقد أطيح بحكم عتاليا^(١) (٨٤٢ - ٨٣٧ ق.م) ملكة يهوذا ، وذلك بإعدامها بعد حكم دام ست سنوات ، ولعل ذلك كان نتيجة لثورة شعبية ضد عبادة بعل (٢ ملك ١١ : ١٥ - ١٨) . وقصة عتاليا يكتنفها كثيراً من الغموض ، فبعض الروايات يشير إلى أنها بدأت الحكم بذبح كل أمراء الأسرة المالكة - أي جميع أحفادها - ، ويرى لودز أن هذه القصة تبدو كقصة شعبية مشوهة لمذبحة ياهو الذي قتل فيها اثنين وأربعين أميراً من يهوذا (٢ ملك ١٠ : ١٤) ، أوروبما كان مصدرها بعض النبلاء الذين أذهم حكم ملكة لم تكن من أهل يهوذا ، ولعل ذلك يفسر تفسيراً كافياً المؤامرة التي أدت إلى الاطاحة بها^(٢) .

وهكذا استمرت المؤامرات تحاك في الشمال والجنوب مع الاستيلاء على السلطة بكل الوسائل غير المشروعة ، ولكن هكذا عاش اليهود دون أي استقرار على عكس ما يدعون . وفي فترة حكم يهوآحاز بن ياهو (ملك اسرائيل) خضعت اسرائيل لحزائيل ملك دمشق (٢ ملك ١٣ : ٣) خضوعاً تاماً تحت وطأة السلاح ، وفي نفس الفترة دفع يوأش ملك يهوذا (٨٣٧ - ٨٠٠ ق.م) الجزية للملك الأراميين حزائيل .

وفي فترة حكم يوأش بن يهوآحاز (ملك اسرائيل ٨٠١ - ٧٨٦ ق.م) - المعاصر لامصيا ملك يهوذا - هاجم القدس واستولى على كنوز المعبد والقصر ودمر جزءاً من سور المدينة (٢ ملك ١٤ : ١٣ - ١٤ ، ٢ أخ ٢٥ : ٢٢ - ٢٣) ولما أكمل انتصاره على يهوذا ، لم يجد بأساً من ترك أمصيا - بعد هزيمته - ملكاً بلا سلطة تحت نفوذ مملكة اسرائيل ، وهكذا استعادت المملكة الشمالية تفوقها على يهوذا مرة أخرى .

على أن مانلحظه في هذه الفترة أن أمور الحكم لم تستقر على قوائم ثابتة في اسرائيل بشكل متواصل ، وإن أحوالها لم تهدأ نسبياً إلا عندما اعتمد يوأش - ملك اسرائيل - على

(١) عتاليا هي ابنة آحاب ملك اسرائيل من زوجته الفينيقية ايزابيلا ، وقد تزوجت من يورام بن يهو شافاط ملك يهوذا (٢ ملك ٨ : ١٨) ، ثم تولى العرش بعده ابنه أحازيا الذي قتله ياهو (قائد الجيش الذي أصبح ملكاً لاسرائيل) مع يورام ملك اسرائيل ، وبعد موت أحازيا اعتلت الأم عتاليا عرش يهوذا ست سنوات .

آشور في مساندته ضد آرام ، وذلك بعد أن دفع إلى الملك الآشوري أدنيراري الثالث (٨١٢ - ٧٨٢ ق.م) (١) .

وفي عهد يربعام الثاني (٧٨٣ - ٧٤٣ ق.م) شهدت مملكة اسرائيل آخر فترات استقرارها ، وبعد وفاته عاد التآمر - الذي كان الصفة الغالبة في الحياة السياسية لمملكة اسرائيل - باغتيال زكريا ابن يربعام الثاني بعد ستة أشهر من اعتلائه العرش ، ومالبث الجاني نفسه أن وقع ضحية مؤامرة بعد شهر واحد من توليه الحكم ، حيث جاء مناحم بن جادي (٧٤٥ - ٧٣٥ ق.م) من ترصة واستولى على السامرة وتولى الملك لمدة عشر سنوات . ويبدو أن هذه الفترة موضع شك حيث أن ما أورده العهد القديم يخالف ما جاء في حوليات تغلات فالصر الآشوري (٧٤٥ - ٧٢٧ ق.م) . وهكذا سادت الفتن داخل اسرائيل فاستخدم مناحم النمط الآشوري الوحشي عند استيلائه على العرش (٢ ملك ١٥ : ١٦) . ونلاحظ أن أول مرة تخترق فيها القوات الآشورية أرض فلسطين كانت في عهد تغلات فالصر الثالث ، ولذلك اضطر مناحم أن يدفع جزية كبيرة حتى يحتفظ بعرشه ، وعلى أثر ذلك غادر الملك الآشوري أرض اسرائيل (٢ ملك ١٥ : ١٩ - ٢٠) . وقد عاصر النبي هوشع هذه الفترة التي اتسمت بالاضطرابات وندد بخضوع مناحم لآشور (هوشع ٧ : ١١ ، ٨ : ٩) .

يقظة الفلسطينيين وضعف الكيان اليهودي

كان تاريخ يهوذا كتاريخ اسرائيل يتحكم فيه التنافس بين مصر وآشور ، فبعد فترة قصيرة من تولي آحاز ملك يهوذا (٧٤٢ - ٧٢٦ ق.م) اخترقت قوات آرام واسرائيل أرض يهوذا من الشمال ، في حين ثار الأدوميون ضد يهوذا في الجنوب ومن ثم فقدت كل ممتلكاتها شرق الأردن ، واستيقظ الفلسطينيون في الغرب وقاموا بغزو القطاع الشمالي الغربي ليهوذا ودمروا المنطقة حتى وادي عجلون ، واستمرت غزواتهم متلاحقة تضعضع من كيان يهوذا ، إذ غزا الفلسطينيون المدن الواقعة في سهل فلسطين واستولوا على مدينة بيت شمش وقنّة وسوكة (٢ أخ ٢٨ : ١٨) ، كل هؤلاء ضيقوا الخناق على آحاز الذي هزم واضطر إلى تحصين نفسه داخل القدس ، ومن المحتمل أنه قدم قرباناً بشرياً طبقاً للطقوس الكنعانية القديمة كما فعل ميشع ملك مؤاب من قبل ، ولكن القوات الفلسطينية

(١) ٢ ملك ١٣ : ٢٤ - ٢٥ .

الفصل الثالث

والأدومية والأرامية أحكمت الحصار (٢ ملك ١٦ : ٥) ، وحتى يتجنب آحاز كل هذه الضغوط أرسل في طلب المساعدة من تغلات فالصر الثالث ودعم طلبه بارسال كنوز المعبد وخزائن القصر الملكي ، وفي سبيل تدعيم الصداقة مع آشور أقام آحاز مذبحاً في القدس على الطراز الآشوري وعمل على تشجيع عبادة الكواكب البابلية في القدس . وقد ندد النبي اشعيا - الذي كان بين المحاصرين في القدس - بالبدع الوثنية وعارض السلطة الملكية معارضة صريحة ، مطالباً الملك باللجوء إلى الرب بدلاً من اعتماده على آشور أو تقديمه القرابين البشرية (١ شعيا ٧ : ٣ - ٥) .

وطبقاً للمصادر الآشورية فإن تغلات فالصر قد بدأ حملته (عام ٧٣٤ ق.م) ، والتي أديرت باستراتيجية بارعة بهدف اخضاع آرام واسرائيل والفلسطينيين حتى يفك الحصار عن يهوذا ، وقد نجح الملك الآشوري في تحقيق هدفه ، حيث سقطت في يده آرام ونفى عدداً كبيراً من الأراميين إلى آشور ، وبعد سقوط دمشق قامت القوات الآشورية بغزو مملكة اسرائيل التي استسلمت للغزو وفقدت كل أراضيها في الجليل وشرق الأردن . وجاء في حوليات تغلات فالصر عن هذه الحملة مانصه (قمت بضم جميع مدن بيت عمري (مدن اسرائيل) في حملتي السابقة ولم أترك سوى مدينة السامرة . . . أخذت نفتالي بأسرها وضممتها إلى آشور وعهدت برجالي حكاماً عليها ، وجميع سكان أرض عمري وممتلكاتهم حلت إلى آشور) .

واستمرت اسرائيل تدفع الجزية لأشور حتى اعتلاء سلیمانصر الخامس (٧٢٧ - ٧٢٢ ق.م) عرش آشور ، وعندئذ رفض هوشع ملك اسرائيل دفع الجزية اعتماداً على مساندة مصر له ، وفي أعقاب ذلك حاصر سلیمانصر السامرة عدة سنوات توفي خلالها وخلفه سرجون الثاني (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) على عرش آشور ، وفي السنة الأولى من حكمه - بعد حصار دام ثلاث سنوات - سقطت السامرة (عام ٧٢٢ ق.م) ، وتبع ذلك سقوط المملكة الشمالية تماماً في أوائل عام ٧٢١ ق.م ، وكان التدمير الآشوري لاسرائيل يعتبر تهديداً مباشراً للقدس التي تقع على مسافة عشرين ميلاً تقريباً من الحدود الجنوبية لاسرائيل .

وجاء في حوليات الملك الآشوري سرجون الثاني مانصه : « في بداية حكم الملك أنا . . . بلد السامريين حاصرتها وفتحتها . . . لأجل الاله . . . الذي جعلني أحرز النصر . . . وقد نفيت ٢٧٢٩٠ شخصاً من سكانها وجهزت من بينهم جنوداً ليقودوا خمسين عربة لأجل حربي الملكي . . . وقد أعدت بناء المدينة بأحسن مما كانت عليه من قبل وأسكنت فيها أناساً من ممالك فتحتها (أنا) ونصبت ضابطاً من ضباطي حاكماً عليهم

وفرضت عليهم ضرائب

ولمى جانب ما تبقى من سكان اسرائيل بعد هزيمتها نقل اليها الآشوريون بعض القبائل العربية : ثمود والعباد (أباديدي وهو اسمها باللغة البابلية) التي هزمها سرجون ، بالإضافة إلى ذلك أحضر ملك آشور عناصر شتى من بابل وكوت وحماة وعوا وأسكنهم مدن السامرة .

سياسة سنحاريب مع الفلسطينيين الأصليين

وعلى هذا النحو ينتهي تاريخ مملكة اسرائيل بسقوط عاصمتها السامرة عام ٧٢٢ ق.م ، لتصبح مملكة يهوذا الجنوبية معرضة للهجوم الآشوري ، وعندئذ اعتبر ملوك يهوذا أنفسهم خلفاء الملوك اسرائيل ومن ثم حاولوا أن تمتد حمايتهم وتأثيرهم على سكان المملكة الشمالية المنهارة والذين بقوا بعد التغريب الآشوري .

وبعد موت سرجون الثاني خلفه ابنه سنحاريب (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) ، وفي هذه الفترة كان حزقيا ملكاً على يهوذا (٧٢٦ - ٦٩٨ ق.م) وقد سار على نهج والده في سياسته المهادنة لأشور ومن ثم فقد استمر في دفع الجزية لها ، بينما حاول التقرب إلى مصر ، ولهذا السبب غضب سنحاريب عليه وصمم على مهاجمة يهوذا ، فلما أحس حزقيا بخطر الحصار الآشوري ، بدأ في تحصين أسوار القدس وشق نفقاً أسفل المدينة انسابت من خلاله مياه جيحون إلى داخلها . وفي تلك الظروف استنجد حزقيا بفرعون مصر الذي لى نداءه والتقى مع قوات حزقيا في مواجهة سنحاريب شمال عسقلان ، وانتهت موقعة «ايلتكه» بانتصار القوات الآشورية ، ونحن هنا نعتمد على حوليات سنحاريب المنقوشة على جدران قصره في نينوي والتي تشير إلى أنه واصل احتلاله للمدن الحصينة في يهوذا بعد تدميرها ثم سبى من أهلها ٢٠٠١٥٠ ألفاً من مختلف الأعمار - وهم رقم خيالي مبالغ فيه - بالإضافة إلى الغنائم التي لا تعد ولا تحصى من الجمال والخيول والماشية . ثم قام بتسليم مدن يهوذا إلى ملوك فلسطين في أشدود وعقرون وغزة ، ثم اتخذ لكيش مقراً لقيادته وقاعدة لانطلاق جيشه لحصار القدس^(١) ، ولكن ترك حصارها وسحب قواته إلى نينوي لأسباب وقف عندها المؤرخون بلا إجابة شافية ، ولكن من الواضح أن الأحوال في آشور حتمت عودته .

في سرد أحداثه عن مهاجمة سنحاريب لمدن يهوذا واستيلائه عليها (٢ أخ ٣٢ : ١) ، حيث أعقب ذلك اعتذار حزقيا لسنحاريب الذي قام بتحديد قيمة الجزية (٢ ملك

(١) . ١٧٨ - ١٧٧ PP . The Civilization of Babylonla and Assyria M . Jastrow

١٨ : ١٣ - ١٥) ؛ وطبقاً لرواية العهد القديم فقد بعث سنحاريب من مركز قيادته في لانيش جيشاً كبيراً لحصار القدس ، ولكن ملاك الرب قتل مائة وخمسة وثمانين ألفاً من جيش آشور فكانوا في الصباح جثثاً هامدة ، وقد ترتب على ذلك فك الحصار عن القدس وعاد سنحاريب إلى نينوي^(١) .

وهناك رواية أخرى جاءت على لسان هيرودوت ، أن فرعون مصر أرسل فئراناً إلى معسكر الآشوريين قطعت أقواسهم ونشرت الطاعون بينهم فلم يجدوا طريقاً سوى فك الحصار والعودة .

ومن الطريف أن تتفق روايتا حوليات سنحاريب والعهد القديم ، على أن حزقياً أرسل في طلب المساعدة من مصر ، وأنه اتخذ لكيش مركزاً وقاعدة لانطلاق قواته لحصار القدس ، وأنه استولى على المدن الحصينة في يهوذا ، ولكن رواية العهد القديم أغفلت المعركة التي انتصر فيها سنحاريب على قوات يهوذا والقوات المصرية وكذلك لم تذكر الأسرى والغنائم التي سباها إلى آشور بينما ذكرت رواية العهد القديم اعتذار حزقياً لسنحاريب ودفعه الجزية المقررة ، كما اعترفت باستيلائه على المدن الحصينة في يهوذا في حين أغفلت عن عمد الإشارة إلى تسليم هذه المدن إلى ملوك فلسطين في أشدود وعقرون وغزة .

وعلى الرغم من عدم سقوط القدس ، إلا أن الجيش الآشوري دمر ماحولها من مدن وسى أهلها إلى آشور ، وسمح للملك حزقيا بالاحتفاظ بعرشه الهش في القدس فقط مع اعترافه بسيادة آشور وتبعيته لها ودفعه الجزية ، وظل الأمر كذلك حتى انهيار الدولة الآشورية عام ٦١٢ ق.م وسقوط عاصمتها نينوي ، حيث استغل ملك يهوذا يوشيا (٦٤٠ - ٦٠٩ ق.م) الضعف الذي بدأ يدب في آشور في أواخر حكم آشوربانيبال ، فأعلن استقلاله عن آشور وقام بتقوية جيشه ، على أن الأمور أخذت تسير وفقاً لخطة التي بدأها باصلاحه الديني الكبير عام ٦٢٢ ق.م ، وفيه أزال العبادات الوثنية الآشورية وغيرها من العبادات الأجنبية .

وما أن انحسر سلطان آشور عن سورية وفلسطين حتى زحف فرعون مصر نخاو الثاني (٦٠٩ - ٥٩٣ ق.م) شياً من محاولة للاستيلاء عليها ، وواجهه يوشيا في مجيدو ولكن ملك يهوذا هزم وقتل في هذه المعركة عام ٦٠٩ ق.م (ملك ٢٣ : ٢٩) .

(١) ٢ ملك ١٩ : ٣٥ - ٣٦ ، اشعيا ٣٧ : ٣٦ : ٣٧ .

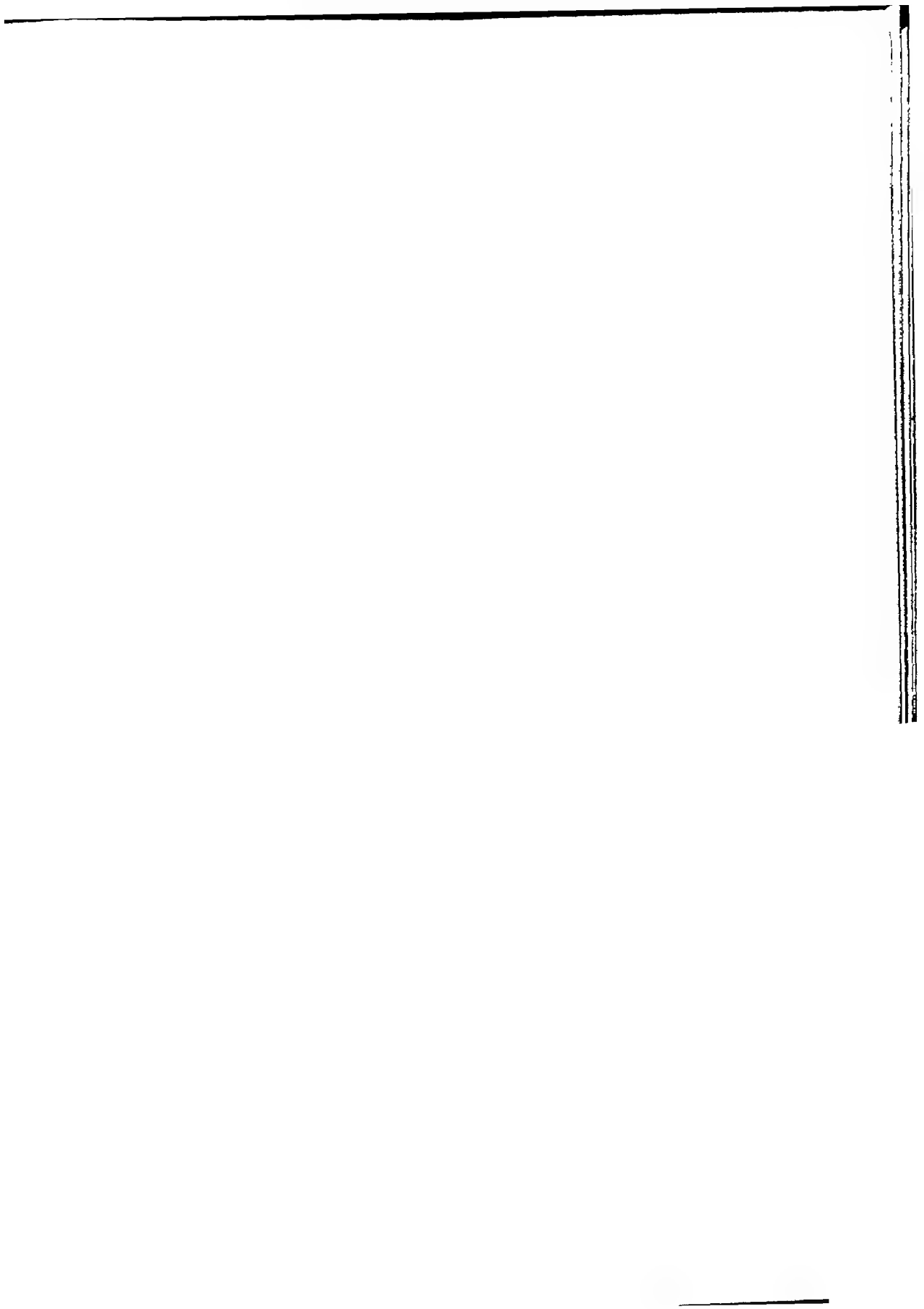
راجع مأزيم : (المجلد الثاني) داود روبنير : بحث بعنوان : « يليشت سنحاريب ليهودا » ، غزو سنحاريب يهوذا ص ١٩٨٣ .

ويتضح لنا من تتبعنا لسلسلة ملوك يهوذا واسرائيل قبل يوشيا ، أن معظمهم سمح بإقامة العبادات الوثنية بجانب طقوس الديانة اليهودية ، وأن الفترة القصيرة منذ منتصف حكم يوشيا ، أصبحت خلالها القدس مركزاً للعبادة الروحية لليهود ، وذلك بعد أن قام بتخطيط عبادة بعل وعشروت والعبادة النجمية البابلية وقضى على كهنة هذه العبادات وألغى طقوس الدعارة المقدسة التي كانت في المعابد ، وأزال مرتفعات الآلهة عشروت وكموش ، وكذلك امتد إصلاحه إلى ما وراء القدس ، فأزال المذبح الذي أقامه يربعام بن نباط في بيت ايل . وأغلب الظن أنه في عصر يوشيا تقرر تطبيق الشريعة الموسوية ، وقد ترتب على ذلك الإصلاح الديني أن عشر الكاهن الأعظم حلقيا على كتاب الشريعة المفقود والذي أعطاه ليوشيا للاطلاع عليه ، وما أن قرأه حتى تأكد أن آباءه قد عصوا الرب ، وهو على ما يبدو سفر التثنية - وهو ما يسمى بالشريعة الثانية وهو تلخيص للشريعة الموسوية - وعلى أثر ذلك قام يوشيا بإصلاحاته الدينية سألقة الذكر .

وعلى ذلك فمنذ انقسام المملكة بعد موت سليمان ، والمملكتان في صراع دائم ، حيث نشبت الفتنة واستمرت المؤامرات والاغتيالات واتسعت رقعة النزاع الديني بين الفرق اليهودية بعد أن سمح بإقامة الطقوس الوثنية بجوار المعابد اليهودية المركزية .

الفصل الرابع

تدبير مختصر للقدس والمعبد اليهودي



تدمير بختنصر للقدس والمعبد اليهودي

تدمير بختنصر للقدس (٥٨٧ ق. م)

في ذلك الحين ، أي في الفترة التي تلت وفاة آشور بانيبال بأربع عشرة سنة (سنة ٦١٢ ق. م) ، شهدت منطقة أرض الرافدين تطورات خطيرة ، كان لها تأثيرها على الصراع داخل منطقة فلسطين ، فقد تحالف أوفاشاترا ملك ميديا (٦٣٣ - ٥٨٤ ق. م) مع نبو فالصر ملك بابل (٦٢٦ - ٦٠٥ ق. م) ، وهاجما نينوي فدمرها ، وعندما سقطت أمامهما كان الدمار قد لحق بالامبراطورية الآشورية فاقسمها وأخذ الميديون أعالي دجلة حتى تخوم آسيا الصغرى ، بينما أصبح مابقي من الامبراطورية وسورية وفلسطين تحت سيطرة بنو فالصر وأسرته الكلدانية (البابلية الجديدة) .

وبعد أن تولى بنوخذ نصر^(١) (بختنصر ٦٠٥ - ٥٦٢ ق. م) الحكم بعد وفاة والده بنو فالصر ، أراد أن يوطد مركزه في فلسطين - كانت مصر وآرام متحدتين تحت حكم فرعون مصر نخاو الثاني الذي قرر مواجهة القوة البابلية الجديدة - فهزم فرعون في موقعة قرقيش عام ٦٠٥ ق. م .

ومن الواضح أن مصر كانت هدفاً لمطامع بختنصر ، فبدأ بفتح الطريق إليها ، وذلك بإسقاط مملكة يهوذا في القدس ، فعندما شعر ملكها يهوياكين بخطر الهجوم البابلي استسلم في مارس ٥٩٧ ق. م بعد ثلاثة شهور من توليه الحكم وجنّب المدينة الدمار في ذلك الحين ، وأخذ أسيراً إلى بابل ، وسبى بختنصر الرؤساء وكل من يصلح للقتال والحرفيين (٢ ملك ٢٤ : ١٣) ، وبعد ذلك نكّل بملكهم صدقيا هو (٥٩٧ - ٥٨٧ ق. م) ، فذبح أولاده أمامه ثم أعمى عينيه ، وذلك بعد أن تمرد على بختنصر الذي حاصر القدس تسعة عشر شهراً (من يناير ٥٨٨ حتى يوليو ٥٨٧ ق. م) ، وعلى هذا

(١) يعرف بنوخذ نصر الثاني لأن الأول هو بنوخذ نصر الذي ينتمي إلى السلالة البابلية الرابعة والذي استعاد بابل أيام حكم الآشوريين لها في القرن الثاني عشر قبل الميلاد (١١٢٤ - ١١٠٣ ق. م) ، ويعتبر بنوخذ نصر (بختنصر) أشهر ملوك الدولة الكلدانية (البابلية الجديدة) وكلمة بنوخذ نصر أصلها آشوري مكونة من ثلاثة مقاطع معناها « الاله نبو يحرس الحدود » .

الفصل الرابع

النحوقام نبوزرادان ، القائد البابلي بتهديم أسوار القدس وتخريب المدينة تماماً بها في ذلك هدم هيكل سليمان واحرقاه (٢ ملك ٢٥) ، كما لحق الدمار بمناطق مختلفة في يهوذا ، منها تل بيت مرسيم وبيت شمش وبيت زور ، أما مدينة صور فقد قاومت الحصار ثلاث عشرة سنة دفعت بعدها الجزية لبابل .

وفي ظل هذا التمزق عين بختنصر جداليا بن أحيقام حاكماً من قبل بابل على كل ما بقي من أهل يهوذا وبقية العرب في القدس ، وبعد اغتيال جداليا هرعت أعداد كبيرة من اليهود في الهرب إلى مصر في صحبة النبي ارميا .

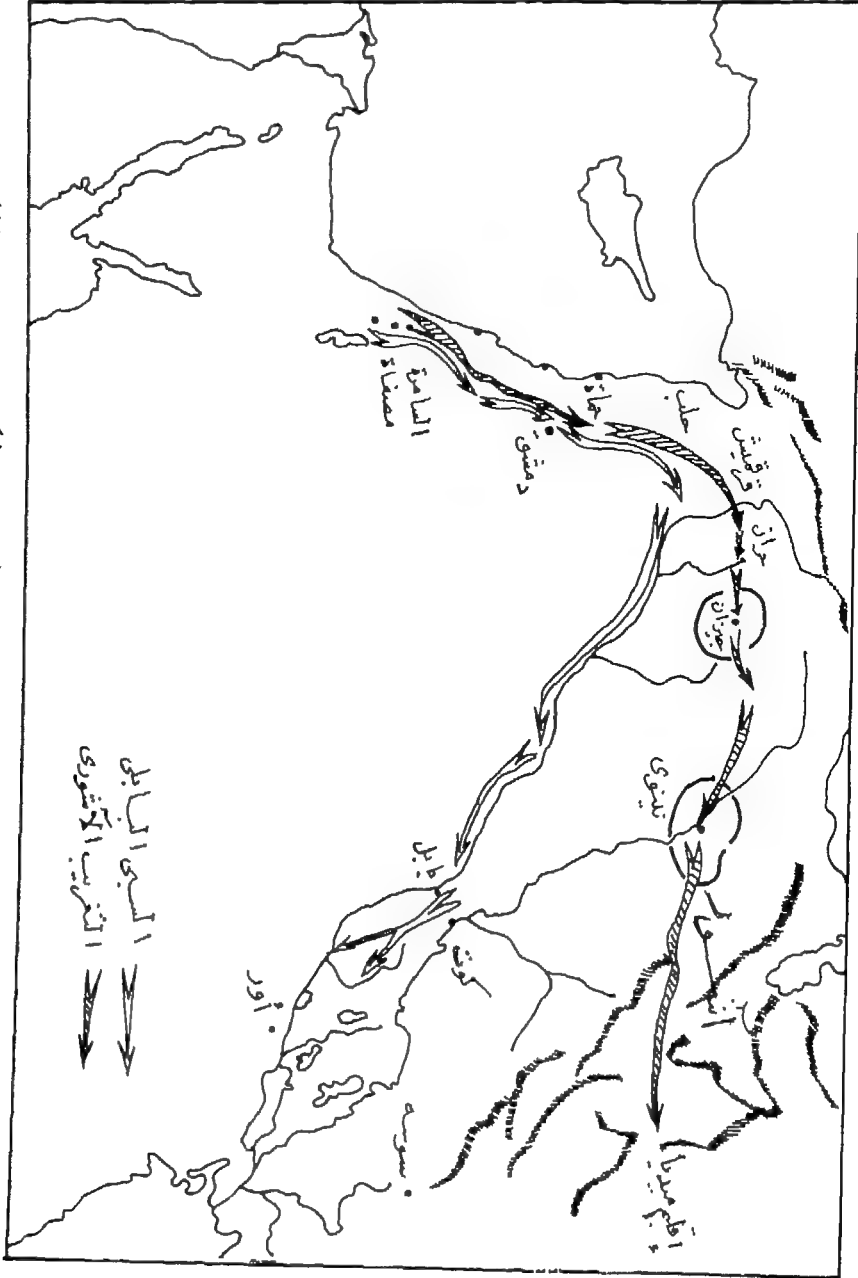
وفي عام ٥٨١ ق.م كرد فعل لقتل جداليا ، سبى بختنصر دفعة ثالثة من اليهود إلى بابل قدرت بحوالي ٧٤٥ فرداً (١ رميا ٥٢ : ٣٠) .

وهكذا كانت خاتمة حملة بختنصر ، والتي اقتحم فيها أسوار القدس وحطمها ، ومنذ هذا الوقت لم يبق لليهود كيان سياسي يعتد به في فلسطين إلى ظهور الدولة الصهيونية الحديثة ، فيما عدا كيان صهيوني سمح بإقامته الفرس ودمره الرومان كما سنوضح فيما بعد .

وجاء على لسان لودز تعليقاً على نقش من البرونز يصور مشهداً للرحيل إلى بابل ، إن الرجال ربطوا بعضهم إلى بعض جماعات وذلك لمنعهم من الهرب ، ولكنهم سمحوا للنساء والأطفال بالمسير دون أغلال ، كما سمح لهم باصطحاب ماشيتهم وعربات لنقل احتياجاتهم حتى وصلوا إلى القرى المحددة لهم كمقر لاقامتهم ومعظمها إلى الجنوب من نينوى ، ومن هذه القرى تل أبيب في فلسطين لتذكيرهم بالسبي البابلي - وتل حارشا وتل ملح (عزرا ٢ : ٥٩) ، ويسدو أنهم تملكوا الأراضي التي كانوا يزرعونها في مناطق السبي (١) . وهذا يطابق ما ذكره ارميا في الرسالة التي كتبها لهم عقب السبي الأول عام ٥٩٧ ق.م حيث قال «ابنوبيوتاً واسكنوا واغرسوا جنات وكل ثمارها» (١ رميا ٢٩ : ٥) . وقد تحسنت أحوال اليهود المادية في السبي البابلي نتيجة اشتغالهم بالتجارة بجانب اهتمامهم بالزراعة ، وهذا هو السبب في أنهم أسهموا في ترميم الهيكل في القدس (عزرا ٢ : ٦٩) .

وما يجدر ذكره أنه أتيج للفكر الديني اليهودي من زمن السبي أن يدرك أن يهوه هو الاله الواحد للعالم كله ، وأدرك الذين في المنفى أن ماحل بهم من شقاء كان نتيجة مؤكدة لعدم اتباعهم شرائع يهوه ، وتكاثر عدد الأنبياء بينهم في هذه المرحلة وأصبحوا يفكرون في الخلاص على يد يهوه . على أن عدم تمكنهم من إقامة طقوس عبادتهم في المنفى بصورة

لوحة رقم (٤)



الفرسية الآشورية لمملكة إسرائيل . ٧٢٢ ق.م . وسبى البابلي لمملكة يهوذا وسأطه النبطي

الفصل الرابع

مكتملة ، يرجع إلى بعدهم عن الهيكل في القدس - حسب ادعاءاتهم - وعدم استطاعتهم تقديم القرابين ، ولذلك غيَّروا في طريقتهم لممارسة هذه الطقوس ، فاستبدلوا القربان بالصيام والصلاة ، وتغاضوا عن أداء طقوس السبت من معظم الأحيان .
وفي تلك الأثناء ظهرت فارس كقوة كبرى في الشرق القديم فكُون قورش - يعرف بـ كورش في اللغة الفارسية - جيشاً ضخماً تحدى به بابل ، واستولى عليها في عام ٥٣٩ ق.م دون تنكيل بأهلها ، وجاءت هذه السياسة في البداية صدمة لليهود في السبي الذين كانوا يرحبون بتدمير بابل والتنكيل بأهلها - رغم تمتعهم هناك بحرية العقيدة وراثتهم - وانعكاساً لسياسة الملك الأخميني قورش ، فقد سمح بعودة اليهود إلى فلسطين وإعادة بناء الهيكل .

ويدعي اليهود كعادتهم أن قورش كان على علم بتنبؤات اشعيا الذي تنبأ له بالنصر ، وكانت رؤية اشعيا أن قورش هو الذي سيعيد اليهود إلى أرضهم ويسمح له بإعادة بناء الهيكل (اشعيا ٤٤ : ٢٨ ، ٤٥ : ١ ، ١٣) ، والواقع أن سياسة قورش تجاه اليهود إنما جاءت تطبيقاً للمباديء العامة لسياسته ، فيبدو أن قورش قد أصدر أمراً بعودة كل الأجناس التي كانت في النفي من بابل بما في ذلك اليهود ، ولكنهم زفُّوا في صيغة المرسوم الملكي حتى يوهوا الجميع بأن مرسوم العودة يخصهم وحدهم ، ولذلك اختفت الصيغة الفارسية من خزائن ميديا في فارس واحتفظوا بالصيغة الآرامية حسبها رأوا .

ومن التناقضات الخطيرة ما أورده سفر الملوك الثاني ٢٤ : ١٤ عن قائمة العائدين بأنها تقدر بعشرة آلاف من الرؤساء والحرفيين والصناع ، ثم يذكر في الفقرة ١٧ من نفس الاصحاح ٢٤ أن الذين تم سبيهم ثمانية آلاف ، ولكن سفر ارميا ٥٢ : ٢٨ - ٣٠ يسرد ثلاث حالات من السبي مجموعها أربعة آلاف وستائة نسمة . ومن جهة أخرى فإن بعض المؤرخين ينجح نحو الاعتقاد بأن القائمة موضع التساؤل كانت بصيغتها الأصلية احصاءً شاملاً لليهود المقيمين في يهوذا في عصر نحميا أو بعده ، ولكن كيف يمكن للمرء أن يصدق أن جالية من اليهود المرحلين إلى بابل والتي بلغت حوالي ٤٦٠٠ من الذكور البالغين ؛ استطاعت أن تتزايد وبلغت هذا الحد خلال فترة السبي القصيرة - حوالي ستين عاماً - وكان في مقدورها أن ترسل إلى فلسطين فوجاً مكوناً من ٤٢٣٦٠ رجلاً ويستثنى من هذا العدد النساء والأطفال ، بالإضافة إلى ٧٣٣٧ من العبيد إذ لو أضيفوا لبلغ التعداد الكلي حوالي ١٠٠ر٠٠٠ وهو رقم مبالغ فيه إلى حد بعيد .

وفي السنة الثانية من حكم الملك دارا - داريوس باللغة الفارسية - (٥١٩ - ٥٢٠ ق.م) ، تم تعيين زرو بابل بن شالثيل (أحد أعضاء الأسرة المالكة السابقة في

المنفى) ، والياً على يهوذا ومن ثم كان قائداً لقافلة العائدين من السبي (عزرا ٢ : ٢) ، ويبدو من وراء اختيار زرو بابل كحاكم على يهوذا أن الملك دارا كان يريد بذلك مهادة أهالي تلك المنطقة خاصة بعد فترة الاضطرابات التي واجهته في بداية حكمه .

ويبدو أن عدد العائدين معه لم يكن كبيراً ، وعند وصولهم وجدوا أسوار القدس مازالت مهدمة ، والقرايين على مذبح أقيم وسط حطام المعبد أيام شيشبصر الذي سبق زرو بابل في العودة إلى القدس . واللافت للنظر أنهم وجدوا بقايا اليهود يرفعون شعاراً مؤادة الوقت لم يحن بعد لإعادة بناء الهيكل ؛ لكن زرو بابل بتعصيد من النبي حجي حث اليهود على إعادة بناء المعبد ، ومع تقدم العمل في إعادة بناء المعبد نادى أيضاً بإعادة بناء أسوار المدينة ولكنه على ما يبدو قد أخفق ، وقد صدق حدسه فقد أثارت عملية بناء الأسوار شكوك السامريين الذي تصوروا أن زرو بابل كان يهدف من ذلك أن يجعل من نفسه ملكاً ويخضعهم لسيطرته (عزرا ٤ : ٤ - ٥) .

ولعل من المهم أن نشير إلى أن كثيراً من اليهود ينكرون عن السامريين انتسابهم إلى إسرائيل ، وقد وصل بهم الأمر إلى أن بعض أحبار اليهود اعتاداً على نص سفر الملوك الثاني (٢ ملك ١٧ : ٢٥ - ٣٣) كانوا يسمونهم «جيران السباع»^(١) . ولذلك فعندما أعرب أهل السامرة - الذين اعتبروا أنفسهم إخوة لليهود العائدين من السبي - إلى زرو بابل عن رغبتهم في الاشتراك في بناء الهيكل ، رفض طلبهم على أساس أمر قورش ببناء هيكل يخص فقط أبناء يهوذا العائدين من السبي (عزرا ٤ : ١ - ٣) . وفي أعقاب ذلك أرسل السامريون إلى الملك الفارسي أكرسيس الأول ، (٤٨٥ ق.م) ، يحذروه من أن اليهود العائدين من السبي قد شرعوا في إعادة بناء مدينة القدس بعد أن أكملوا أسوارها ، وبعد استكمال بنائها سيتمنعون عن دفع الجزية ، فأرسل لهم تفويضاً بإيقاف عمليات التشييد بالقوة (عزرا ٤ : ٢١ - ٢٤) ، وتوقف العمل في بناء الهيكل حتى

(١) ويطالعنا أورثيل رفسورط الكاتب اليهودي برأي مخالف تماماً لوجهة النظر العامة لليهود ، حيث يشير إلى أن السامريين هم من بقي من الشعب ، والذين لم يتم سبيهم من المملكة الشمالية على يد الأشوريين (٧٢٢ ق.م) ، وكانت لهم تورا مخالفة لتوراة اليهود ، ونضيف إلى ذلك أنه من المحتمل أن جماعات من القبائل الشمالية التي تم سبها إلى آشور - واستمرت تعيش في السبي مع أبناء يهوذا - عادت مع اليهود العائدين إلى فلسطين خلال فترة الهيكل الثاني ، إلا أنهم لم يتوافقوا مع السامريين الذين كانوا قد بقوا في السامرة والذين كانوا قد كونوا جماعة منفصلة .
راجع أورثيل رفسورط : تولدت يسراييل بتوفت هيت هشيبي (تاريخ اسرائيل في فترة البيت الثاني) ، صفحات ٢٤ - ٢٥ .

الفصل الرابع

نسنة الثانية من حكم الملك دارا ، وبذلك أخفق زروبابل في مهمته .
وبعد بحث وتنقيب عثر دارا على مرسوم قورش الخاص بالعودة وبناء الهيكل - حسب الروايات اليهودية - مع وصف للهيكل ، وانتهى العائدون من بناء الهيكل - على حسب نبوءة حجي وزكريا - في شهر آذار من السنة السادسة لحكم دارا (عزرا ٦ : ٤ - ١٦) .
ويبدو أن جنوح خيالهم نحو الاعجاب بهيكل سليمان قد هيا لهم الظن بأن الهيكل الجديد أقل فخامة وأبهة مما هو عليه ، وهذا ما عبر عنه النبي حجي بقوله « من الباقي فيكم الذي رأى هذا البيت في مجده الأول ، وكيف تنظرون الآن ، أما هو في أعينكم كل شيء » (حجي ٢ : ٣) .
وكانوا قد أبقوا على المظهر العام والمغنين وقُدس الأقداس مع بعض الإضافات المحدودة ، إلا أنه أصبح خاوياً من تابوت العهد الذي ربما احترق في أيام الخراب الأول أيام بختنصر أو توارى في كهف مجهول على يد النبي ارميا (١) . ورغم ذلك حدثت ردود فعل عميقة في الديانة اليهودية ، حيث ارتد عدد كبير من اليهود وتفشى الاتحاد بين صفوفهم (ملاخي ٢ : ١٧ ، ١٤ - ١٥) وامتنعوا عن دفع العشور وأخذوا يطلقون زوجاتهم اليهوديات ويكثرون من الارتباط بالأجنبيات .

ويبدو أن السامريين كانوا يعتبرون أنفسهم عبّاداً ليهوه ، ومن المحتمل أنهم أعطوا يهوه مكاناً مرموقاً في معبدهم في الشمال ، وكان هذا كافياً لأن يجعلهم ينظرون إلى الهيكل في القدس كمعبدتهم كما يبدو أن عدداً كبيراً من أهل السامرة الذين بقوا بعد التغريب الآشوري ظلوا على ولائهم للهيكل المدمر في القدس ولعبادة يهوه التي كانت هناك ، وأهم ما يعيننا في هذا المقام أن نستدل على ما يمكن اتخاذه قرينة على مدى تمسك السامريين بديانة يهوه - رغم انكار اليهود لهذه الطائفة - فهناك وثيقة هامة تروي قصة من القرن الخامس قبل الميلاد ، مؤداها أن ثمانين حاجاً ينتمون إلى شيلوه والسامرة وشكيم (نابلس) عبروا مدينة مصفلة في أكتوبر من عام ٥٨٧ ق.م - نفس العام الذي دمر فيه بختنصر الهيكل في القدس - حاملين قرابينهم إلى معبد يهوه ، وكانوا حليقي الذقون ممزقي الثياب يملأهم الحزن على خراب القدس ودمار المعبد (إرميا ٤١ : ٥) ، وكان من الطبيعي أن نفترض أن هؤلاء المتعبدين كانوا من أهل السامرة وأن صلتهم الأولى بالهيكل المركزي لم تكن قد قطعت بعد .

هذا من الناحية الدينية ، أما من الناحية السياسة والاقتصادية فيمكننا القول بأن اقليم السامرة كان يتمتع بحالة من الازدهار أكثر من يهوذا فترة من الزمن بعد السبي البابلي

(١) Drops : Israel , P . 234 .

LODS : The Prophets , P . 189

وترجع ذلك إلى موقع السامرة المتميز على طريق التجارة بين سورية ومصر .
وتبين لنا مما سبق أن نظرة السامريين لليهود العائدين من السبي على أنهم إخوة لهم ،
إذ حاولوا الاشتراك معهم في إعادة بناء الهيكل ؛ إلا أن موقف اليهود كان على العكس
يغلب عليه طابع العداء ، ولكن السامريين لم يستسلموا كما أسلفنا وقد نجحت محاولاتهم
في وقف العمل في بناء الهيكل بعد أن استبعدهم اليهود من العمل معهم ، وقد استمرت
العلاقات بينهم على هذا النحو حتى بعثة نحميا الثانية .

ومن ذلك يتبين لنا أن الشخصية اليهودية هي شخصية معقدة على مر العصور تمتد
جذورها إلى أسباب كثيرة متداخلة ومتناقضة ، والتي تتصل اتصالاً مباشراً بواقع الظروف
التاريخية التي تعرض لها اليهود ، ومن اللافت للنظر أن هذه الشخصية المعقدة قد خضعت
لتأثيرات ثقافية متعددة سواء من ناحية اللغة أو المناخ الحضاري الذي يعيشون فيه .
وفي تلك الأثناء استولى الأدوميون على الجزء الجنوبي من يهوذا ، كما تعاون
الفلسطينيون والأشوديون والعمونيون في ضغطهم على يهوذا في القدس .

نحميا والعودة من السبي البابلي

ومرة أخرى جنح خيال أهل يهوذا إلى تصور غريب ، وهو أن نحميا^(١) بعد عودته إلى
القدس أقام الحراس ليلاً ونهاراً حتى استطاع الانتهاء من إعادة بناء أسوار القدس في اثنين
وخمسين يوماً ، وذلك حتى يتجنب غضب العرب والعمونيين والأشوديين والسامريين ،
حتى أن اليهود صوروهم نحميا على أنه قام بتوزيع اليهود على المدن المحيطة بالقدس ،
وذلك من خلال قوائم أعدها لذلك (نحميا : ٤ : ٧ - ٩ ، ٦ : ١ ، ١١ : ١) .

ومن الغريب أن يخالف المؤرخ اليهودي يوسفوس ماورد في سفر نحميا ، حيث ذكر أن
عملية بناء الأسوار استغرقت عامين وأربعة أشهر ، أي في الشهر التاسع من السنة الثامنة
والعشرين من حكم ارتاكزسيس ، ولكنه لم يشر إلى المصدر الذي نقل عنه هذه الرواية .
وكذلك يتشكك كثير من المؤرخين في صحة ماجاء في سفر نحميا (٦ : ١) أساساً عن
عملية بناء الأسوار التي تمت بشكل مبالغ فيه ، ويبدو لنا مدى عمق الهوة بين أفكار نحميا
والتي كان يشاركون فيها العائدون من السبي ، وبين أفكار وعقائد هؤلاء الذين بقوا في يهوذا

(١) استطاع نحميا - الذي كان يعمل ساقياً للملك أرتاكزسيس الأول (٤٦٥ - ٤٢٤ ق.م) - أن
يحصل على إذن من الملك للقيام بزيارة القدس لترميم أسوارها (نحميا ١ : ٢ - ٣) وكان قد تلقى
قبل ذلك بعدة شهور تقريراً عن الحالة السيئة لليهود الذين عادوا مع زروبابل وعن حالة أسوارها
المهدمة (منذ تدمير بختنصر للقدس في عام ٥٨٧ ق.م) .

الفصل الرابع

بعد السبي ، هذه الخلافات التي بلغت عمقاً جعل الاندماج بين الفريقين أمراً مستحيلاً ، ومن ثم فقد أدرك نحemia تماماً أن الاصلاحات التي كان يرغب في تنفيذها لا يمكن تحقيقها إلا إذا دعمت هذه الأقلية من العائدين ببعثة أخرى تأتي من بابل . وهذه دلالة على أن نحemia لم يتمكن خلال زيارته الأولى للقدس من إنجاز ما جاء من أجله ؛ وقد ترتب على ذلك أنه في عام ٤٣٢ ق.م نجح نحemia مرة ثانية في اقناع الملك ارتاكرسيس الأول بتعيينه حاكماً على القدس ، وربما عاد إليها في صحبة عزرا ، واستمر نحemia مناهضاً للسامريين على طول الخط ، وكان عداؤه لهم سياسياً أكثر منه دينياً .

ومما يجدر الإشارة إليه أنه على الرغم من أن هؤلاء الذين رافقوا عزرا في بعثته الأولى قد تم اختيارهم بحيث يمثلون الأسباط الاثني عشر ، إلا أن نحemia بعد عودته حاكماً على يهوذا - برفقة عزرا - تنكّر لمثلي البعثة من القبائل الشالية ، وفي ظل تلك الظروف أصبح محتماً وقوع الانفصال بين السامريين واليهود إن عاجلاً أو آجلاً (١) .

المعبد السامري على جريزيم وبداية الصراع بين الطوائف اليهودية

أما بالنسبة للتاريخ والظروف التي مربها الصدام بين أهل السامرة وأهل يهوذا ، فهناك روايتان مختلفتان إحداهما ما أورده العهد القديم (نحemia ١٣ : ٢٨) ويرتكز على قصة مؤداها أن أحد أبناء يوياداع بن الياشب الكاهن الأعظم قد تزوج من ابنة سنبلط الحاكم السامري للسامرة ، ولهذا طرده نحemia من الكهنوت ؛ والرواية الثانية تُروى على لسان يوسفوس المؤرخ اليهودي ، الذي يخبرنا أن النزاع جاء نتيجة زواج منسا الذي كان أخاً للكاهن الأعظم جادو من امرأة أجنبية تدعي نيكاسو والتي كانت ابنة سنبلط (٢) الحاكم السامري لاقليم السامرة والمعين من قبل الملك الفارسي دارا ، وفي أعقاب هذا الزواج طلب الكاهن الأعظم ورجال الكهنوت في القدس ؛ إما طلاق الزوجة أو يتنازل منسا عن حقوقه الكهنوتية . ونتيجة لهذا الموقف هرع منسا إلى صهره الطاعن في السن سنبلط طالباً مساعدته ، فوعده ببناء معبد على جبل جريزيم يماثل المعبد في القدس - بعد تصديق الملك دارا - وأنه سوف يعينه كاهناً أعظم كما وعده بأن يخلفه في الحكم ، وكان كثير من الكهنة واللاويين قد هاجروا مع منسا إلى السامرة حيث أكرمهم سنبلط .

(١) . Montgomery : The Samaritans P . 59 .

(٢) سَنَبْلَط اسم بابلي آشوري نطقه بالأشورية سين أو بَلَط ، وسين معناها اله القمر والفعل « بَلَطُوا » ، يعني عاش ، وسين أو بَلَط معناها « الاله سين يُحمي » .

وتتفق كلتا الروایتين بالنسبة لزواج أحد أعضاء أسرة الكاهن الأعظم من ابنة سنبلط ، غير أن العهد القديم (نحμία ١٣ : ٢٨) لم يذكر اسم ذلك الكاهن واكتفى بالإشارة إلى أنه أحد أبناء يوياداع وحفيد الكاهن الأعظم الياشب ، في حين رواية يوسيفوس تذكر أن اسمه منسأ وأنه شقيق الكاهن الأعظم جادوالذي كان معاصراً لالاسكندر الأكبر ، ولهذا فالحادثة طبقاً لرواية يوسيفوس^(١) تقع ما بين عامي ٣٣٢ ، ٣٣١ ق.م أي بعد نحμία بقرن كامل ؛ والواقع أن نحμία قد قصر حديثه على طرد منسي واستبعاده من الكهنوت ، في حين أنه لم يشر إلى أن هذا التصرف من جانبه كان من الأسباب الهامة التي أدت إلى إقامة المعبد السامري المنافس على جبل جريزيم .

ويجدر بنا هنا أن نتعرف على رأي كولي^(٢) من مناقشته لروايتي العهد القديم ويوسيفوس ، حيث يذكر أن الإشارة إلى سنبلط من سفر نحμία تبدو صعبة جداً حيث يتكلم عنه كخصم لدود (نحμία ٣ : ٣٣ - ٣٤) « لما سمع سنبلط أننا آخذون في بناء السور غضب واغتاز كثيراً وهزأ وتكلم أمام إخوته وجيش السامرة وقال ماذا يعمل اليهود الضعفاء . . . » ، وهذه إشارة واضحة إلى أن سنبلط قد حظي بنصيب من السلطة في السامرة ، حيث كان حاكماً عليها حوالي عام ٤٠٨ ق.م ، وإذا دققنا النظر فيما جاء برواية يوسيفوس فإننا نجد أنها تختلف عن رواية نحμία ، فهو يذكر أن سنبلط قد أرسل إلى السامرة حاكماً عليها في عهد داراً ، وربما كان رأيه صحيحاً إذا كان يقصد داراً الثاني ، ولكنه بكل تأكيد يطلق عليه داراً الأخير فهو لذلك يخلط بين دارا الثاني ودارا الثالث (٣٣٦ - ٣٣١ ق.م) ، ونتيجة لهذا الخلط فهو يؤخر الحوادث حوالي مائة سنة ، حيث يذكر أن ابنة سنبلط تزوجت من منسأ شقيق جادوالكاهن الأعظم الذي كان معاصراً لالاسكندر الأكبر ، ويجعل بذلك سنبلط على علاقة بالاسكندر الأكبر بعد أن هزم دارا الثالث في معركة ايسوس عام ٣٣٣ ق.م .

ونتيجة لذلك نجد صعوبة في أن نوفق بين رواية يوسيفوس والروايات الأخرى ، فإذا كان سنبلط حاكماً للسامرة في عام ٤٠٨ وقد كبر أبنائه ، فربما كان عمره على الأقل أربعين عاماً ، وهي حقيقة من الصعب تصديقها ، ولذلك يجب أن يكون قد عاش ٧٦ عاماً بعد ذلك حيث أن يوسيفوس حدد وفاته في عام ٣٣٢ ق.م^(٣) .

(١) Ant . XI , 7 , 2 .

A . Cowley : Aramaic Papyri of the Fifth Century . (٢)

B . C . (1923) PP . 109 - 110 .

Ant , XI 8 , 4 . (٣)

الفصل الرابع

والرأي القائل أنه كان هناك شخصان باسم سنبلط كل منهما حكم السامرة ولكل منهما ابنة تزوجت شقيق الكاهن الأعظم في القدس ، فإن هذا الحل يبدو غير مقنع ، وعلى هذا فنحن مجبرين إلى أن نقرر بأن رواية سنبلط المعاصر لنحميا تقف على أساس متين مع الحقائق الأخرى ، وأن يوسفوس قد أخطأ بخلطه بين دارا الثاني والثالث ، وربما تواتت الأحداث في روايته بعد ذلك ولكنها ليست متعاصرة تعاصراً سليماً^(١) .

وهكذا نجد أن قصة سنبلط لا تتقيد بخط مستقيم من تسلسل الأحداث ، فروايتا العهد القديم ويوسفوس هما حالتان تتعاقبان على كثير من المؤرخين ، ففي كلتا الروايتين نجد أنفسنا أمام سؤال بالغ الأهمية يحتاج إلى إجابة . . . وهو متى بدأ الشقاق بين أهل يهوذا وأهل السامرة وهل كان بناء المعبد السامري على جبل جريزيم تأكيداً لهذا الشقاق أم أنه كان بداية؟؟ . وسوف نحاول هنا دراسة الآراء المختلفة حول بداية هذا الشقاق بعد أن تبينا طرفاً من التاريخ والظروف التي مر بها الصدام بين أهل السامرة وأهل يهوذا بعد العودة من السبي البابلي .

ويبدو في رأي بعض المؤرخين أن اصلاحات نحميا الصارمة فيما يختص بالزواج كانت من الأسباب المباشرة لهذا الشقاق ، غير أن أولستد يرى أن بداية الشقاق الحقيقي إنما يرجع إلى اقامة المعبد السامري على جبل جريزيم ، على أن الانفصال تم في وقت لاحق^(٢) . في حين يرى جاستر أن الشقاق قد بدأ منذ عمليات التغريب الآشوري واستيطان بعض القبائل العربية (ثمود والعباد) في إقليم السامرة ، وقد وصف جاستر هذا الشقاق بأنه كان دينياً في حقيقة الأمر أكثر كونه سياسياً^(٣) . بينما يرى مونتجمري أن الشقاق ربما قد حدث في وقت متأخر عن العصر اليوناني مخالفاً بذلك يوسفوس الذي أعاده إلى عصر الاسكندر الأكبر^(٤) .

ورغم تباين هذه الآراء فإنه لا يوجد دليل واضح لبيان البداية الحقيقية لهذا الشقاق ، وسوف نحاول أن نمسك الخيط من بدايته .

قبل العودة من السبي البابلي كانت كل من يهوذا والسامرة متقاربتان من حيث الأوضاع الاجتماعية التي سادت كلا منهما ، فكانت يهوذا يشغلها كل من الفلسطينيين (اليبوسيين) والأدوميين والعمونيين ، وهم الذين لقبوا في سفرنا نحميا عزرا « شعب الأرض » ، مما دفع مركز الثقل لأهل يهوذا إلى الاتجاه شمالاً نحو السامرة ، ولذلك تواجد جدالياً الحاكم

(١) . 109 - 110 . P . (1923) B . C . of The Fifth Century Aramaic Papyri : A . Cowley

(٢) . 595 . P . History of Assyria : Olmstead

(٣) . 35 . P . The Samaritans : Gaster

(٤) . 68 . P . Op . Cit . : Montgomery

يهودي على المتبقين في يهوذا - بعد سقوط القدس على يد بختنصر - في مصفاة التي تقع بالقدس (١ رميا ٤١ : ١) ، وهكذا نجد أن أهل يهوذا وأهل السامرة كانوا واقعين ت ظروف واحدة تقريباً في عصر السبي في القرن السادس ق.م ، ومن المرجح أن نكام البابليين والفرس كانوا يتخذون من إقليم السامرة مركزاً لهم ، ولذلك فأننا نفترض أرض فلسطين في الجنوب والتي كان يشغل جزءاً منها أهل يهوذا - بعد سقوط القدس - أصبحت تحت سيطرة حكام السامرة ، ومن هنا يرى مونتجمري أن خصومه أهل يهوذا هل السامرة قد تميزت بطابع سياسي قبل أن يكون دينياً^(١) .

والواقع أننا لانسطيع الجزم برأي قاطع في هذه المسألة الهامة ، إلا أننا يجب أن نميز قة بين عنصرين أساسيين أولهما هروب منسأ إلى السامرة ، وهذا واضح في سلسلة داث نحميا والتي ربما تحولت بطريق الخطأ في رواية بوسيفوس إلى عصر الاسكندر كبر كما أسلفنا ، والثاني هو بناء المعبد السامري والذي نُسب أيضاً إلى عصر سكندر ، وبينما العبارة التي تتناول منسأ يشوها كثير من الشك إلا أن الأخرى والتي لمق ببناء المعبد السامري في عهد الاسكندر أقرب إلى الصواب وتؤديها عدة حقائق مة ؛ أولها اتفاق أهل السامرة وأهل يهوذا في قبول الأسفار الخمسة التي تمت مراجعتها لويرها كاملة ، ولو كان الانفصال حدث حوالي عام ٤٣٠ ق.م - وهذا التاريخ متقدم بة قرن من التاريخ الذي حدده يوسفوس قبل أن تأخذ الأسفار الخمسة شكلها الي ؛ فإنه من البديهي أن نقر بأن التوراة الكاملة لا يمكن أن تكون قد جمعت وصُنفت ظل هذا العداء بين أهل يهوذا وأهل السامرة ، ولأثبتت التوراة السامرية^(٢) انتماؤها إلى ة سابقة على ذلك ، وإذا فرضنا أن التوراة في هذا الوقت فقط (٤٣٠ ق.م) كانت

(. 60 - 58 PP , Cit , Op . Montgomery)

١ التوراة السامرية : يبدو أن التوراة السامرية هي أقدم آثار الأدب السامري إذ أنها قديمة قدم الطائفة نفسها ، وتتفق مع النص العبري (المسورت وهو الكتاب المقدس الموجود بين أيدي اليهود) في كثير من الوجوه ، كما أنها تتألف من خمسة أسفار ، هم التكوين والخروج واللاوين والعدد والثنية . وينسب السامريون واليهود التوراة إلى موسى ، حيث أنها أنزلت عليه في طور سيناء (ولكنها حرفت بعد ذلك لأنها لم تجمع وتصنف إلا بعد موسى بحوالي ألف عام) ، وتغطي هذه الأسفار الخمسة فترة من التاريخ تبدأ من بدء الخليقة ، وتنتهي ب وفاة موسى على جبل نبو في شرق الأردن حوالي ١٣٠٠ ق.م ، وما يجدر ملاحظته أن نص التوراة السامرية يختلف عن النص العبري الحالي (المسورت) في نقاط عديدة ، إلا أن الاختلافات الجوهرية قليلة . ومن المرجح أن يكون اليهود أنفسهم هم الذين حَرَفُوا في النسخة الأصلية أكثر من السامريين .

الفصل الرابع

موجودة وأنها قبلت بشكل عام ، وأن الكاهن المطرود منسًا قد حملها معه إلى السامرة ! ! إذن من المسؤول عن هذا التجديد والتصنيف ؟ والاجابة كما جاءت من التراث الرباني بأن التوراة فقدت وأن عزرا قد استعادها وجمعها وهي لم تكن موجودة على هذه الصورة التي بين أيدينا ، فقد قام عزرا بتجميعها وتصنيفها من مصادر مختلفة بترجمة مآجمه من هذه المصادر إلى اللغة العبرية بعد صياغتها وإكمالها حيث جاء في سفر عزرا أنه كاتب توراة موسى (عزرا ٧ : ٦) ، وهناك مغزى على قدر كبير من الدلالة ، ألا وهو تشابه العبادة السامرية وطقوسها مع طقوس العبادة اليهودية ، وقد ظهر هذا التأثير اليهودي جلياً في الفترة التي تلت نحميا .

ومن المدهش أننا لانجد أي اشارة عن العبادة الوثنية لدى السامريين بعد تشييد معبدهم على جبل جريزيم ، ويبدو أن اختفاء هذه العبادات من السامرة خلال هذه الفترة إنما يعود إلى ما قام به منسًا والكهنة الذين عادوا معه إلى السامرة حاملين الأسفار الخمسة . ومن هذا يتبين لنا أن مجتمع اليهود في السامرة كان يميل إلى التشبه بحضارة العنصر الغائب في البيشة التي يعيشون فيها ، مثلهم في ذلك مثل المجتمع اليهودي في القدس الذي عاش هناك في دهاليز الازمان وزوايا النسيان أو ما يشبه ذلك .

= ويشير رشيوني إلى أن اختلافات النص السامري عن النص العبري يصل عددها حوالي ٦٠٠٠ ستة آلاف معظمها على ما يبدو اختلافات كتابية ونحوية باستثناء أمثلة قليلة حرفها السامريون لصالحهم .

الفصل الخامس



الصراع الديني بين الهيكل في القدس
والمعبد الإسرائيلي في أشمال

الصراع الديني بين الهيكل في القدس والمعبد الإسرائيلي في الشمال

سنحاول في هذا الفصل عمل دراسة مقارنة بين المعبد الاسرائيلي في الشمال والمعبد اليهودي الجنوبي المركزي في القدس ، لكي نصل إلى حقيقة الصراع الديني الدائم بين قبائل الشمال والجنوب ، بعد أن تتبعنا الصراع السياسي الدائم وعدم الاستقرار والفتن وأساليب المؤمرات وأعمال الاغتيال بين الملوك في داخل كلتا المملكتين ، كما أسلفنا . وقد ترتب على ذلك أن كثرت المشاحنات والمعارك الدينية بين المتزمتين والمنحليين الذين سمحوا بإقامة طقوس وثنية من الديانة الكنعانية ، وقد انتهى ذلك بتضعف الكيان اليهودي والوجود السياسي لهم في فلسطين بعد أن دمره سرجون الآشوري في السامرة عام ٧٢٢ ق . م وبختنصر البابلي في القدس عام ٥٨٧ ق . م .

الديانة الكنعانية وتأثيرها على الطقوس اليهودية

لم يمض وقت طويل على اقتحام بني اسرائيل أرض كنعان ، حتى كان الغزاة الاسرائيليون باستثناء بعض القبائل مثل الركابيين^(١) قد اندمجوا تماماً مع أهل كنعان ، حيث تشربوا كثيراً من عاداتهم وطقوسهم الدينية^(٢) . ولقد استمرت المعابد الكنعانية تخدم الكنعانيين والاسرائيليين نتيجة الاندماج بين الغزاة والمقيمين ، ومن هنا بدأ الاسرائيليون في التعرف على الطقوس الكهنوتية الكنعانية ، وكان أمراً محتماً أن تتأثر الديانة اليهودية بالديانة الكنعانية وخاصة فيما يتصل بطقوس الزراعة ، حيث أنه من المعروف أن الزراعة كانت ترتبط دائماً بالديانة في العصور البدائية ، وكانت أوجه النشاط الزراعي المختلفة (من حصاد . . . الخ) تعتبر جميعها طقوساً دينية ، فعندما يقوم شعب رعوي بالتكيف مع مجتمع زراعي فإنه من المحتم أن

(١) كانت قبائل الركابيين تدين بالولاء في عبادتهم باله اسرائيل القومي ومن المحتمل أن يكون هؤلاء القوم كان ينظر اليهم على أنهم الممثلين الحقيقيين لشعب اسرائيل كشعب متميز عن الكنعانيين .

(٢) حزقيال قوفيمان : تاريخ العقيدة اليهودية في العصور القديمة وحتى نهاية البيت الثاني - المجلد

الفصل الخامس

يشرب ديانة المجتمع الزراعي ، ومن هنا أصبحت الأعياد الكنعانية أعياداً اسرائيلية . أما فيما يتصل بمسألة الكهنوت فإنه من الصعب أن نحدد ما إذا كان عنصراً أساسياً في المعابد الكنعانية أم لا ، ذلك أن الضحية كانت فيما يبدو تذبح بواسطة مقدم القربان نفسه ، ولذلك من الصعب أن نقرر ما إذا كان من الممكن للشخص العادي أن يقوم بحرق الدهن ثم صب الدم على المذبح . وعلى أي حال فقد كان هناك كهنوت منظم في المعابد الكبيرة العامة ، لكن يبدو أن مهمة الكهنوت لم تكن وراثية لأن الكاهن كان هو الوسيلة للحفاظ على التراث الديني والحارس على الأيقونات . والأهم من ذلك كله كان الكاهن هو الشخص الوحيد الذي يعرف أفضل الطرق لظواهر المعجزات عن طريق تقديم القرابين ، وقد أصبح للكاهن تدريجياً دور آخر في المجتمع ، وهو تسوية المنازعات وتطبيق القانون^(١) .

ومن الصعب تحديد مدى التداخل بين عمل الكاهن وعمل القديسين لأن هؤلاء القديسين ، فيما يبدو ، كانوا من أصل كنعاني فهم رسل الرب الذين بعث بهم لتنمية القدرات الانتاجية للطبيعة ، ومن ثم يمكن إرجاع فكرة التضحية بالابن الأول إلى هؤلاء القديسين ، فمع انتفاخ الرحم يكون الزواج قد أثمر ، ويرجع ذلك الانهار الى الاتحاد مع روح الرب التي تمثلت في جسد الزوج ، ولذلك فإن أول مولود يجب أن يكون ملكاً للرب . وقياساً على ذلك فإن وظيفة ما كان يعرف بالمرأة المقدسة يعتبر امتداداً لهذه الطقوس وتلك العبادات الوثنية ، كما أن القديسين - بخلاف الكهنة - كانوا لا يقيمون في المعبد حيث أن قدسيتهم لا تتطلب الإقامة فيه أو تقديم الذبائح .

أما بالنسبة للقديس إبان عصر الملكية ، فقد كان يمثل شخصية بارزة في المجتمع الاسرائيلي (١ شعيا : ٣ : ٢ ، ميخا : ٣ : ٧) ، وقد انقسمت طبقة القديسين إلى طبقتين رئيسيتين ، الرائي والنبى وكانت هاتين الطبقتين في البداية منفصلتين ولكنهما في نهاية الأمر أصبحتا متماثلتين^(٢) .

المعبد الكنعاني وطقوسه

من المهم أن نوضح أنه أثناء الفترات التي كان فيها حكومات مركزية قوية في مصر وبابل ، كان هناك معبد مركزي لكبير الآلهة بالإضافة الى معابد للآلهة الأخرى ، لكن

(١) J . Gray : The Canaanites PP . 135 - 138 .

(٢) Ency . Religion : Israel , P . 442 .

G . E . Wright and D . N . Freedman : The Biblical Archaeologist Reader 1 (1981) P . 174 .

G . Gray : Op . Cit . , P . 70 .

المعابد التي كانت موجودة في كنعان لم يكن من بينها معبد يمكن أن يطلق عليه المعبد الرئيسي لبعل ، وذلك لعدم وجود حكومة مركزية قوية في كنعان ، فالاله بعل الكنعاني كان واحداً من الناحية النظرية إلا أنه من الناحية الواقعية كان له حرم في كل مكان ، ومن المحتمل أن يكون نفس الشيء بالنسبة لبقية الآلهة الكنعانية وخاصة الأشيراه (أم الآلهة) وعشتروت (آلهة الخصوبة) .

وقد تم اكتشاف أول المعابد الكنعانية في أرمحا وآخر في مجيدو ، ويرجع تاريخها على وجه التقريب الى عام ٣٠٠٠ ق . م ، واكتشفت كذلك ثلاثة معابد أخرى في مجيدو يرجع تاريخها الى عام ١٩٠٠ ق . م ، وكانت معظم هذه المعابد عبارة عن غرفة واحدة مستطيلة الشكل لها باب واحد على أحد جوانبها الطويلة . كما تم اكتشاف بعض المعابد الكنعانية التي يرجع تاريخها الى حوالي عام ١٥٠٠ ق . م ، وهي تتميز بأنها ذو شكل مربع له مدخل خاص .

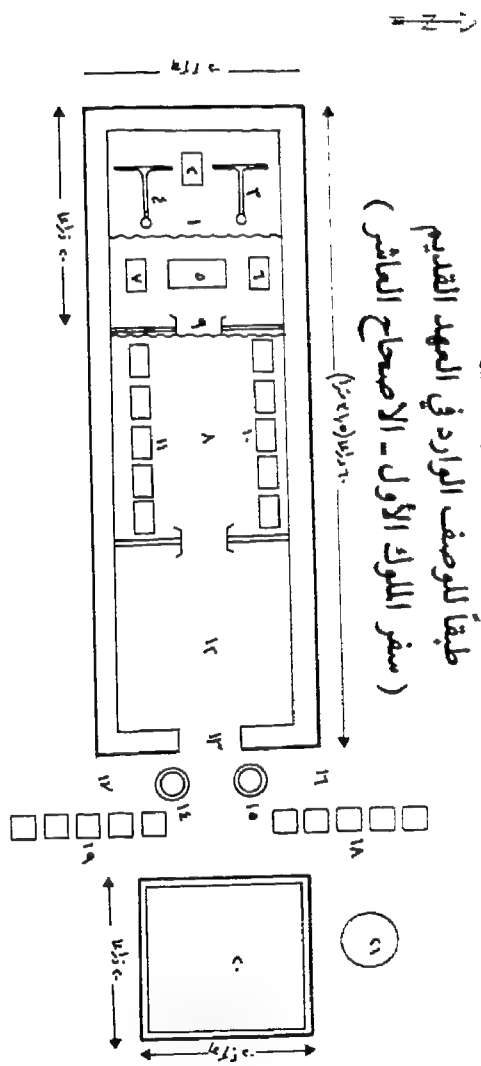
وقد تم اكتشاف معبد كنعاني في بيت شان حوالي عام ١٣٠٠ ق . م ، وكان نقطة تحول في تصميم المعبد الكنعاني ، فهو يتكون من غرفة خاصة مربعة الشكل تقع في نهاية الغرفة الرئيسية للمعبد ، ويتم الوصول الى الغرفة العليا بواسطة بعض المدرجات حيث يوضع تمثال للاله ، وتمثل الغرفة العلوية قدس الأقداس الذي كان يعتبر صفة مميزة لمعبد سليمان فيما بعد ، وكانت هذه الصفة المميزة موجودة أيضاً في معابد مصر والعراق . وقد بنيت في غرفة المعبد الرئيسية مدرجات لكي توضع عليها القرايين ، كما كان هناك مذبح صغير أمام التمثال المرتفع حيث تقدم البخور في الغرفة العلوية وربما كانت توجد أيضاً بعض الشموع . وفي الفناء الخارجي للمعبد يوجد المذبح الرئيسي حيث تحرق القرايين .

والتصميم العام للهيكل في القدس يكاد يماثل تصميم المعبد الكنعاني على هذه الصورة مع اختلافات غير جوهرية ، أهمها أن قدس الأقداس كان في نهاية المعبد . كما أنه تم اكتشاف معبد لبعل في رأس شمرة أبعاده ٤٠ × ٢٠ متراً وهو يعتبر أحسن تخطيط للمعبد الكنعاني قبل بناء الهيكل في القدس . ويتجه معبد رأس شمرة من الشمال الى الجنوب وهو يتكون من فناء خارجي يحتوي على المذبح (٢ ، ٢ × ٢ م) ، ثم يليه فناء ضيق إلا أنه أكثر طولاً ويحتوي على تمثال للاله ، ويوجد للمعبد مدخل غير مباشر من الجانب الغربي وهذا المدخل في مواجهة المذبح .

ومن المهم أن نوضح أن المتعبدين في اسرائيل كانوا مثل جيرانهم الكنعانيين عندما اعتقدوا في أن العبادة يجب أن تكون في أماكن مقدسة وليس في أي مكان يختاره المتعبد ، ولكن نقطة الخلاف الرئيسية كانت في اعتقاد بني اسرائيل في الأماكن المقدسة ، على أنها

لوحة رقم (٥)

مخطط لمعهد سليمان
طبقاً للوصف الوارد في العهد القديم
(سفر الملوك الأول - الاصحاح العاشر)



- ١٢ - عتبة المدخل وليس لها أمان في جهة معينة
- ١٣ - باب المعبد الخارجي
- ١٤ - عمارد المنبر على الجانب الجنوبي للمعبد وهي باقية
- ١٥ - طاووس المنبر على الجانب الجنوبي للمعبد وهي باقية
- ١٦ - سلم من بصرى إلى الجانب الشمالي للمعبد وهي باقية
- ١٧ - باب من جهة الجنوب
- ١٨ - أحجار منبسطة على الجانب الجنوبي للمعبد وهي باقية
- ١٩ - الفسيفساء الموزونة
- ٢٠ - منبر من الفسيفساء لتعظيم العزلة التي تميز بها بالمر
- ٢١ - جدران الفسيفساء التي تبتدل فيه الكهنة
- ١ - فريس الموزونة (الجدران)
- ٢ - بابوت العهد المقدس (بابوت الجدران)
- ٣ - مكان لوضع الكهنة منبسطة على بابوت العهد
- ٤ - المنبر المذهبي للقرابين
- ٥ - منبسطة على السطح من الجانب الشمالي
- ٦ - منبسطة على السطح من الجانب الجنوبي
- ٧ - منبسطة على السطح من الجانب الجنوبي
- ٨ - بابوت العهد المقدس (الفسيفساء الموزونة)
- ٩ - باب منبسطة على السطح من الجانب الجنوبي
- ١٠ - منبسطة على السطح من الجانب الجنوبي

ديار الرب حيث يتجلى فيها ، ولذلك فلم يكن هناك تحديد لمكان الرب في المعابد المختلفة كما كان يظهر في الديانة الكنعانية (١) .

الاختلافات الرئيسية بين المعبد الجنوبي والمعبد الشمالي

يمكننا أن نجمل الاختلافات الرئيسية بين المعبد الجنوبي والمعبد الشمالي في النقاط التالية :

أولاً : كان المعبد الجنوبي معبداً رعوياً بينما كان المعبد الشمالي معبداً زراعياً ، وهذا يعني أن النشاط الرئيسي اليومي يبدأ في المعبد الجنوبي في الصباح المبكر ، بينما يبدأ في المعبد الشمالي الزراعي ليلاً بعد العودة من الحقول .

ثانياً : كان المعبد الجنوبي يخضع لسلطة دينية متشددة جداً ، بينما غلب روح التسامح على المعبد الشمالي ، وذلك لأن مجتمع الزراعيين في الشمال كان مستقراً ومنفتحاً على فينيقيا ، وهذا يبين لماذا لم تظهر الدعارة المقدسة في القدس إلا في متأخر جداً في أيام يوشياهو وكانت هذه الظاهرة بالطبع عدوى من الشمال (٢) (عاموس ٢ : ٧ - ٨ ، هوشع ٤ : ١٤ - ١٩) .

ثالثاً : كانت تسود المجتمع الرعوى في الجنوب روح القبيلة لأنه ينقسم الى مجتمعات صغيرة ، مما يجعل انتشار الفسوق به أمراً صعباً ، وذلك على عكس المجتمع الزراعي في الشمال الذي كان يخضع لمؤثرات خارجية كثيرة منها انفتاحه على المجتمعات الأخرى .

رابعاً : كانت أعياد المجتمع الرعوي المهمة هي الربيع لأنه عيد نتاج الغنم (عيد الجز الذي يبيعون فيه الصوف) ، بينما كانت أعياد الزراعة هي أعياد المطر والحصاد وربما تداخلت مع الأعياد اليهودية ، ومع ذلك فربما أخذ عيد الربيع في القدس شكلاً من المؤكد أنه كان أكثر مما أخذه في السامرة على الأقل ، لأن عندهم عيدين ، عيد اليوريم (الكرنفال) وعيد الفصح ، وربما تداخلت هذه الأعياد نظراً لوجود مجتمعات بعضها رعوى وبعضها زراعي يجمعها دين واحد ، ومن هنا كانت ازدواجية المجتمع الاسرائيلي . فهو زراعي على السهول الزراعية ، ورعوى على سفوح الجبال والهضاب وفي بعض الأقاليم الصخر واية كصحراء يهوذا من أريحا

(١) G . E . Wright and D . N . Fraedman : Op . Clt . , PP . 174 - 175 .

J . Gray : Op . Clt . , P . 71 .

(٢) E . W . Heaton : The Hebrew Kingdoms PP . 24 , 25 .

راجع : W . R . Smith : The Prophets P . 99 .

الفصل الخامس

الى القدس الى المجدل جنوباً ، وصحراء النقب من القدس الى بئر سبع ، ويفسر هذا التعبير العبري الذي يرد في العهد القديم أكثر من مرة من دان الى بئر سبع (١ صم ٣ : ٢٠) ، دان في سهل الحولة وبئر سبع في صحراء النقب أي من الشمال الى الجنوب ، (من الحضر الى البدو - من الفلاحين الى الرعاة) ولذلك استعمل للشمال اسم مبسط وهو دان وللجنوب اسم مدينة بئر سبع .

خامساً : كان المعبد في المجتمع الزراعي أميل الى الاعتماد على الخطباء والمنشدين والشعراء ، أما في المعابد الرعوية فكانت تميل الى استعمال الآلات الموسيقية أي آلات النقر « الدف » (قضاة ١١ : ٣٤ ، ١ صم ١٨ : ٦ ، مزامير ٦٨ : ٢٥) ، آلات النفخ (الأرغول) والآلات الوترية (القيثارة) [أنشودة ديبورة - قضاة : ٥] ، وقد كان داود من الجنوب مشهوراً بالانشاد على نغمات الآلات الموسيقية (١ أخ ٢٥ : ٦) ، وفي كثير من المزامير التي أعدت للطقوس يذكر في أولها اسم أو أسماء الآلات الموسيقية المصاحبة ، وذلك لأن البدوي كان أميل لأن يكون المعبد الديني مرحاً لأن حياته نفسها ليست مريحة ، أما الاحتفال الديني في المجتمع الزراعي فكان فخماً مؤثراً ، لأن المرح كان ظاهرة يومية ؛ ولذلك نظمت أماكن للموسيقين والمنشدين في هيكل أورشليم على عكس معبد السامرة الذي لم يشتهر عنه ذلك ^(١) ، فعلى سبيل المثال نجد في الشمال أنبياء مثل الياهو أو هوشع أو عاموس خطباء وشعراء من الطراز الأول وكلامهم ووعظهم كله زجر ووعيد وتحذير ، ولذلك اكتسبوا هبة كبيرة ضد ملوك الشمال ، بينما لقي أمثالهم الالهانة في يهوذا وخصوصاً النبي ارميا الذي واجه الاعتداء عليه في الطريق ومات قتيلاً .

سادساً : من المهم أن نوضح أن المسائل اختلطت في أواخر عصر اليهودية في فلسطين قبل السبي البابلي . حيث ظهر خطباء في الجنوب مثل ارميا كما تقاربت الطقوس بعضها مع بعض ، فعلى الرغم من كل ماعمله ملوك اسرائيل لمنافسه الهيكل في القدس ، لم يستطع معبد السامرة وبيت أيل أن يمنع الحجاج الشماليين من الاتجاه الى الجنوب .

(١) . 166 - 167 . Albright : Archeology of Religion of Israel

حيث يشير أن موسيقي المعبد ومغنوه الأوائل كانوا كنعاني الأصل أو تعلموا على يد الكنعانيين ، وعندما وضع داود موسيقى الانشاد الديني وهي التي تبعها سليمان من بعده ، لم يكن لديها نموذج يسيران على هديه إلا النماذج الكنعانية . وما يؤكد ذلك أن طوائف الموسيقيين المتأخرين كانوا يفخرون بنسبهم الى أسر تحمل أسماء كنعانية .

سابعاً : كانت تقسيمات المعبد الجنوبي مريحة حيث كان يتم الدخول اليه من أبواب معينة للمدينة المقدسة ، وبعض هذه الأبواب كانت توجد بجانبها محكمة ، وبعضها كانت توجد بجانبها سوق مخصصة (سوق للخيل ، سوق للسماك) . وتحت البعض منها كانت توجد مساكن الخصيان الذين يعملون حرساً للحريم في القصور . كما كانت هناك أسواق تؤدي الى المعبد ، حيث يكون الشخص الذي اشترى الضحية قد وجد في الثلث الأول من المعبد - وهو الفناء المكشوف - مائدة القرايين التي يذبح عليها الذبيحة ويغسلها في بحر النحاس (حوض ماء) ، وهناك جماعة لحرق القرايين ، وحول كل هذا تصدح فرق المنشدين ، وبعد ذلك يدخل الفرد لبهو الصلاة بلا فرق موسيقية حيث يؤم الكاهن الأعظم الصلاة ويقيم الطقوس . ويوجد حول المبنى كله بعض أحواش مخصصة « للجوييم » لايتجاوزونها . نجد بعد ذلك على الروابي وفي الضواحي القرية وحتى تخوم المعبد دور الخمر وأسواق لبيع كل شيء من البضائع المحلية والمستوردة (مثل الكتان المصري والأحجار الكريمة من آسيا الصغرى وفارس) ، كل هذا كان لايمكن تهيئته للمعبد الشمالي بنفس الطريقة ، حيث كان أساس الطقوس في الشمال هو الموعظة .

وما يجدر بالملاحظة أنه عند إعادة بناء المعبد الثاني على يد نحemia ، كان عزرا ونحemia والكهنة قراءاً للكتاب المقدس حيث لم يكن يوجد منشدون مثلما كان الأمر في أيام داود وذلك لأنهم تربوا في مجتمع ديني زراعي في بابل ، ولايمكن مقارنة حفل تدشين الهيكل أيام داود بحفل تدشينه أيام عزرا الذي جرى بطريقة بسيطة .

ثامناً : من المرجح أن المملكة الشمالية عاشت لمدة طويلة نسبياً دون كاهن أعظم ودون هيكل مثل هيكل سليمان ودون سلطة دينية ضخمة ، ولذلك تعرضت لهذا التأثير من الوثنية الذي أسلفنا الحديث عنه ، بينما كان الكاهن الأعظم والنبي في الجنوب يستطيع أن يوجه اللوم إلى الملك .

فالوزاع الديني في الشمال لم يكن نابعاً من سلطة كهنوتية (الياهو) ، وذلك لأن القصر الملكي في الشمال كان وليداً انقلاب ، ولذلك فإن الملك لم يكن يريد أن تشاركه سلطة كهنوتية . بينما تشكل الوزاع الديني في الجنوب ببطء وعلى مهل ، وكان الكاهن الأعظم مساعداً للسلطة الحاكمة على توطيد نفوذها ، ولذلك كانت السلطة الحاكمة لها

احترامها^(١) ، وهذا يفسر لنا أن الرجل الاسرائيلي في الشمال استمر في الاعتقاد في نقاء الديانة الموسوية في الجنوب . فكان يذهب الى الحج الى القدس (أورشليم) رغم أنف السلطة الحاكمة ؛ حتى بعد إقامة معبد جريزيم . فبعضهم كان يذهب الى جريزيم وبعضهم الى بيت إيل والجلجال والمصفاة (عاموس ٥ : ٥ هوشع ٥ : ١ ، ٦ : ٩) وبعضهم الى القدس وبعضهم الى جبل الكرمل وبعضهم الى شكيم ، وهذا يعني أنهم في الشمال كانوا في ضياع^(٢) ، بينما كانت السلطة الدينية في الجنوب مركزية وكانت القبلة بمثابة المعبد المركزي والحرم وكان للمعبد آداب وتقاليده ، أي كانت فيه أحواش معينة لا يدخلها إلا النساء وأخرى لا يدخلها إلا الملك والكهنة (قدس الأقداس) .

إذن لماذا فشل معبد الشمال ؟ . . في الغالب لأن معبد أورشليم كان أكثر شعبية . فالمعبد الشمالي كان أشبه بالمعبد الفينيقي . كما أسلفنا القول ، حيث كانت الطقوس تقام حوله في الهواء الطلق أما دخول المعبد فكان للزيارة والتبرك . ومن الواضح أن المعبد في الشمال مثل المعبد الفينيقي ، كان مبني ليس فيه الأقسام المورقة مثل المعبد المصري أو المعبد في القدس ، فالطقوس التي كان يقوم بها كهنة البعل كانت في معابد صغيرة الحجم وكان لكل كاهن معبد (كان عدد كهنة البعل ٤٠٠ كاهن) ، فعندما أقيمت المباراة الكبيرة بين النبي الياهو وكهنة البعل . أقام الياهو مذبحاً في الهواء الطلق ، وهذا يؤكد أن معظم الطقوس كان تقام حول المعبد في الهواء الطلق^(٣) .

وبما يجد ذكره أن اسم يهوه كان بمثابة سور منيع ضد دخول الوثنية في الجنوب ، حيث أن يهوه أكثر ايغالاً في العالمية وهو الاله الواحد الذي اتخذته يهوذا عن يعقوب . كان للمعبد الذي أقيم في السامرة وصف في كتب الآثار وليس له وصف في العهد القديم ، يضاف الى ذلك أن السامرة كانت محطة مواصلات محلية ، بينما القدس كانت محطة مواصلات دولية . فهي طريق العرب القادمين من أرض مدين ، وطريق الآشوريين والبابليين والحيثيين الى مصر ، كما كانت معبراً لموانئ البحر الأبيض مثل يافا وحيفا .

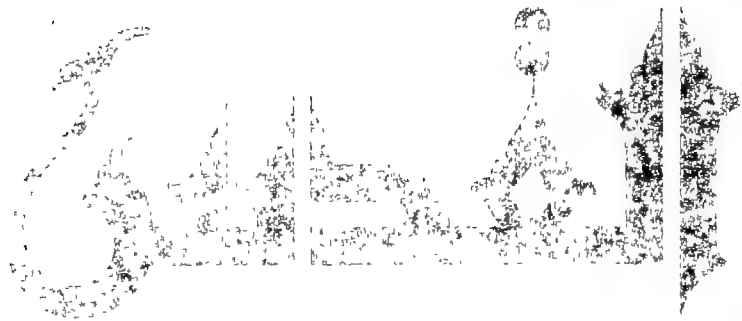
(١) E . W . Heaton : The Hebrew Kingdoms (1968) P . 143 .

(٢) W . R . Smith : Op . Cit . , PP . 98 - 99 .

(٣) G . E . Wright : Op . Cit . Reader 1 PP . 174 - 175 .

راجع : K . Kenyon : Digging Up . Jerusalem PP . 155 , 127 , 128 .

الفصل السادس



القدس في العصرين اليوناني والروماني

[Redacted]

[Redacted]

[Redacted]

[Redacted]

القدس في العصرين اليوناني والروماني

القدس في العصر اليوناني

فقد اليهود استقلالهم السياسي منذ الغزو الآشوري والكلداني ، حيث أطاح الآشوريون بمملكة اسرائيل عام ٧٢٢ ق . م ، كما أطاح الكلدانيون بمملكة يهوذا عام ٥٨٧ ق . م ، وانتقلت السيادة من الكلدانيين إلى الفرس عام ٥٣٩ ق . م ، ومن الفرس إلى الاسكندر الأكبر عام ٣٣٣ ق . م ، بعد سيادة الفرس التي دامت حوالي قرنين (١) . وقد استمرت فلسطين تحت سيادة البطالمة حوالي قرن (٣١٩ - ٢٢١ ق . م) في عهد البطالمة الثلاثة الأوائل ، ولكن في عام ٢٢٠ ق . م نجح انطيوخوس الثالث الملك السلوقي في السيطرة على فينيقيا وفلسطين (٢) ، وبذلك أصبحت تحت سيطرة السلوقيين فترة من الزمن (٢٢٠ - ١٨٧ ق . م) ، عادت بعدها فلسطين إلى سيادة البطالمة حتى عام ١٦٤ ق . م ، ثم عادت مرة ثانية إلى سيطرة السلوقيين التي استمرت حتى الفتح الروماني لفلسطين عام ٦٣ ق . م على يد بومبي (٣) .

قرر اليهود - منذ سيادة الفرس على فلسطين - أن ينظموا أنفسهم ليكونوا مجتمعاً سياسياً دينياً جديداً ، ولكن الشكل الجديد للمجتمع اليهودي بعد العودة من السبي كان يختلف اختلافاً جوهرياً عن ذي قبل ، فمنذ هذا الوقت أصبح الحكم ثيوقراطياً تحت سيطرة الكهنوت ، بمعنى أن أصبح الشكل الجديد للمجتمع اليهودي دينياً أكثر منه سياسياً فقد كان تأثير الكهنة سائداً ربما منذ عصر عزرا ، والواقع أن تسمية الكاهن الأعظم لم تأت من كونه الموجه الأعظم للعبادة فقط ، ولكن لكونه على رأس التنظيم السياسي ، وهي سلطة طائفية بمعنى أن تجمع الزكاة من اليهود وتتولى إدارة القضاء بينهم وتنفيذ الأحكام الشرعية فيهم ، واستمر منصب الكاهن الأعظم وراثياً بحيث أنه كان يرأس مجلسات للسندرين

(١) E. Schurer : A History of Jewish people in the time of Jesus (1978), P. 13 .

(٢) د . ابراهيم نصحي : تاريخ مصر في عصر البطالمة (١٩٧٦ - الطبعة الرابعة) ج ١ صفحات ١٤٣ ، ٧١ .

(٣) ابراهيم نصحي : المرجع السابق ج ١ ص ٢٧٢ .

كجهاز تنفيذي ، ويسدو أن هذا الشكل الجديد للمجتمع اليهودي الذي أسلفناه قد ستمر أثناء فترة السيادة الفارسية والسيادة الاغريقية^(١) .

الاسكندر وفلسطين

بعد أن دحر الاسكندر الأكبر داريوس الثالث ملك الفرس في موقعة إيسوس Issus في حريف عام ٣٣٣ ق . م ، توقع المجتمع اليهودي في فلسطين قدرا من الحرية أكثر من التي منحهم إياها ، وحسب رواية يوسيفوس فإن الاسكندر عند حصاره لمدينة صور أرسل الى الكاهن الأعظم في القدس يطلب منه المساعدة في حصارها بارساله جنوداً من اليهود ، فرفض الكاهن الأعظم ولاءاً منه للملك الفارسي دارا الثالث . ونتيجة لذلك ثار الاسكندر وصمم على الانتقام من الكاهن الأعظم اليهودي بعد أن ينتهي من السيطرة على صور ، وقد انتهز هذه الفرصة سنبلط حاكم السامرة الذي سار ومعه ستة آلاف مقاتل من السامريين لمساعدة الاسكندر في حصاره لصور . ونتيجة لهذه المساعدة طلب سنبلط موافقة الاسكندر على بناء المعبد السامري على جبل جريزيم لصهره الكاهن منسأ الذي انشق عن المجتمع اليهودي في القدس ، فوافق الاسكندر على طلبه . وبعد استيلاء الاسكندر على صور بمساعدة السامريين سار الى القدس لينتقم من الكاهن الأعظم الذي خرج لاستقباله خارج المدينة ومعه الكهنة في ملابسهم البيضاء ، وعند رؤية الاسكندر الكاهن الأعظم هب لتحيته ، وقد أوضح الاسكندر لقواده سبب تصرفه هذا الذي أدهشهم ، بأن الكاهن الأعظم قد تراءى له في الحلم مبشراً إياه بالنصر على الفرس ، وبعد ذلك ذهب معه الاسكندر الى الهيكل في القدس حيث قدم القرابين ليهوه . وهناك عرض عليه الكاهن سفر دانيال الذي تنبأ بأن أحد قواد الأغريق سوف ينتصر على الامبراطورية الفارسية ، وعلى أثر ذلك قبل اليهود الخدمة في جيش الاسكندر^(٢) كما ذكر يوسيفوس أن جنود سنبلط الذين ساعدوا الاسكندر عند حصاره لصور ، أحضرهم معه الى مصر وأقطعهم أرضاً في طيبة وعينهم حراساً على هذا الاقليم^(٣) . ومن المهم أن نشير أن رواية يوسيفوس عن تواجد السامريين في طيبة في عصر الاسكندر لا تستند على أدلة واضحة ؛ وإذا سلمنا جدلاً بصدق دعواه على أنه كان في

(١) E. Schurer : Op. Cit. , P 14

(٢) JOS : Ant , XI , VIII , 4

راجع مصطفى عبد المليم : المرجع السابق ص ٣٠ .

(٣) Jos : ant , XI , VIII , 6

إقليم الفيوم قرية تسمى السامرة إلا أن إقليم الفيوم لم يكن جزءاً من منطقة طيبة ، ومن المحتمل أن يكون سكان هذه القرية من السامريين الذين أحضرهم بطليموس الأول على نحو ما أورده يوسيفوس نفسه ، ومن المرجح أنهم جاءوا مع توافد اليهود على مصر منذ بداية عصر البطالمة (١) .

ومما يجدر ذكره أن كثيراً من المؤرخين رفضوا رواية يوسيفوس عن زيارة الاسكندر للقدس التي انفرد بذكرها ، ومن بينهم تشركوفر حيث ذكر أن روايته فيما يتعلق بتقديم الكاهن الأعظم لسفر دانيال الى الاسكندر لا تقوم على أساس تاريخي سليم ، حيث أن السفر حتى عصر الاسكندر لم يكن قد وجد بعد . وإنما تم جمعه بعد الاسكندر بحوالي خمسين سنة وبالتالي فإن قصة زيارة الاسكندر للقدس وتقديمه القرايين الى يهو لا تقوم أيضاً على أساس متين (٢) .

ومن المهم هنا أن نورد رواية أبي الفتح الكاتب السامري الشهير في القرن الرابع عشر الميلادي عن زيارة الاسكندر للسامرة ومقابلته للكاهن الأعظم السامري ، والتي تبدو واقعية الى حد بعيد لارتباطها بوقائع تاريخية . حيث أشار الى أن الاسكندر عندما حاصر صور طلب مساعدة السامريين فلم يطيعوه وذلك لتحالفهم مع صور . ومن ثم فقد سخط عليهم الاسكندر سخطاً شديداً ، فيعد أن هزم صور تحول الى السامرة وكان قد عقد العزم على معاقبتها ، وعندما سمع أهل السامرة بحضوره خرجوا لملاقاته حاملين توراتهم وعلى رأسهم كاهنهم الأعظم ، فلما نظر الاسكندر اليه أسرع في النزول عن فرسه وقبل الأرض بين يديه وطلب مباركته ، فاندحش قواده لما فعله الاسكندر ثم فعلوا كما فعل وقالوا له أن أهل السامرة قد سحروك ، ولكي يفسر موقفه هذا ذكر أن الملك الذي تراءى له في الحلم - أثناء حصاره لدارا الملك الفارسي - هو نفسه هذا الكاهن الأعظم وقد هبط عليه من السماء ، وقال له لا تخف فإن الله معك وجميع أهل الأرض في طاعتك وأنت عليهم منتصر ، ومن ثم فقد أعطى أهل السامرة عطايا كثيرة وقال لهم إن الحكم أعظم من كل الآلهة . وعند عودته من مصر مرة ثانية قال للكاهن الأعظم أن يبني له على جبل جريزيم مكاناً يضم صورته مثل بقية الشعوب ، فتضايق أهل السامرة وصعدوا الى الجبل وصاموا وصلوا للرب ليرشداهم الى حل يتخلصون به مما أمرهم الاسكندر . فأرشداهم الرب - حسب أقوال أبي الفتح - بأن يسموا كل ولد من ذكر وأنثى باسم الاسكندر ، وعندما عاد الى السامرة ولم يجد منصة ولا صورة ثارت ثائرتة وقال للكاهن خالفتُموني ، فأخبره بأنهم

(١) مصطفى عبد العليم : المرجع السابق ص ٣١ .

(٢) Victor tcherikover : Hellenistic Civilization and the Jews (1979) p . 45 .

قد موته صوراً ومناصب لها عقول تتكلم ، وطلب من رزق في تلك المدة بأولاد فحضروا
ويعق عبيهم باسم الاسكندر فأجابوا جميعاً بنعم فاستحسن الاسكندر ذلك ، وعندما
عرف انكاهن الأعظم بشأن الحلم قال للاسكندر ما أريدك أن تفعله هو أن تؤمن بالله
ولا تشرك به أحداً ، وصعد مع الاسكندر على جبل جريزيم حيث سجد « لله عز وجل »
وقال له هذا المكان هو الهة القادر الذي جعل الممالك بيدي ، وسمح لهم ببناء مكان
سعدنة على جبل جريزيم^(١) .

وبما كان الاسكندر في مصر ، أحرق السامريون أندروماخوس الذي كان الاسكندر
قد عينه حاكماً على جوف سوريا^(٢) وهربوا من السامرة ، فأنار هذا الحادث حفيظة
لاسكندر الذي قرر الانتقام بأن دمر مدينة السامرة ، وكانت هذه أولى علامات الثورة في
سورية وفلسطين ومن المحتمل أن الاسكندر بعد تدميره للمدينة أسرع الى بابل بعد أن
كف بيرديكاس (٣٢٣ - ٣٢١ ق م) بإعادة بنائها وتوطين المقدونيين بها .

وقد تصدى تشكوف لهذا الرأي حيث افترض أن الاسكندر وهو في طريقه من مصر الى
صور - عندما علم بحرق السامريين لاندروماخوس - قد كلف بيرديكاس بمعاينة
السامريين ولم يكن الاسكندر نفسه هو الذي قام بهذا العمل ، كما أنه أمر بيرديكاس
بتوطين جالية مقدونية في السامرة بعد ذلك^(٣) . كما أشار الكاتب اليهودي أوريل رقفورط
الى أن الاسكندر قد أعطى إقليم السامرة الى اليهود وأعفاهم من الجزية بعد حرقهم
اندروماخوس ، ونتيجة لذلك أصبحت شكيم مركزاً لتجمعهم^(٤) . وأضاف جاستر أنه
في أعقاب ذلك سحب الاسكندر عدداً كبيراً من اليهود والسامريين حيث استقروا في
مصر وبذلك حملوا نزاعهم العنيف من فلسطين الى مصر^(٥) .

(١) أبو الفتح بن أبي الحسن السامري الدنفي : تاريخ السامريين (١٣٥٢ م) صفحات من ٤٦ - ٤٨ .

(٢) حوف سورية كان إقليماً يشمل فلسطين وجنوب سوريا ويحده شمالاً جبل حرمون (الشيخ) وشرقاً
سور الأردن وغرباً البحر الأبيض - غير أن سوريا البطلمية تشمل جوف سوريا وفينيقي . راجع
ابراهيم نصحي ج ١ ص ٧١ .

(٣) Tcherikover : op . Cit p 84 .

(٤) Montgomerv : op . Cit p 79 .

وقد اعتمد مونتجمري على ماجاء في يوسفوس . Jos : Contra Opionem , II , 4 .

راجع أوريل رقفورط تولدوت اسرائيل بتقوفا هببت هشيبي (تاريخ اسرائيل في فترة البيت
الثاني) ص ٥٦ .

(٥) Gaster : OP . Cit p 33 .

ومما يثير دهشتنا أننا نلاحظ أن أبي الفتح في روايته التي أسلفناها لم يشر إلى قتل السامريين لاندروماخوس حاكم سوريا الجوفاء ، ولا إلى تدمير الاسكندر للسامرة نتيجة لذلك ، ولا إلى إعادة بنائه للسامرة .

وبناء الأحداث على هذه الصورة له الآن ما يؤيده من المعلومات الأثرية . فلقد أثبت العالم ج. أرست رايت أنه من خلال الأبراج الهيلينية التي ظهرت في ذلك الوقت في السامرة والتي بنيت على الطراز الاغريقي ، بالإضافة إلى المعلومات التي وردت في أوراق البردي التي عثر في كهف وادي داليا والتي تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد ؛ إن الاسكندر قد قام بتدمير السامرة وكلف بيرديكاس بإعادة بنائها وتوطين جالية مقدونية فيها ، ومن المحتمل أن قادة السامرة الذين تورطوا في الأعمال الثورية التي أدت إلى مقتل الوالي قد هربوا من السامرة عندما علموا بمسيرة الاسكندر العاجلة إلى المدينة ، ويبدو أنهم سلكوا الطريق الرئيسي خلف وادي الفرعة إلى الصحراء ووجدوا ملجأ مؤقتاً في كهف وادي داليا ، كما هرب عدد كبير من العائلات السامرية وكان معهم ما يكفيهم من الزاد وقد اكتشف مكانهم المقدونيون ، إما عن طريق البحث الدؤوب أو عن طريق الخيانة من جانب زملائهم الذين ظلوا في السامرة وقد ذبحوا بقسوة عن آخرهم (١) .

وبوفاة الاسكندر الأكبر في عام ٣٢٣ ق . م يبدأ في العالم الاغريقي العصر الذي أطلق عليه « العصر الهليني » والذي ينتهي بموقعة أكتيوم عام ٣١ ق . م وهي التي بعدها بسط الرومان سلطانهم على مصر (٢) ، وقد قسمت الدولة المقدونية بين قواده إلى دويلات ، وكانت مصر من نصيب بطليموس الأول « سوتر » المنفذ (٣٢٣ - ٢٨٣ ق . م) وفي عام ٣١٩ - ٣١٨ ق . م استولى على فينيقيا وجوف سوريا ، وفي هذه الفترة كان قد هاجم القدس واستولى عليها ، وكانت الظروف تضطره أحياناً إلى الانسحاب من جوف سوريا ثم العودة إلى احتلالها مثلما حدث في عامي ٣١٢ ، ٣٠٢ ق . م (٣) ، ثم استقرت أوضاع البطالمة في فلسطين ٣٠١ ق . م ، وكان من الطبيعي أن ينقل بطليموس الأول معه إلى مصر نتيجة لهذه الحملات عدداً كبيراً من الأسرى من يهوذا ومن السامرة ، أي أنه نقل معه أسرى من اليهود والسامريين وقام بتوزيعهم في مصر وأعطاهم

(٢) . D . Noel and F . Edward : the Biblical Archaeologist Reader 3 pp . 236 - 237 .

(٢) إبراهيم نصحي : المرجع السابق ج ١ ص ٣٩ .

راجع د . فؤاد حسنين : فلسطين العربية صفحات ٨٠ - ٨١ .

(٣) إبراهيم نصحي : المرجع السابق ج ١ صفحات ٧١ ، ٧٨ - ٧٩ .

راجع مصطفى عبد العليم : المرجع السابق ص ٣٣ .

في الإسكندرية امتيازات مساوية للمقدونيين أنفسهم (١) .

وقد تفقت أقوال كثير من المؤرخين على أن عدد الأسرى من اليهود والسامريين الذين أحصرهم بطليموس الأول كان مبالغاً فيه إلى حد كبير ، وحتى في أوائل العصر الروماني كان اسم سوريا ما يزال يطلق أيضاً على فلسطين ، ولما لم تكن لدينا وسيلة للتمييز بين اليهود والسوريين في الوثائق ، فإنه لاجدوى في السعي إلى تحديد دقيق لعدد اليهود الذين حضروا مع بطليموس الأول إلى مصر (٢) .

وقد تعرضت يهوذا وماجاورها من البلاد لحروب دائمة بين الملوك السلوقيين (الثاني والثالث والرابع) وبين الملوك البطالمة (الثاني والثالث) بغرض السيطرة على إقليم جوف سوريا . إلا أن إقليمي فينيقيا وجوف سوريا ظلتا تابعتين لمصر ، وحاول سليوقس الثاني استمالة سكان فينيقيا وجوف سوريا لكي يفصلهما عن مصر ، وكان قد نجح في استمالة الكاهن الأعظم أو نياس الثاني إلى جانبه (٣) الذي امتنع عن تسليم الجزية التي كان يقوم بحبايتها لمصر سنوياً ، وعلى أثر ذلك حذر بطليموس الثالث (يورجيتس = EUergetes = الأخير) اليهود من النتائج المترتبة على هذا العصيان لكي يعدل الكاهن الأعظم عن موقفه إلا أنه رفض (٤) . وفي هذه الفترة ظهر رجل قوي يدعى يوسف بن طوبياس الذي عارض خائنه الكاهن الأعظم ، ولذلك عينه بطليموس الثالث مسئولاً عن جباية الجزية من فينيقيا وجوف سوريا بعد أن أمدّه بقوات من الجيش لتساعده في مهمته ، وقد استمر يوسف في هذا المنصب حوالي اثنين وعشرين عاماً (٥) .

(١) Jos : Ant , XII , I , 1

Ricciotti : vol II , p . 154

Ency . Britanica : vol . 19 , p 918 راجع :

ويذكر . مصطفى عبد العليم أن بطليموس الأول قد نقل أسرى اليهود إلى مصر خاصة بعد موقعة غزة عام ٣١٢ ق . م . راجع مصطفى عبد العليم : المرجع السابق ص ٣٣ .

(٢) E . schurer : op . Cit . p . 14

راجع سليم حسن : مصر القديمة ج ١٤ صفحات ٧٣٤ - ٧٣٥ .

مصطفى عبد العليم : المرجع السابق صفحات ٣٤ - ٣٥ .

(٣) فؤاد حسين : المرجع السابق ص ٨٤ .

(٤) Jos : ant . XII , IV , 1 - 4

لكن دكتور راسل أشار أن بطليموس الرابع هو الذي امتنع في عهده الكاهن الأعظم أو نياس الثاني عن دفع الجزية وليس بطليموس الثالث .

راجع D . S . Russell : Between the Testaments p 26

(٥) Jos : Ant . , XII , IV , 5 - 6

وبعد وفاة بطليموس الثالث خلفه بطليموس الرابع (فيلوباتور = المحب لأبيه) ، وأثناء فترة حكمه دب الضعف في مصر ، فانتهاز الملك السلوقي انطيوخوس الثالث المسمى الأكبر (٢٢٢ - ١٨٧ ق . م) ، هذه الفرصة واستولى عام ٢١٨ ق . م على جوف سوريا بما فيها السامرة ولم يستطع السيطرة على إقليم يهوذا ومنطقة القدس وظلتا تابعتين لمصر (١) .

الفصائل المتأغربة والخروج على الشريعة اليهودية

وبعد وفاة بطليموس الرابع في عام ٢٠٣ ق . م انتهاز انطيوخوس الثالث ملك سوريا وفيليب ملك مقدونيا ، الفرصة لتقسيم مصر والأقاليم التابعة لها فيما بينهما ، وقد تعاون أبناء يوسف بن طوبياس مع انطيوخوس بدافع من حقدهم على البطالمة ، حتى أنهم ساعدوا ملك سوريا على دخول القدس ، وهكذا سقطت يهوذا والقدس من قبضة السلوقيين عام ٢٠٢ ق . م (٢) . وفي ظل هذا التوتر حدث صراع بين السلطة الدينية اليهودية المحافظة وبين السلوقيين الذين خططوا لادخال الحضارة الهيلينية في المجتمع اليهودي وإبعاد هذا المجتمع عن التقاليد الموروثة بقدر الامكان ونتج عن ذلك :

١ - تساهل في التقاليد الدينية المفروضة على الشباب اليهودي واشتراكهم في الالعب الاولى .

٢ - الجانب الثقافي : وهو أن الفكر اليوناني بدأ يتسلل الى المعتقدات الدينية اليهودية ، ومن ثم فقد ظهرت الفرق اليهودية الأخرى مثل الأسينيين والصدوقيين . كل هذا كان يعتمد على أخذ ورد من داخل الفلسفة اليونانية ، فعلى سبيل المثال نجد أن الصدوقيين كانوا ينكرون الثواب والعقاب في الآخرة متأثرين بالفكر اليوناني الأبيقوري بالذات .

وعلى ذلك نشأ فريقان متنافسان ، وكان ياسون (اسمه العبري يوشيا وغير اسمه الى الأسم اليوناني ياسون) قد نجح في تولي منصب الكاهن الأعظم متحمساً للحضارة الهيلينية ، ومن ثم فقد أصبح زعيماً للفريق المتأغرق بمساعدة السلوقيين . وقد تحول الصراع بين الفريقين المتنافسين الى صراع ديني ، وبلغ من تطرف أعضاء الفريق

(١) JOS : Ant , XII , IV , 6 - 10 .

(٢) د . ابراهيم نصحي : المرجع السابق ج ١ صفحات ١٦٩ - ١٧٠ .

راجع فؤاد حسنين : المرجع السابق - ص ٨٩ .

الفصل السادس

المتأغرق ، أنهم تنكروا للعادات والشرعية اليهودية ، وفي ظل هذا الصراع ظهرت جماعة دينية من اليهود المحافظين الذين عرفوا في التاريخ اليهودي باسم « الحسيديم »^(١) ، أعلنوا معارضتهم لتلك الوثنية الهيلينية . فضلاً عن ذلك فقد سمح في عهد الكاهن الأعظم ياسون بتأسيس الجومنازيوم^(٢) بالقرب من الهيكل في القدس ، وقد اشترك بعض الكهنة من صغار السن في ممارسة الألعاب الاغريقية داخله كما أن التهادي في الانحراف عن الشريعة اليهودية أدى إلى اشتراك بعض اليهود في تقديم القرابين للاله هرقل^(٣) .

تسرب الحضارة الهيلينية الى المجتمع اليهودي

وقد جعلت العوامل السابقة الانفجار الثوري قاب قوسين أو أدنى ضد السلوقيين ، ولذلك سارع الملك السلوقي انطيوخوس الرابع (١٧٥ - ١٦٤ ق.م) (أبيفانس) بمهاجمة القدس لمزيد من النكاية في اليهود وشريعتهم حيث اقتحم المعبد واستولى على كنوزه ، وكان الكاهن الأعظم منيلاوس - الذي عينه الملك السلوقي - هو الذي أرشده إلى المكان الذي كانت توضع فيه هذه الكنوز والآنية المقدسة ، وفي أعقاب ذلك بنى انطيوخوس مذبحاً وثنياً وضع فيه هذه الكنوز والآنية المقدسة ، وأجبر اليهود على أن يتخلوا عن عقيدتهم وأن يوقروا الآلهة الوثنية ، كما أجبرهم على بناء معابد ومذابح وثنية ، وهكذا بسط الحزن جناحية على القدس وإمعانا في تحدي اله اسرائيل أدخل انطيوخوس الرابع

(١) الحسيديم «الأتقياء» هو اللقب الذي أطلقت طائفة الفريزيين على أنفسهم وهم طائفة علماء الشريعة من الربانيين قديماً ، وقد أطلق عليهم بعض الكتاب « الفريسين » وبالعبرية « فروشيم » ومعناها المفروزين ، أي الذين امتازوا عن العامة من اليهود وأصبحوا من الصفوة المختارة لعلمهم وورعهم ، كما كانت لهم السلطة في توجيه المجتمع اليهودي على عهد المسيح كما كانوا من أشد خصومه .

راجع حسن ظاظا : الفكر الديني الاسرائيلي صفحات ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٢) كان الشباب من صغار السن (من سن التاسعة عشر والعشرين) يلتقون في الجومنازيوم حيث يتم تدريبهم عسكرياً بالإضافة إلى تثقيفهم مختلف علوم العصر ، وقد أدى هذا إلى انتشار حرية الفكر والتي ظهر في كنفها الآداب والفلسفة .

راجع ابراهيم نصحي : المرجع السابق ج ١ صفحات ٤١ - ٤٢ .

(٣) ٢ مكابين ٤ : ١٨ - ٢٠ .

راجع فؤاد حسنين : المرجع السابق - ص ٨٩ .

عقيدة « زيوس اليمبيوس »^(١) في القدس ، حيث بني مذبحاً جديداً وأحرق التوراة المحفوظة بالمعبد ووضع صورة زيوس على المعبد المقام لتقدم إليه القرابين مباشرة ، وبذلك حول الهيكل الى مكان لهذه العبادة ، وايدانا بتدشين المعبد قدم انطيوخوس خنزيراً كقربان حيث نثر دمائه على المذبح الجديد وكان ذلك في يوليو عام ١٦٧٠ ق . م .^(٢) .
وعندما رأى السامريون مدى ماتحملة اليهود في يهوذا من معاناة واضطهاد على يد انطيوخوس الرابع ، بعثوا اليه برسالة - كما ذكر المؤرخ اليهودي يوسفوس - هذا نصها :
« الى الملك أنطيوخوس الاله ، هذا تذكرا من الصيدين الذين يقيمون في شكيم ، إن أجدادنا نتيجة تعرضهم المتكرر لوباء الطاعون ولاتباعهم الخرافات ، فقد كان من تقاليدهم الاحتفال بهذا اليوم الذي يطلق عليه اليهود اسم السبت ، وأنهم أقاموا معبدهم على جبل جريزيم دون أن يطلقوا اسماً عليه وقد قدموا على قمة هذا الجبل القرابين .
وبالرغم من معاملتك العادلة لهؤلاء اليهود الأشرار ، وعلى افتراض أنه كانت تربطنا بهم صلة قرى ، فقد جعلونا نتعرض لنفس اتهاماتهم مع أننا أصلاً صيدين يونان كما هو واضح من الوثائق ، ولذلك نستعطفك أيها الخير ياولي نعمتنا ونخلصنا أن تصدر أوامرك الى أبولونيوس Apollonius حاكم الاقليم الموكل من جانبك بالأا يضطهدنا ولا يوجه إلينا التهم المنسوبة الى اليهود ، نظراً لأننا لانتسب إليهم ولانارس تقاليدهم وعاداتهم ، وأن تسمح

(١) عقيدة زيوس : حدثت أشياء كثيرة منها أن معظم الشباب اليهود قد أعجب بالحضارة اليونانية ، وكان يحتفل بأعياد اليونان ويشارك كثير منهم في الألعاب الاغريقية ، وأخذ على كثير من هذا الشباب تماونه في مراعاة أحكام الدين حتى أن بعضهم كان يأكل لحم الخنزير ، كما أن بعضهم كان يخلع ملابسه خلال مباريات المصارعة ويبدو عارياً ، وكان مما استدعى سخرية الاغريق رؤيتهم لشباب اليهود المختنن مما جعل بعضهم يبحث عن وسيلة حتى يبدو كأنه غير مختنن ، ويقال أن بعضهم قد أجرى عمليات جراحية لكي يخفي الاختتان ، مما أثار رجال الدين وظهرت طائفة شديدة التعصب لليهودية أطلق عليها القنائين - وهم شعبه من الفريزيين ، إلا أنهم اشتهروا بالقسوة التي تصل الى حد القتل والتي ظهرت كرد فعل للانحراف الديني للشعب اليهودي المفتن بالحضارة الاغريقية ، فعيد زيوس كان عيد رقص وعريضة وكان احتفالاً بمقدم الخريف .

(٢) ٢ مكابين ٥ : ١٥ - ١٦ ، ٦ : ٢ ، ١٨ .

راجع :

K . Kenyon : Digging Up Jerusalem . P . 190 .

كما يشير م . كاري أنه أقيم للاله زيوس اكسينيوس عبادة في السامرة لقيت نفس النجاح الذي لقيته عبادة زيوس اليمبيوس في اورشليم .

راجع :

M . Cary : A History of the Greek World From 323 to 146 B . C . , (1965) P . 228 .

لنا بأن نطلق على معبدنا الذي لا يحمل اسماً في الوقت الحاضر معبد جوبيتر هيلينيوس وإذا تمت موافقتك على هذا ولم نتعرض لأي اضطهاد فسوف نركز اهتمامنا في العمل بطمأنينة وبذلك نستطيع زيادة الجزية المقررة » .

وبناء على الالتباس المقدم من السامريين ، أرسل الملك رسالة موجهة إلى أبولونيوس يخبره فيها بمضمون الرسالة ، ويؤكد على أن من حقهم الإقامة في شكيم مع الاعلان بأن الملك يحلهم من التهم المنسوبة إلى اليهود وموافقتهم على أن يسمى معبدهم بمعبد جوبيتر هيلينيوس (١) .

ينبغي علينا بعد ذلك أن ندرس ماجاء بمضمون هذه الرسالة ، فيرى يوسيفوس من وجهة نظره أن السامريين قد خصصوا بمحض ارادتهم معبدهم جوبيتر أثناء حكم انطيوخوس ابيفانس ، كما أن يوسيفوس قد لجأ إلى أسلوب تبادل الرسائل ليؤيد مزاعمه ، ولكن لو كان الأمر كذلك لحق لنا أن نتساءل لماذا أطلق على السامريين هنا الصيدونيون ، وزعم أنهم لا ينتسبون إلى السلالة الأصلية لليهود وأنهم لا يحتفلون بيوم السبت مثلما كان أجدادهم يحتفلون به ، كما نتساءل لماذا حدد لهم مدينة شكيم كمحل لاقامتهم ؟ . وقد سبق أن استدللنا على مدى الخطأ الذي وقع فيه يوسيفوس عندما أطلق عليهم أيضاً اسم الشكيمين في كتابه Ant , XI , VIII , 6 ، ويوسيفوس كمؤرخ يهودي لا يريد بأن يقر بأن السامريين هؤلاء هم بقايا القبائل العشر في السامرة ، فهو يذكرهم كطائفة منسوبة إلى شكيم ، ويحاول بذلك أن يبعد نسبهم عن السامرة وأن يدلل على أنهم غير يهود ، وهذا الزعم من جانبه جدير بالملاحظة ، فعلى الرغم من أنهم غير يهود على حد تعبيره ، إلا أنهم احتفلوا بيوم السبت منذ أقدم العصور .

وقد تصدى رشيوتي لمناقشة هذه الرسالة حيث أشار إلى أنه لو سلمنا جدلاً بصدق دعوى يوسيفوس في تخصيص المعبد السامري على جبل جريزيم لجوبيتر ، فإن هذا بدون شك قد مثل أماني السامريين في السامرة وهو فرع من الحزب الرئيسي في القدس أيضاً ، وبالطبع لا يضم كل المجتمع السامري ، كما يتضح من سفر المكابيين الثاني ٦ : ٢ أن تخصيص المعبد السامري لجوبيتر ربما كان نتيجة للقسوة الوحشية التي عانى منها اليهود في القدس عندما أجبرهم أنطيوخوس على ترك دينهم وعبادة آلهة وثنية (٢) .

وجاء في بعض المصادر أن السامريين في القرن الثاني قبل الميلاد كانوا ضمن الذين شملتهم اجراءات القمع التعسفية على يد انطيوخوس ابيفانس ، وكانت هذه الاجراءات

(١) JOS : Ant . , XII , V , 5 .

(٢) Ricciotti : Vol . II , P . 153 .

التعسفية سبباً في توحيد صفوفهم وجعلهم طائفة متميزة لها كيائها الخاص^(١).
ويبدو من وصف يوسفوس للأحداث ، أنه في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الثاني
قبل الميلاد قد أصبحت فلسطين تشكل إقليماً منفصلاً بجانب أقاليم جوف سوريا
وفينيقيا^(٢).

ونتبين من هذا أن انطيوخوس أبيفانس قد دمر الهيكل في القدس وحوله إلى مكان
لعبادة زيوس أليمبيوس وأوقف عبادة يهوه ، وأجبر اليهود على أن يذبحوا للآلهة الوثنية ،
كما أطلق على المعبد السامري الذي على جبل جريزيم اسم جويتر هيلينوس ، وهذه
الاجراءات التي اتخذها انطيوخوس للقضاء على الديانة اليهودية ، كانت سبباً ساعد على
تطور الصراع بين الديانة اليهودية والهيلينية الوثنية يوماً بعد يوم ، حتى اندلعت ثورة
المكابيين التي وضعت هدفها الأساسي في استعادة الهيكل وتطهيره ، وبذلك جاءت
النتيجة مختلفة تماماً عما توقعه انطيوخوس ، فقد عجزت السلطات السلوقية عن قمع
الاضطرابات ، وقد ظهرت في هذا الجو العاصف أسرة اشتهر أبنائها بالثدين والتمسك
بالشرعية وأحكامها تعرف باسم المكابيين ، وقد استطاعت قواتها في عام ١٦٦ ق . م بقيادة
يهوذا المكابي أن تهاجم القوات السلوقية بقيادة ابولونيوس حاكم الاقليم السامري الذي
قتل في المعركة وكان النصر حليف المكابيين .

وعندما علم انطيوخوس ابيفانس بنتيجة المعركة مع المكابيين ، أرسل سيرون قائد
جيش جوف سورية لمهاجمتهم ، ولكن بعض اليهود المتأغربين أرشدوا الجيش السلوقي إلى
أقصر الطرق وأصلحها إلى يهوذا ونتيجة لهذا فقد دب الرعب في نفوس أفراد جيش يهوذا
المكابي عندما أبصروا قوة الجيش السلوقي ، إلا أن يهوذا المكابي أثار حميتهم عندما خطب
فيهم مذكراً إياهم بكنوز المعبد الثمينة والأنية المقدسة التي سيدافعون عنها وبأبنائهم
وعقيدتهم ، فرفع من معنوياتهم واستطاع المكابيون أن يحققوا نصراً على الجيش السلوقي
عند بيت عورون ، وعندما أدرك ابيفانس أنه أساء تقدير قوة المكابيين حشد جيشاً آخر
أكثر قوة تحت قيادة ليزياس بمساعدة نيكاتور وجوجياس ، قوامه أربعون ألفاً من المشاة
وسبعة آلاف من الفرسان ، وكان ابيفانس قد عقد العزم على أن يهدم القدس ويسكنها
أقواماً وثنيين بدلاً من اليهود ، ولكن يهوذا المكابي أخذ يبحث جنوده بالتمسك بالعقيدة
وقسم جيشه إلى ثلاثة أقسام وعين على كل قسم أحد اخوته ، وبذلك أحرز يهوذا نصراً
آخر على السوريين عند إماموس ثم عاد اليهود إلى مودين مركز تجمعهم مرة ثانية^(٣).

(١) . Ency . Religion : Samaria , PP . 163 - 164 .

(٢) . Jos : Ant . XII , IV , 1 - 4 .

(٣) . Jos : Ant . XII , VII , 1 , 2 , 3 , 4 , 5 .

وفي خريف عام ١٦٥ ق.م عاد ليزياس مرة أخرى على رأس جيش كبير قوامه ستون ألفاً من المشاة وخمسة آلاف من الفرسان للانتقام من يهوذا المكابي ، إلا أنهم فضلوا الانسحاب نتيجة للحماس الديني الذي أظهره المكابيون ، وهكذا بعد نحو ثلاثة أعوام ونصف منذ اندلاع الحروب بين السلوقيين والمكابيين حل نوع من المهادنة انتهز يهوذا المكابي خلالها الفرصة وهاجم القدس ، واستطاعت قواته أن تحطم المذابح الوثنية والتماثيل اليونانية وزودوا المعبد بمذبح طاهر جديد ، وقد استغرقت هذه العملية ثلاثة أسابيع . وفي ٢٥ كسلو (ديسمبر) ١٦٥ ق.م أعيد فتح الهيكل في القدس للشعائر اليهودية حيث أقيمت صلوات الشكر وقدمت القرابين واعتبروا أن هذه المناسبة عيداً أطلقوا عليه عيد التدشين أو عيد الخانوقة^(١) .

ومرة أخرى عاد يهوذا المكابي إلى تطبيق النظام الكهنوتي القديم من حيث تعيين الكهنة واللاويين في المعبد ، كما أقصى الذين انحرفوا واتبعوا الهيلينية عن الخدمة في المعبد . وفي أعقاب الحروب المكابية مع السلوقيين لم يحاول انطيوخوس الخامس أن يكرر مافعله ابيفانس مع اليهود ، وإنما ترك لهم حرية أكثر ، وبالتالي فإن الحزب المتأغرق قد اضطهد إلى حد كبير وبانتهاء الحروب المكابية في عام ١٦٢ ق.م تحول الصراع الديني إلى صراع سياسي^(٢) . وقد أصبح ديمتريوس الأول - ابن انطيوخوس الرابع - ملكاً على سوريا بعد قتله انطيوخوس الخامس واستطاع بعد ذلك اكتساب تأييد الرومان^(٣) .

وأهم مايعتينا في هذا المقام ، أن قادة الحزب المتأغرق على رأسهم الكيمس قد أرسلوا إلى ديمتريوس يشكون من الظلم الواقع عليهم من يهوذا المكابي ، الذي كان قد طرد أتباع الملك أيضاً ، ونتيجة لهذا عين ديمتريوس الكيمس كاهناً أعظم وسير الجيش السلوقي تحت قيادة بكيدس إلى يهوذا لتعيين الكيمس في منصبه بالقوة إذا لزم الأمر^(٤) . وما أن سمع المكابيون وأنصارهم بذلك حتى ولوا الأدبار ، وأعلن الحسيديم ولائهم للنظام الجديد لاعتقادهم أن الكاهن الأعظم الكيمس من نسل هارون والذي كان قد منح السلطة السياسية والإدارية علاوة على السلطة الدينية وانتهاز ديمتريوس فرصة ضعف

(١) ٢ مكاب ١٠ : ١ - ٧ ، ١ مكاب ٤ : ٣٦ ، ٥٤ .

(٢) E. Schurer : Op. Cit. , P. 317 .

(٣) ١ مكاب ٧ : ١ - ٤ .

(٤) ١ مكاب ٧ : ٥ - ٩ ، ٢ مكاب ١٤ : ٣ - ١٠ .

المكابيين وهزمهم في أبريل عام ١٦٠ ق.م وبذلك انتهت أسطورة المكابيين (١) .

ومن هذا يتبين لنا أن أمور اليهودية لم تكن مستقرة خلال هذه الفترة ، ولم يشكل اليهود الكثرة الغالبة من السكان ، وأنهم كانوا يتمتعون بالاستقرار فقط حينما كانوا يستعينون بقوة أجنبية لمساندتهم ، كما أن الفلسطينيين في عصر المكابيين كانوا يمثلون تهديداً للكيان اليهودي حتى أن يهوذا المكابي عندما شعر بخطرهم حاول القضاء عليهم ، ومعنى هذا أن خطورة الفلسطينيين كانت مستمرة بشكل متواصل .

وبعد وفاة يهوذا المكابي لجأ الاخوة الحشمونيون يوناثان وشمعون ويوحنا إلى تكوين حزب قوي للصمود أمام الحزب المتأغرق ، وعلى الرغم من أن الهيلينية قد كفلت للحشمونيين حرية العبادة وإقامة الشعائر الدينية ، إلا أن يوناثان استغل فرصة الاضطرابات التي حدثت في سوريا نتيجة انقسام المملكة السلوقية بين ديمتريوس والكسندر واقتحم المعبد في عيد المظال عام ١٥٢ وأعلن نفسه كاهناً أعظم ، فكان بذلك أول حشمونائي يصل إلى هذا المنصب حيث ظل به يوناثان تسع سنوات (١٥٢ - ١٤٣ ق.م) تميزت بالتقدم ، ولكنه أعدم عام ١٤٣ ق.م على يد تريفون أحد قواد ديمتريوس (٢) .

وفي أعقاب ذلك قام شمعون آخر أبناء متتياهو الكاهن المكابي بتحرير البلاد من السيطرة السلوقية ، كما تخلص من الحزب الهيليني وكان شمعون قد وضع نفسه في خدمة روما حيث أصبح ضمن رابطة الولايات الرومانية ، وعموماً فقد اتسم حكمه الذي دام تسع سنوات (١٤٢ - ١٣٤ ق.م) بالازدهار ، وبقيت زعامة الأسرة الحشمونية على اليهود حتى بسط الرومان سلطانهم على فلسطين في عام ٦٣ ق.م (٣) .

(١) ١ مكأ : ٧ : ١٠ - ١٥ .

راجع :

Jos : Ant ., XII , 10 , 2 - 4 .

E . Schurer : Op . Cit ., PP . 40 - 41 .

(٢) ١ مكأ : ١٣ : ١٨ .

راجع :

Jos : Ant ., XIII , 1 , 1 - 6 .

E . Schurer : Op . Cit ., PP . 65 - 66 . (٣)

القدس في العصر الروماني

- ينقسم تاريخ القدس في العصر الروماني في فلسطين إلى ثلاث مراحل :
- ١ - المرحلة الأولى وتمتد من عام ٦٣ ق.م بعد أن بسط يومبي القائد الروماني سلطانه على فلسطين وحتى نهاية الثورة اليهودية الأولى في عام ٧٠ م .
 - ٢ - المرحلة الثانية وتمتد من عام ٧٠ م وحتى عام ٣٣٧ م وهو نهاية حكم الامبراطور قسطنطين (٢٧٤ - ٣٣٧ م) .
 - ٣ - المرحلة الثالثة وتمتد من عام ٣٣٧ م وحتى بداية الغزو العربي لفلسطين عام ٦٣٤ م بقيادة عمرو بن العاص .

أولاً/ المرحلة الأولى من العصر الروماني (٦٣ ق.م - ٧٠ م) جافينوس وتفتيت الكيان اليهودي

بعد أن بسط الرومان سيطرتهم على فلسطين أصبحت تحت سيطرة الحاكم الروماني لسورية ، وقد تمتعت السامرة بقدر من الحرية السياسية خلال العصر الروماني^(١) ، وخاصة عندما أصبح جافينوس حاكماً على سوريا (٥٧ - ٥٥ ق.م) ، وقد أصدر هذا الحاكم أوامره بإعادة بناء كل المدن التي دمرت من قبل ومن بينها السامرة وبيت شان^(٢) ، وكان جافينوس قد اتخذ عدة اجراءات سياسية جديدة بجانب تعمير السامرة وغيرها من المدن ، حيث قسم أرض فلسطين إلى خمسة أقاليم تُحكم حكماً ذاتياً مع وجود سلطات قضائية وإدارية وهذه الأقاليم الخمسة هي القدس ، واريحا ، وجازر ، والجليل الأعلى وشرق الأردن ، وكان الغرض الظاهر من هذا التقسيم بلا شك هو تسهيل جمع الضرائب ، ولكن الهدف الرئيسي لجافينوس كان تفتيت الكيان اليهودي ؛ ويتبين لنا أن هدف السياسة الرومانية هو إعادة الصبغة الاغريقية للمدن والمناطق التي كان المكابيون قد هودوها^(٣) .

(١) . Interpreter's Dictionary of the Bible : Samaria P . 186 .

راجع أوتسار إسرائيل - مقالة السامرة ج ٥ ص ٢٧٠ .

(٢) . Jos . Ant . , XIV , V , 3 .

راجع : Montgomery : Op . Cit . , PP . 82 - 83 .

(٣) . Ricciotti : Vol . 11 PP . 306 - 307 .

راجع : E . Schurer : Op . Cit . , PP . 102 , 336 , Note 4 .

وعندما آلت زعامة روما لقيصر بعد أن هزم بومبي عام ٤٨ ق.م عين هيركانوس كاهناً أعظم في القدس ، وأعلن انتيباتير مواطناً رومانياً مسئولاً عن جباية الضرائب في فلسطين ، وبعد فترة من تعيين هيركانوس كاهناً أعظم صدر قرار بتعيينه رئيساً على بقايا اليهود (اثنارخيس) . وقد ترتب على ذلك الغاء التقسيمات الادارية والسياسية التي كان جافينوس قد أدخلها .

هيرودس والهيكل الثاني

وبعد فترة من الزمن قام هيرودس (ابن انتيباتير) بدور الوصي على الكاهن الأعظم هيركانوس ، حيث عاد الوثام بينهما مرة أخرى ، حتى أنه تزوج مريم حفيدة هيركانوس ، وفي تلك الأثناء عين أغسطس الامبراطور الروماني هيرودس الأدومي ملكاً تابعاً له على ما بقي من اليهود في فلسطين حكم خلالها من عام ٣٧ حتى عام ٤ ق.م ، وهكذا جلس على العرش ملك وصفه الشعب استهجاناً بأنه ملك نصف يهودي لافتقاره إلى الجذور الدينية القومية . وقد كانت السنوات الأولى من حكمه (٣٧ - ٢٥ ق.م) بمثابة حروب مستمرة هدفها دعم سلطانه ، ونجح عن طريق القسوة في التغلب على العقبات الخارجية والداخلية التي كانت تعترض طريقه ، ففي هذه الفترة كان النزاع على السلطة مازال مستمراً بين المكابيين ، رغم أنها سلطة هزيلة تتصل بجمع العشور من اليهود وتنفيذ الأحكام الشرعية بينهم نتيجة لسيطرتهم على القضاء^(١) .

وفي تلك الظروف انتهز هيرودس الفرصة وهاجم مدينة القدس عام ٣٧ ق.م بمساعدة القائد الروماني سوسايوس ، وأحكم عليها الحصار وقصفها بالمنجنقات حتى تحطمت أسوارها ثم اقتحمها ، وفي أعقاب ذلك نصبه الامبراطور الروماني أغسطس ملكاً كما أسلفنا . وكان هيرودس - الذي كان ينتمي إلى أصل أدومي - قد اعتنق الديانة اليهودية ، إلا أن اليهود اعتبروه أجنبياً وزادت كراحتهم له بعد أن استأصل شأفة المكابيين لقتلهم والده .

على أن الأمور أخذت تسير بعد ذلك وفقاً لميزان القوى الجديد بعد أن آلت زعامة روما لأغسطس ، واستطاعت السامرة أن تعيد إليها الاهتمام خلال فترة حكم هيرودس ، إذ وقفت بجانبه في نضاله ضد انتيجونوس الحشموني ، وهناك تزوج مريم وفيها دفن أبناءه ،

(١) شمعون دوفنوف : هيميم لعام إسرائيل (تاريخ الشعب الاسرائيلي) صفحات ١٦٠ ، ١٦١ ،

الفصل السادس

وقد أخذ على عاتقه إعادة بناء السامرة فبدأ عام ٣٠ ق.م بإقامة سور حول المدينة عززّه بأبراج من مواقع متعددة على امتداده ، وعند انتهائه من بناء المدينة وطّن بها حوالي ستة آلاف من المحاربين الاغريق القدماء ، واتخذها مقراً لتجميع القوات المرتزقة ، وكان هيرودس قد أطلق على مدينة السامرة اسم « سبسطية » تكريماً للامبراطور أغسطس سبستان وأصبحت عاصمته المفضلة (١) .

وبعد أن أعاد بناء السامرة خطط لبناء ميناء قيسارية في نهاية طريق السامرة الساحلي لتكون حلقة الاتصال بينها وبين الساحل وكانت غالبية سكانها من الاغريق والرومان . ولكي يكسب تأييد ما بقي من اليهود في فلسطين - مع علمه بكرهاتهم الشديدة له - أعاد تخطيط مدينة القدس ودعم أسوارها ، وعندما أحسّ بالخطر نقل مقر قيادته من القصر القديم - على آثار الدمار المتبقية من قلعة أكرا (قلعة صهيون - داود) - وأتى به إلى مقره الجديد بالجزء الشمالي الغربي من المدينة على حافة وادي هنوم بالقرب من باب يافا وباب افرام ، وحصّن قصره الجديد بثلاثة أبراج هم فزائيل وهيبكوس وداود ، وبذلك أصبحت قلعة هيرودس مدعمة بالأبراج الثلاثة وخلفها يقع قصره ، وقد ضم سور القصر السوق الكبرى بالإضافة إلى صفين من المباني ، أطلق على أحدهما المبنى القيصري لإجلالاً لعظمة القيصر الروماني أغسطس ، واسم المبنى الثاني أجريبا نسبة إلى أجريبا القائد الروماني التابع لقيصر روما أغسطس .

وفي أقصى الزاوية الشمالية الغربية من السور الثاني - الذي بناه نحميا - قام هيرودس بتحويل حصن البيرة القديم (أقيم بعد العودة من السبي البابلي ، وهو تسمية فارسية بمعنى القلعة عرفت بهذا الاسم تحت حكم الفرس) إلى بناء ضخّم يسيطر على أرجاء الهيكل وسماه قلعة « انطونيا » تشریفاً لحامية « مارك انطونيوس » . ويتكون الحصن من أربعة أبراج أحدها وهو الشمالي الشرقي ، ومنه يراقب جنود الرومان ما يجري داخل الهيكل الذي حظي بعناية هيرودس .

وفي تلك الأثناء جمع هيرودس اليهود من مختلف طبقاتهم في السنة الثانية عشرة من حكمه ، وأخبرهم أنه قد أتم تحصين القدس ولم يبق سوى الهيكل ، وأوضح لهم أن عملية إعادة بنائه على أيدي آبائهم بعد العودة من السبي ، قد تمت على النحو الذي حدده لهم الملك قورش الفارسي ، فلم يظهر بالمظهر اللائق ثم أصبحوا تابعين للاغريق ، وبعد ذلك لم يتمكن المكابيون من إعادة تعميره بسبب انشغالهم بالحروب والنزاع على السلطة ، فخاف اليهود من عملية الهدم أولاً ، ولكنه وعد بإحضار كل ما يلزم لعملية البناء من



جديد ومواد خام ، ثم يقوم بعملية بناء هذا الهيكل من جديد .
ولم يلبث هيرودس أن قام ببناء الهيكل على مساحة تبلغ عشرون فداناً ، وهو بذلك
يعتبر ضعف مساحة هيكل نحميا ، بما زاد عليه من أروقة وساحات متصلة ، وقد أحاطه
بجدران كبيرة لم يبق منها سوى جدار واحد هو الحائط الغربي والذي يطلق عليه حالياً
حائط المبكى .

وكان هيكل هيرودس مكوناً من الساحة الأولى الخارجية كسوق لبيع القرابين ، وهي
المسموح بدخول غير اليهود فيها ، وتحيط بساحة الهيكل الداخلية أروقة ذات أعمدة
مزدوجة من الرخام على شكل زوايا قائمة ، والساحة الداخلية تنقسم إلى رواقين أحدهما
في الجانب الغربي وغير مسموح فيه بتواجد الرجال ، والرواق الآخر في الجانب الشرقي غير
مسموح فيه بتواجد النساء .

وكانت ساحة الهيكل الداخلية منفصلة عن الساحة الخارجية ويفصل بينهما سياج من
الأحجار على مسافات متساوية مكتوب عليها تحذير بأن كل من يتجاوز هذا المكان - من
غير اليهود - عقابه الموت ، بالإضافة إلى ذلك فكانت ساحة الكهنة ترتفع ثلاث درجات
وتلي الساحة الداخلية ، وفي الداخل قدس الأقداس ولا يدخله إلا كبير الكهنة مرة كل
عام ، ومن المحتمل أن يكون تمثالي الكرويين في هيكل سليمان قد تم تنفيذهما في هيكل
هيرودس بشكل أقرب إلى الفن التجريدي دون تفاصيل دقيقة .

أما الأروقة الملكية فكانت تحيط بالهيكل من اتجاه الجنوب ، وكان الهيكل متصلاً
بالمدينة العليا عن طريق مرتفع ، وكان قد شيد مسرحاً دائرياً وساحة للسباق ليجري عليها
الألعاب الأولمبية ، وهكذا كانت القدس في عهده مدينة لها طابعها الوطني الدموي ،
لا يميزها عن غيرها سوى وجود الهيكل ومقر الكهنة اليهودي والمعروف بالسندرين .
أما بالنسبة للنظام الكهنوتي في القدس فقد أصابه الضعف ، حيث استبدل بنظام
التعيين لشغل منصب الكاهن الأعظم بدلاً من نظام الوراثة ، وذلك ليتحكم هيرودس
فيمن يشغله حسب أهوائه الشخصية ، وتوالى بعد وفاة هيرودس بعض الولاة من اليهود ،
وتولى حكم فلسطين بعد ذلك حكام من الرومان متعاقبين كانت في عهدهم كإقليم يتبع
الحاكم الروماني لسوريا .

(١) السندرين : أول سندرين كان في عصر موسى عندما دعا السبعين رجلاً ليعملوا معه عندما تذر
أتباعه مطالبين بالعودة إلى مصر . وقد منح الرومان السندرين صلاحيات دينية واجتماعية واسعة ،
على ألا تؤثر هذه السلطات على المصالح السياسية الرومانية . وكان للحاكم الروماني الصلاحيات
في التصديق على أحكام السندرين التي يصدرها في الجرائم الكبرى ، ويبلغ عدد أعضائه واحد
وسبعين عضواً ، منهم ثلاثة وعشرين يتألف منهم المجلس المخصوص .

نقطة رقم (٧)



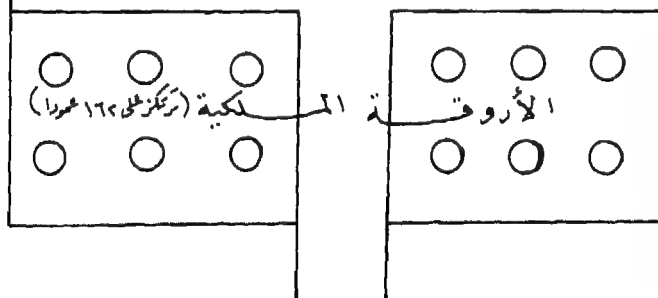
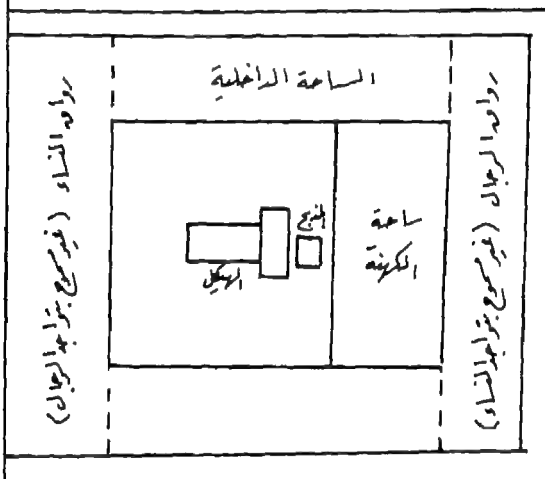
مخطط هيكل هيردوس الكبير (٣٧ - ٤ ق. م.)

طبقاً لوصف يوسفوس

قلعة أنطونيا



الساحة الخارجية (سور بهج القراية) لغير اليهود



المدينة العليا

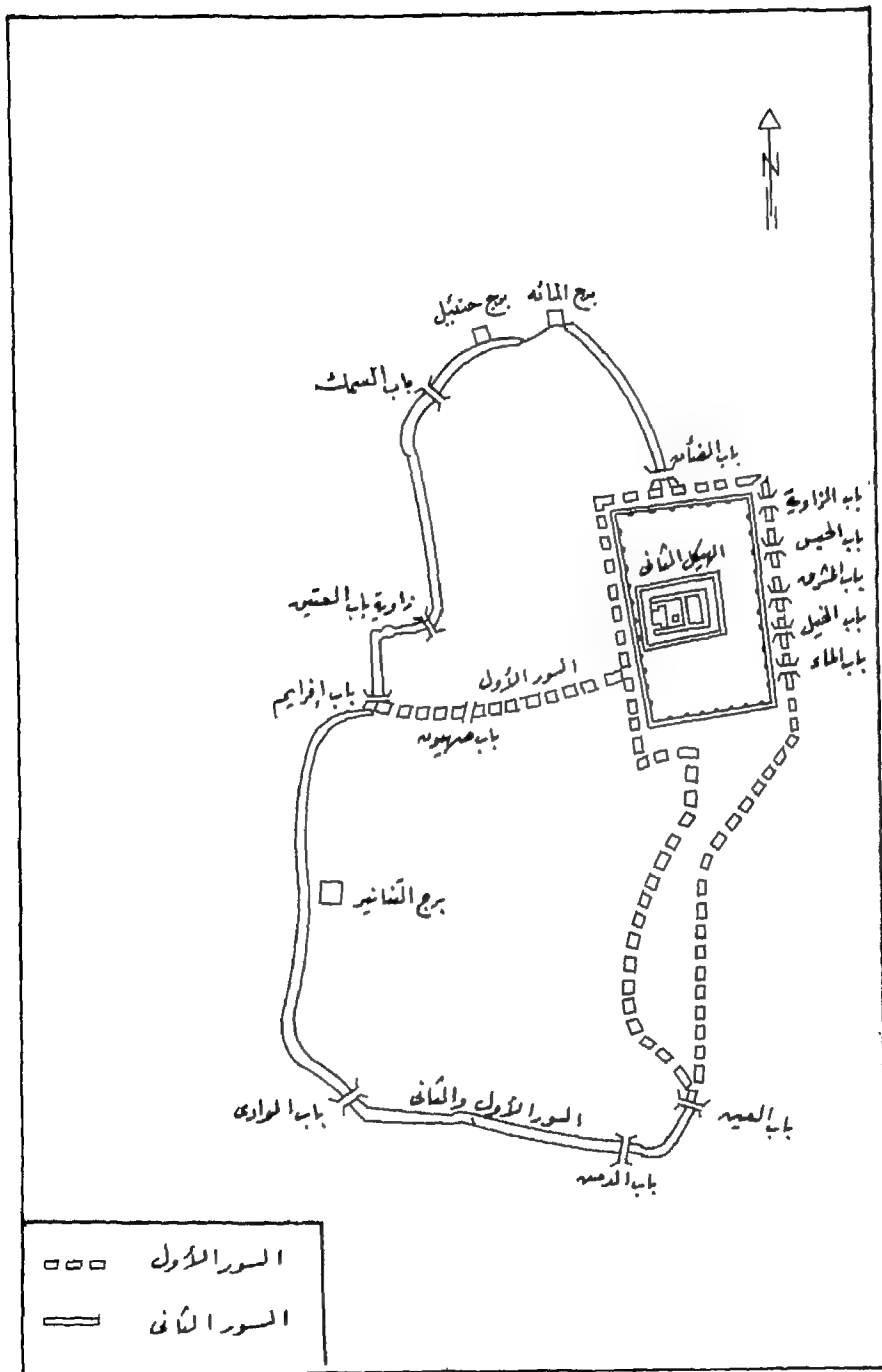
ثانياً/ المرحلة الثانية من العصر الروماني (٧٠ م - ٣٣٧ م)

الخراب الثاني للقدس

وبعد مضي زهاء ثلاثة عشر عاماً على تلك الأحداث التي وقعت في عهد الامبراطور الروماني كلاوديوس ، اندلع لهيب الثورة في القدس نتيجة لصراع بين الطبقات العليا التي اتفقت مصالحها مع مصالح روما والطبقات الدنيا من اليهود في يهوذا ، وتطور الأمر إلى الثورة ضد روما نفسها . واشتعلت الحرب بين اليهود والرومان (ثورة اليهود ٦٦ - ٧٠ م) في عهد الحاكم الروماني فلوروس الذي تولى الحكم عام ٦٤ (٦٤ - ٦٦ م) ، ففي خريف عام ٦٦ م بدأت ثورة اليهود ضد الحكم الروماني وتقدم على أثر ذلك حاكم سوريا الروماني كيتيوس جاليوس على رأس جيشه في محاولة لقمع الثورة في القدس ، إلا أنه اضطر للانسحاب على أثر هزيمته ، واستمرت سيطرة اليهود على القدس حتى أصدر الامبراطور الروماني نيرون أوامره إلى قائده فلافيوس فسبازيان في خريف عام ٦٨ م الذي جاء على رأس جيش قوامه ستون ألفاً من الجنود (ثلاثة فيالق) ، ولكنه اضطر للعودة إلى روما ليتولى العرش بعد وفاة نيرون في صيف عام ٦٩ م ، فتولى ابنه تيتوس قيادة الجيش في فلسطين الذي كان قد أصبح مكوناً من أربعة فيالق أحدهما الفيلق الخامس الذي استدعاه من مصر ، ثم حاصر تيتوس القدس في خريف عام ٦٩ م وأحكم حصاره على المدينة ليعمل على خفض الروح المعنوية لليهود ، وأعقب ذلك بهجوم شامل في شهر مايو ٧٠ م استطاع من خلاله تحطيم الأسوار ، ثم وجه فيلقين من جيشه لمهاجمة المدينة ذاتها وأمر الفيلقين الآخرين بمهاجمة حصن انطونيا الذي سقط في يونيو . وفي التاسع من أغسطس احترقت بوابة الهيكل ولحق الخراب بالمدينة وانتهى الصراع الدموي بالقضاء على كل أثر فيها فيما عدا ثلاثة حصون - أنشأها هيرودس - ظلت باقية لحماية الفيلق العاشر . وهكذا قضى على الكيان الذاتي لليهود في فلسطين وهو ما كان باقياً بعد القضاء على الكيان السياسي لهم على يد البابليين والأشوريين .

ويشير مونتجمري أنه في بداية ثورة اليهود عام ٦٦ م شاركت سبسطية (السامرة) في الثورة حيث تعاون السامريون مع اليهود وحاربوا ضد الرومان ، وكما يروي يوسفوس أن عدداً كبيراً من السامريين اجتمعوا على جبل جريزيم وأعلنوا تحقيرهم للنجاح الذي أحرزه الرومان وأنهم يشاركون اليهود في حربهم ، وعندما علم فسبازيان بذلك وجد أنه من الضروري أن يوقف تزايد الثورة ، فوجه كرليس - الذي كان قائداً للفيلق الخامس أثناء حصار تيتوس القدس والذي استمر قائداً للقوات الرومانية في فلسطين بعد تيتوس - ومعه

لوحة رقم (٨)



تخطيط لمدينة القدس في بداية العصر الروماني يوضح الأسوار والبوابات والأبراج

ستائة فارس وثلاثة آلاف من المشاة للقضاء على الثوار ، وقد تمكن هذا القائد من ذبح حوالي ١١٦٠٠ من السامريين بطريقة وحشية ، إذ أن الرومان لم يفرقوا بينهم وبين اليهود ، وعلى أثر ذلك تفرق السامريون في كل أرض فلسطين^(١) .

ويجدر بنا أن نشير إلى مذكرته دائرة المعارف الدينية ، أنه برغم المعلومات القليلة عن الدور الذي لعبه السامريون في ثورة اليهود (٦٦ - ٧٠) ، إلا أن هناك احتمالاً كبيراً أنهم كانوا بمعزل عن هذه الثورة أو أنهم تصرفوا بصورة مستقلة حيث كان من الصعب عليهم التعاون مع خصومهم اليهود ، ويعود كاتب المقال ويناقض نفسه ويشير إلى أن جانباً من هذه الطائفة قام بالاشتراك في تمرد ذي طابع ديني متعصب ، والذي تم قمعه على يد فسبازيان بإراقة الدماء عام ٦٧ م ، إلا أنه لم يوضح طبيعة هذا التمرد واتجاهاته السياسية والفكرية ، ولكنه بالطبع كما أشار يوسيفوس كان بداية تعاون السامريين مع اليهود في ثورتهم ضد الرومان^(٢) .

ويثير اهتمامنا مذكره جاستر أنه على الرغم من فرح السامريين لسقوط القدس في عام ٧٠ م ، إلا أنهم عانوا كثيراً تحت ضغط السلطات الرومانية التي لم تميز في قهرها واضطهادها بينهم وبين اليهود ، وهكذا يرى جاستر أن السامريين بموقفهم هذا إنما كانوا بمعزل عن الثورة اليهودية^(٣) .

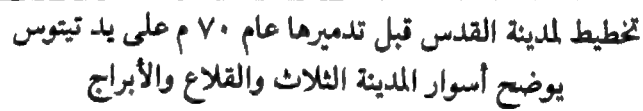
إيليا كاييتولينا لا القدس :

عاد اليهود إلى أعمال الشغب في عهد الامبراطور الروماني تراجان (١٠٦ م) ، واشتدت خطورة أعمالهم عندما قامت ثورة اليهود المشهورة في كل من برقة ومصر في آن واحد وامتد خطرهما إلى يهوذا . ولما تولى الامبراطور هدریان عرش روما (١١٧ - ١٣٨ م) ، صمم على القضاء على الكيان اليهودي ، وقرر تشييد مستعمرة رومانية محل القدس بالإضافة إلى إصداره أمراً بإبطال عادة الختان عند اليهود ؛ كل ذلك كان السبب الحقيقي وراء نشوب الثورة اليهودية الثانية (١٣٢ - ١٣٥ م) ضد الرومان حوالي عام ١٣٢ م بقيادة بركوكبا أحد زعماء اليهود ، الذي قام بإعلان الثورة حتى يتمكن من الحفاظ على كيانهم الذاتي ، ولكنه ادعى أنه المسيح المخلص ، وفي قول آخر أنهم الذين أطلقوا عليه المخلص بسبب نجاحهم المؤقت في بداية الثورة ، وقد استطاع هدریان إخضاع هذه الثورة بعد أن قتل عدداً كبيراً من اليهود ، ثم قام بتغيير اسم القدس إلى إيليا كاييتولينا

(١) . Montgomery : Op . Cit . , PP . 87 - 88 .

(٢) . Ency . Relig . : Samaria , P . 164 .

(٣) . Gaster : Samaritans , P . 37 .



Aella - Capitolina بعد تشييدها ، كما أقام معبداً لجوثير كبير آلهة الرومان محل الهيكل ، وانضج لليهود بعد ذلك أن هذا المسيح المخلص لم يكن إلا دجالاً فقاموا بتغيير اسمه من بركوكبا (أي ابن الكوكب) وجعلوه بركوزيا (أي ابن الكذاب) ، وبذلك تقلصت أحلام المسيحية ضد اليهود وأكد هادريان قضاءه على الكيان الذاتي الديني لليهود^(١) .

ومن الجلي أن الطائفة السامرية قد تعرضت لأذى شديد في عهد هادريان مثل اليهود في أنحاء اليهودية ، حيث أمر الامبراطور بإحراق معظم كتب التراث السامري ، كما يبدو أنهم خرجوا من بلادهم وانتشروا في المناطق التي سبق لليهود أن انتشروا فيها . ويجدر بنا أن نشير إلى ما ذكره أبو الفتح السامري عن موقف السامريين من هادريان خلال الثورة اليهودية الثانية ، والتي اتخذ السامريون خلالها موقفاً مخالفاً لموقفهم من الثورة اليهودية الأولى ، فيذكر أبو الفتح أن السامريين ساعدوا هادريان في حصاره للقدس ؛ ونتيجة لهذه المساعدة طرد كل اليهود من نابلس وأعلن ألا يسكن يهودي فيها وما حولها وسلم السامريين أمور أنفسهم كما ملكهم على اليهود . وكان هادريان قد أحضر أبواب القدس الكبرى النحاسية وقام بتركيبها على باب معبد سفيس جوثير الوثني الذي أقامه على جبل جريزيم ، وكان من نتيجة إقامة هذا المعبد الوثني على الجبل المقدس ، أن ثارت ثائرة السامريين واجتمعوا في السامرة وقرروا هدم هذا المعبد الوثني ، وبالفعل تم ذلك وأحرقوا الرهبان وأخذوا أبواب النحاس ودفنوها في حريزيم ، وعلى أثر ذلك مضى اليهود إلى هادريان فلما سمع ما فعله السامريون بمعبده اشتد غضبه وأحرق معظم كتب التراث السامري وأمر بقتل كل من هو سامري ، ولكن رجلاً سامرياً وقف أمامه وأقنعه بعمق العداوة بينهم وبين اليهود وأنهم يريدون الوقعة بينه وبين السامريين ، فصدق الملك كلامه وندم على قتل السامريين ونادى بالألا يقتل سامري وأمر بقتل اليهود وجرى على اليهود ماجرى على السامريين ، وبعد وفاته خلفه ابنه انطونينوس بيوس . Antoninus Pius (١٣٨ - ١٦١ م) الذي كان يؤازر السامريين حتى أنه درس التوراة وعمل بمقتضاها ، وقد ذكر أبو الفتح أن السامريين في عهد انطونينوس كانوا يتمتعون بامتيازات مثلما كان الحال أيام يوشع بن نون ، وإن كنا لا ندري الأساس الذي بنى عليه أبو الفتح هذه المقارنة^(٢) .

(١) راجع : Jewish Quarterly Review : Vol . 58 Hugo Mantel : The Causes of Bar Kokba Revolt PP . 226 - 230 .

(٢) أبو الفتح : تاريخ السامريين - صفحات ٦٢ - ٦٣ .
راجع : Montgomery : Op . Cit . , PP . 91 - 93 .

واستمرت هذه الأوضاع قائمة في فلسطين تحت حكم الرومان طوال مائتي عام حتى استولى الامبراطور قسطنطين على روما وجلس على عرشها ، وجعل المسيحية الدين الرسمي للدولة .

ونلخص من هذه الدراسة عن القدس في العصر الروماني ، إلى أن اليهود لم تستقر أمورهم في معظم الأحيان ، كما أن اتجاهات الفكر الديني عندهم كانت تخضع للاعتبارات السياسية وتتأثر بها إلى حد كبير ، فقد استمر التنافس القديم بين اليهود والسامريين في العصر الروماني . ومعظم تاريخ الفترة الرومانية في فلسطين يدور حول السامرة باعتبارها عاصمة للاقليم ، خاصة بعد أن أعاد هيرودس بناءها حيث كان الرومان يدركون القيمة الحقيقية لتاريخها السياسي ، ويبدو أنه كان في العصر الروماني مجلساً للسامريين على نمط مجلس السنهدرين اليهودي ، وكان له نفس السلطات على المجتمع السامري . ويبدو لنا أن السلطات الرومانية لم تفرق في المعاملة بين اليهود والسامريين على حد سواء .



الفصل السابع

المغربي

يهود الأندلس والمغنين إلى القدس

يهود الأندلس والحنين إلى القدس

أثر الحضارة الإسلامية على الفكر اليهودي

كل دين من الأديان التي يدين بها البشر سماًوياً كان أو وثنياً ، له مكان تجمع يقصدون إليه من أجل الحج ، حتى البوذية ، حتى ديانات اليونان القدماء (معبد دلفو ومعبد الأكروبول ومعبد الكابيتول في روما) ؛ فالكيان الديني الذي شهد ظهور الشريعة الموسوية ، كان معبده المركزي قد استكمل استقراره على أيام داود وسليمان ، بعد أن كانت هناك معابد وأماكن حج متفرقة بعد وفاة موسى بعضها في شكيم أو الجليل أو حبرون ، ولذلك ظهر عندهم نوع من الشعر الذي تصبغه الصبغة الصوفية ، وهي الحنين إلى زيارة هذه الأرض المقدسة في القدس ، وهم في ذلك يقلدون المسلمين في حنينهم إلى زيارة الأراضي المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، واليهود ينظرون نظرة المسيحيين إلى أماكن الحج المسيحية والتي منها كنيسة القيامة في القدس وكنيسة الميلاذ في بيت لحم في فلسطين وكنيسة الفاتيكان بالنسبة للكاثوليك في روما (وهي كنيسة القديس بطرس) .

فحنين اليهود إلى زيارة المعالم المقدسة اليهودية ، كان نوعاً من الحج يحمل في طياته طابعاً صهيونياً روحياً بقدر ما كان تقليداً للحجاج المسلمين ، كما قلدوا الأدباء المسلمين في ضبط اللغة بالنحو والصرف والبلاغة وفي وزن الشعر وقوافيه ، وكذلك في أغراض الشعر العربي ، فإذا نظم الشاعر العربي الموشحات الأندلسية نظموا هم كذلك موشحات باللغة العبرية على نفس المنوال ، كذلك قلدوا الشعراء العرب في قصائدهم في مدح الملوك وكتبوا مثلهم شعر خمريات وشعر إخوانيات ، وكذلك قلدوهم في نفس هذه الأغراض باللغة العبرية .

ولا يتسع المجال هنا للتفصيل في أمر هذه الناحية الفريدة التي تستوقف الاهتمام في تاريخ الفكر الإسلامي ، فقد عاش اليهود منذ القرن الثالث الميلادي في اسبانيا تحت حكم الغوط الغربيين في اضطهاد شديد ، ومع ظهور الاسلام الذي انتشر وعمّ المنطقة

كلها وبمجرد أن وضع العرب أيديهم على الأندلس حتى صبغوها بالصبغة العربية من حيث عاداتها وتقاليدها وآدابها^(١) ، حيث عومل اليهود على أنهم أهل كتاب فتركت لهم حرية العقيدة والثقافة ، وهكذا بدأت اللغة العبرية في الظهور - وكان أمرها قد انتهى بين اليهود كلغة حية وحلت محلها اللغة الآرامية - وقامت نهضة لغوية أدبية حيث اهتم اليهود بدراسة النحو في لغتهم متأثرين بالنحاة العرب^(٢) .

وقد أخذت ثقافة يهود الأندلس من موارد الثقافة الإسلامية بصورة مباشرة ، فبعد الفتح العربي تمتع اليهود بحرية دينية وفكرية لم يكونوا يعرفونها من قبل ، ووجدوا أنفسهم أمام ظاهرة تشبه شبيهاً كبيراً الظاهرة الدينية اليهودية ، فهم أهل كتاب مثل المسلمين ، وكلاهما يختلف عن المسيحيين في أن كتاب المسيحيين مروي بالمعنى وليست له لغة مقدسة اجبارية ، بينما القرآن الكريم كتاب سماوي مفروض على المسلمين بمعناه ولفظه ولا يصلح فيه الاعتماد على الترجمة .

إذن وهم تحت حكم السيطرة المسيحية لم ينجحوا في تقليد المسيحيين في شيء ، لأن المسيحي يعتمد على الانجيل في أي ترجمة ولأنه يضطهد اليهود ولا يعطيهم حرية المشاركة في أي حياة فكرية .

ونظراً لما تميزت به الحركة اللغوية والأدبية داخل المجتمع الإسلامي ، فقد لاحظ اليهود المتمتعون بظل الإسلام ، أن المسلمين بحثوا في القرآن لفظاً ومعنى وقراءة وصوتاً فظهر علم النحو ، ولعرفة البناء الأصلي للألفاظ ظهر علم الصرف ، ثم انتقل البحث إلى الشكل الأسلوبى للقرآن وهو عند المسلمين شكل يعتبر معجزة لم يعرفها العرب لا في الشعر ولا في النثر « قل لان اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً . . . » ، وهكذا ظهرت علوم البلاغة وعلم المعاني للبحث في مطابقة اللفظ للمعنى ثم علم البيان وعلم البديع الذي يبحث في تجميل الأسلوب .

إلى هذا الوقت كان اليهود لا يبحثون في مثل هذه الأشياء وكانوا تلقينيين في دراستهم للتوراة ، يأخذون تفسيرها وتلاوتها بالتلمذة جيلاً بعد جيل ولكنهم فتنوا بمناهج المسلمين ، فظهرت لأول مرة في تاريخهم مؤلفات في النحو والصرف ، فمن نحاة اليهود الذين ترسموا خطى العرب في دراسة اللغة في غضون القرن العاشر الميلادي أبو زكريا يحيى بن داود حيويج الذي ألف في الصرف كتاب الأفعال الجوفاء والمضاعفة ، ومن

(١) أحمد أمين : ظهر الإسلام - الطبعة الرابعة ج ٤ ص ٩٩ .

(٢) د . حسن ظاظا - الساميون ولغاتهم - ص ٩٤ .

الواضح البين مثلاً أن شيخ نحاة اليهود في النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي هو أبو وليد مروان بن جناح القرطبي الذي ألف باللغة العربية كتاباً في النحو اشتهر باسم « اللُّمَع » .

ومن هنا كان هذا الزمان عصراً عظيماً للشعر والشعراء ، فظهرت حركة فكرية بلغة عربية متطورة ، متأثرة باللغة العربية الثرية ولذلك كان هناك حشد حافل من الثقافة الجديدة يعتمل ويحتمر في قرطبة في ظلال الحضارة الاسلامية ، وانصرف نفر من أهل الأدب اليهودي إلى تقليد الشعراء العرب ، فظهر من بين يهود الأندلس شعراء عرفوا الشعر الموزون المقفى على الطريقة العربية مثل يهودا اللاوي وابن جبرول وموسى بن عزرا والحريزي الذي ألف مقاماته العبرية على غرار مقامات الحريري العربية^(١) .

ومجمل القول : تأثر اليهود بالفكر اللغوي الاسلامي ، وكما ربطه المسلمون بالقرآن ، ربطه اليهود بالتوراة ، وقلدوا المسلمين في استنباط آيات الاحكام والتوفيق بين ما جاء في التوراة وما جاء في التلمود ، ولعل أحسنهم موسى بن ميمون طبيب الدولة الأيوبية الذي ظهر في أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر وجمع الشرائع اليهودية في كتاب يسمى « مشناه تورا » بمعنى أحكام التوراة واشتهر باسم « يدحزقاه » بمعنى اليد القوية ، أخذ فيه ما جاء في التوراة وما جاء في المشنا والتلمود ورتبه على أبواب وهو الكتاب الوحيد الذي كتبه موسى بن ميمون باللغة العبرية ، بالإضافة إلى ذلك كتب كتباً كثيرة باللغة العربية أهمها كتابه المشهور « دلالة الحائرين » وهو في العقيدة اليهودية . وقد تأثر موسى بن ميمون في كتابه بالفكر الديني الاسلامي الذي لم يكن معروفاً على عهد التوراة . كل هذا أدى إلى أن يتسلح المفسر اليهودي بهذه الثقافات حتى لا يكون متخلفاً عن مفسري القرآن من المسلمين وهو يعيش بينهم ويرى جهودهم في العناية بحفظ وتفسير كتابهم المقدس .

ومن هنا عملوا على تنقية اللغة العبرية بما فيها من شوائب وقلد يهود العصور الوسطى الاسلامية بقدر الامكان أسلوب التوراة .

هذا إلى جانب أن اللغة العربية لغة سامية مثل العبرية ، مما جعل تسرب أشكال تركيب الجملة العربية إلى الأسلوب العبري في العصور الوسطى أمراً سهلاً لدرجة أننا نجد عندهم مقامات الحريزي يقلد فيها أسلوب مقامات العرب وخصوصاً الحريري .

(١) ظا : الساميون ولغاتهم - صفحات ٩٨ - ٩٩ .

الفصل السابع

وفي الرحلات يظهر بنيامين الططيلي ويتأثر في طريقته في التعبير بوضوح بأساليب الرحالة العرب مثل ابن جبير .

على أن المعنى السياسي في حنين يهود العصور الوسطى في الأندلس إلى القدس - وهو معنى لا يوجد مايقابله في حنين المسلمين إلى الحرمين الشريفين - هو أنهم يعتقدون أن وجودهم في الشتات كان بغضب من الله عليهم ، ولذلك فإنهم على الرغم من تأقلمهم في ظروفهم الجديدة كانوا يترقبون زوال غضب الله عنهم ، وذلك بأن يكون لهم كيان في عاصمة سليمان ؛ ولهذا كانت التقاليد المعمارية تقضي على اليهودي إذا بنى بيتاً أو قصرأ أن يترك فيه قطعة مكشوفة من الحجارة ، أو مهدمة تُذكرُهُ بخراب الهيكل وتدعوه دائماً إلى ألا يسكن في دار كاملة العمران حتى يتم عمران المدينة المقدسة ، لذلك امتزج الحنين الديني بهذه العقيدة السياسية والحربية ولكنهم حولوها إلى عقيدة غيبية لدرجة أن المتزمتين منهم كانوا يرفضون الصهيونية الحديثة عند ظهورها لما تتضمنه من تمرد على غضب الله الذي به كتبت عليهم الذلة والمسكنة ، ولم تنحل هذه العقدة إلا عندما اقتنع بعض الحاخامين بالصهيونية في أواخر القرن الماضي (من أمثال هيرش) ، فبدأ المتدينون المثقفون يقبلون الصهيونية بدون حرج .

والخلاصة أن حنين المثقفين اليهود سياسياً إلى فلسطين في العصور الوسطى كان وسطاً بين الرضا بالعقاب الإلهي الذي أنبأهم به أنبيأؤهم وانتظار العفو عنهم ، الذي لا يكون إلا بوجود حاكم لهم في الأراضي المقدسة . فهي إذن صهيونيةٌ روحيةٌ قوامها التسليم بالارادة الإلهية ، أي أنها بالمقارنة بصهيونية هرتسل ، كانت عاطفية لا تتخطى ذلك إلى عالم المال والأعمال ، وكذلك كانت سلبية لم تفكر في ترجمة هذه العاطفة الصهيونية إلى مشروع عملي واجب التنفيذ .

ولذلك فشرعهم في الحنين إلى القدس كان ممهداً للصهيونية السياسية ، فعندما قام هرتسل بتحويل الحركة الصهيونية من حركة فكرية إلى حركة سياسية - بارساء منهجها العام سنة ١٨٩٦ م في كتابه الشهير « الدولة اليهودية » - إنما حوَّرها وسخرها للوصول إلى خدمة أغراضه السياسية وأهدافه القومية .

وحتى نتبين طابع الشعر العبري في الأندلس وتأثره بالشعر العربي في ظل سباحة الاسلام وحضارته ، سوف نعرض نماذج من انتاج أعلام الأدب العبري الذين عاصروا هذه الفترة ، والذي يبدو فيه البكاء على المجد الضائع القديم ، وعلى الهموم التي يعيشها اليهود في الشتات والجيتو ، بل كان الشعر يخاطب آلام اليهودي الذي طرد من زمن طويل وكتبت عليه الذلة والمسكنة .

الشعر العبري الوسيط

ويمكن تقسيمه إلى قسمين رئيسيين ، ديني وديوي ، وبالطبع فإن الشعر الديني قد سبق نظم الشعر الديوي الذي كان نتاج هذه الفترة وهي فترة الاتصال بالثقافة العربية ؛ والسبب في ذلك أن التراث الشعري لليهود قبل العصر الوسيط كان كله في العهد القديم ، وكانت النظرة إليه على أنه شعر ديني ، فظلوا قرونًا طويلة لا يتصورون الشعر إلا دينياً ، ولا يكتبونه إلا في هذا الغرض حتى قبل التأثر بالحضارة الاسلامية ، فلم يرد لنا من شعر العصر الوسيط المتقدم غير أشعار دينية عند « هقلىر » و« يوساي اليتيم » وحتى سعديا الفيومي ، إلى أن استطاع الشعر العبري أن يؤثر على شاعرية اليهود المقيمين بين المسلمين وبخاصة في الأندلس والمغرب حيث ظهرت الأغراض الدنيوية الأخرى .

ويذكر الأستاذ أحمد أمين في كتابه القيم « ظهر الاسلام » مانصه « ولئن دمع الأدب الجاهلي الأدب المشرقي فالأدب المشرقي دمع الأدب الأندلسي »^(١) . وقد يستر ظهور الشعر الديني عدة عوامل من أهمها ، أنه في فترة إحياء اللغة العبرية ازداد الاهتمام بالعهد القديم ولغته وكذلك بفقهاء اللغة والتفسير .

وهناك اثنان من الينابيع التي تغذي الشعر العبري ، أولهما العاطفة الدينية العميقة ، وثانيهما معاناة بني إسرائيل التي تناضل في يأس لكي تنقل مشاعرهما للرب ، ولم تجد كفايتها في الصلوات فأضاف اليهود التسابيح والقصائد وكثيراً من صور الشعر الديني الذي يعبر روحياً عن مشاعرهم وتطلعهم للخلاص^(٢) .

فالشعر العبري المعروف « بالبيوطيم » لم يعالج موضوعات مثل الفروسية والغزل أو الرثاء أو الهجاء فقط ، وكذلك لم تغلب عليه الموضوعات المعروفة في الشعر العربي وغيره من أشعار الأمم الأخرى ، بل كان اهتمامه منصباً أساساً على الدين والمعبود تعبيراً عن آلام اليهود وأحزانهم ، وقد نشأ شعر البيوطيم في ظلال الاسلام متأثراً بالشعر العربي وزناً وقافية^(٣) .

ينقسم الشعر الديني إلى نموذجين أولهما البيوطيم مثل ترانيم المديح وهي تسبيحات للرب ، حيث تتجلى قدرة الخالق في إطار فلسفي ، أما النموذج الثاني فمُعَرَّف باسم « سليحوت » وهي الصلوات التي تتضمن كل أنواع القصائد الحزينة ويندرج تحتها

(١) أحمد أمين : ظهر الاسلام ج ٤ - ص ٢٣٠ .

(٢) Waxman : Jewish Literature Vol . I p . 207 .

(٣) د . فؤاد حسنين : من الأدب العبري - ص ١٢٧ .

الفصل السابع

ما يسمى « قينوت » وهي مراثيات لذكرى تدمير المعبد في التاسع من آب أو تلك الأيام السوداء في التاريخ اليهودي .

وتعتبر الفترة من القرن التاسع الميلادي وحتى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي عصراً ذهبياً للأدب العبري في الأندلس ، وخلالها نظم شعراء اليهود أشعاراً متنوعة ، ولكن كان اهتمامهم منصباً على أشعار الحنين إلى القدس ، وكان من أبرز شعرائهم ابن جبيرول ويهوذا اللاوي وموسى بن عزرا ويهوذا الحريزي ، وسوف نستشهد ببعض أشعارهم في الحنين للقدس لتبين اتجاهاتهم .

سليمان بن جبيرول وبعض نماذج من أشعاره^(١)

هو رائد من رواد الشعر العبري في العصر الذهبي للأدب العبري في الأندلس (من القرن التاسع حتى نهاية القرن الثاني عشر) ، وقد طرق ابن جبيرول في شعره موضوعات شتى عكست طبيعته التراجيدية التي طبعت روحه بالحزن منذ شبابه الباكر ، فلا عجب إذن أن نلاحظ تلك المرارة والنظرة التشاؤمية منتشرة بين قصائده .

وقد نظم عدة قصائد فلسفية أهمها قصيدته الشهيرة « كينز ملخوت » ومعناها (تاج الملك) ، وقد ضممتها آراءه الفلسفية عن العالم وأبرز علاقته بالله ، حيث تحدث فيها عن عظمة الخالق وجبروته وحكمته ، وفي قسمها الثاني يتكلم عن الكون الذي صنعه الرب والكواكب السبع تلف في مداره ، وهذه القصيدة منظومة بصورة حرة لا تخضع للتفعيلات العروضية العربية بحساباتها الدقيقة في الحركات والسكون وهي تشبه إلى حد ما أسلوب المقامات ، وأهم ما يميزها أنه أدخل السجع العربي إلى الأدب العبري ، ويبدو فيها تأثيره بآراء فلاسفة العرب ونستشهد منها بالآتي :

لك الجبروت الذي في سره	عجزت أفكارنا عن الوقوف
لأنك أخفيتنا عنا تماماً	لك سر القوة والروح والمادة
لك الفضل الذي فاض على مخلوقاتك	وثواب الآخرة لخائفك
لك الأسرار التي لا يستوعبها عقل وإدراك	والحياة التي لا يصيبها الفناء

وقد استوقفنا كتابه الذي ألفه باللغة العربية وهو بعنوان « ينبوع الحياة » ، وهو كتاب صوفي يظهر سعة تأملات ابن جبيرول وبيّن تأثيره الواضح واستيعابه لكتب الفلسفة الإسلامية في ذلك الوقت ، ثم قام ابن جبيرول بعد ذلك بالتعبير عن حنينه للعودة إلى

(١) وقد عرفه العرب باسم « أبي أيوب سليمان بن يحيى »

القدس في إطار الوجدانيات الدينية التي امتزجت بصهيونية روحية ، فنظم قصيدة « شَبَّابَتْ صهيون » وترجمتها بالعربية (أسيرة بنت صهيون) ، وفيها يتضرع إلى الرب لينقذ اليهود من العبودية في الشتات ولكنه يعود فيؤكد أن الرب لم يغفل عنهم ، ولكنه سيرسل لهم المسيح المخلص^(١) ليجمع اليهود في المنفى استعداداً للعودة إلى القدس ، وفيها يقول :

أسيرة بنت صهيون (القدس) مصهورة في أتون الفقر
أقسم أباًؤك كما أقسمت من أجلك
سمعت صرختك وصعدت إلى مقري
وأجبتك لأنني رحيم

.....
ها قد أقسمت أن أجمع شعبي الأسير
ألا يقوم الملوك آنذاك بتقديم هدية لك
وها هو شاهد للأمم وضعته لمقدس
وهنا رأيت ابن يسى (٢)

وذلك كله إنما كان يدل على ما كان يتوافر في قلب ابن جبيرول من عذاب في المنفى ورغبته في الخلاص وطلب العودة إلى القدس ، وهو ما كرره في ندائه الذي جاء في قصيدته المعروفة باسم « شبيبا عنيا » وترجمتها العربية (أسيرة معذبة) ، وفيها يتحدثنا عن عظمة الرب وجبروته وحكمته ويتضرع إليه أن يخلصهم من المنفى ويساعدهم على العودة إلى القدس ، ويناشد الرب أن يتذكر اسرائيل ولا ينساها وأن يرسل ايليا النبي ليشر بالمسيح المخلص (٣) .

(١) اقترنت فكرة المسيح المخلص بفكرة تجديد العهد مع الرب ، وبذلك تتجدد الأمة لتصبح على المستوى الذي يليق بقدرة الله ، وعندئذ تصبح اورشليم (القدس) مدينة السلام وتليق بإقامة الرب على جبل صهيون ويتجمع فيها أبناء اسرائيل من السبي .

راجع ظاظا : الفكر الديني - ص ١١٢ .

(٢) أي المسيح المنتظر المنحدر من سلالة داود بن يسى .

(٣) ومن تقاليد عيد الفصح عند اليهود أن يُصبَّ كأس للنبي ايليا عند صب النبيذ ، وقد وجد في الخيال الشعبي اليهودي أن ايليا النبي قد أصبح جزءاً لا يتجزأ من فكرة المسيح المخلص عند اليهود ، وكان لذلك تأثير عميق من التطور الديني عندهم .

الفصل السابع

ويؤكد ابن جبيرول في قصيدته (أسيرة معذبة) ما كان يقتبسه شعراء اليهود في الأندلس من نصوص العهد القديم ، في حين ندر اقتباسهم من نصوص التلمود ، ولم يكن ذلك عن عدم معرفة بالنصوص التلمودية ، وإنما كان تقليداً للشعراء العرب في اقتباسهم من القرآن الكريم أكثر من اقتباسهم من الحديث الشريف^(١) . يضاف إلى ذلك أن لغة التلمود لم تكن عبرية بل آرامية ، مما جعل الاقتباس منه معيباً في قصيدة تسعى إلى أن تكون عبرية فصيحة ، فيقول ابن جبيرول :

أسيرة	معذبة	في	أرض	غريبة
مأخوذة	لأمة	لأمة	مصرية	
ومنذ	تركتها	لك	تنتظر	
أعد	سبيها	يا	قادر	يا
وأم	العشيرة	تكون	ثالثة	
(بين الأمم بعد مصر وآشور)				
وبادر	بسرعة	وبشرها	بايلها	
تغني	يا بنت صهيون	ها	هو	مسيحنا
لماذا تنسانا إلى الأبد				
لكل	نهاية	ولا	نهاية	لألمي

يهودا اللاوي وبعض نماذج من أشعاره^(٢)

عاش يهودا اللاوي أثناء الفترة الزمنية التي وصل فيها التطور الثقافي لليهود إلى ذروته ، وذلك عندما كانوا في ظل ساحة الاسلام وحضارته ، ويمكن تقسيم شعره إلى ثلاثة أنواع هي : دنيوي وديني وقومي . وأهم مايعيننا هو شعره القومي ، وفيه يتساءل عن الأسباب التي وراء تشريد وتعذيب الشعب المختار ١١٩٢ وقد اتخذت هذه المشكلة والبحث عن حل لها علامة مميزة في شعره القومي . . وقد توصل إلى حل لها وهي الخلاص والتوبة وهما يمثلان الفكرة الرئيسية عند يهودا اللاوي ، وهو لذلك صور نفسه على أنه يحترق جهاً

(١) د . محمد بحر عبد المجيد : اليهود في الأندلس - ص ٣٦ .

(٢) ويكنيه العرب بأبي الحسن اللاوي ، فقد نظم أشعاره في قوالب وموضوعات عربية . ولد في الأندلس عام ١٠٨٠ م ومات حوالي عام ١١٤٠ م .

لصهيون التي اعتبرها هدفه الرئيسي (١) .

وعندما يأس يهوذا اللاوي من التبشير بالمسيح المخلص ووصوله لتخليص اليهود من المنفى ومساعدتهم في العودة إلى صهيون ، قال باستياء شديد تلك الكلمات « إن يد المنفيين أقصر من أن تنقذنا » ، وقد أدخل فكرة الهجرة في مؤلفه العربي الكبير وعنوانه « الحجة والدليل في نصره الدين الدليل » (٢) ويبدو من عنوان الكتاب أنه أراد أن يجعل من نفسه مدافعاً عن اليهودية ، وقد ضمّن آراءه الدينية والفلسفية والتي تأثر فيها بالعقيدة الإسلامية وفلسفة الاغريق (ارسطو والأفلاطونية المحدثة) ، وكان الذي نقل هذه الاتجاهات الاغريقية إلى الفكر اليهودي هو فيلون اليهودي السكندري الذي كان أول من سخر منطق أرسطو ومفاهيم أفلوطين السكندري أيضاً عن فلسفة أفلاطون ، لخدمة الدين اليهودي خصوصاً في تفاسيره على التوراة ، كما يتضح منها دراسته العميقة لفلسفة ابن سينا المفكر العربي .

ومن قصائده عن صهيون قصيدة بعنوان « لى بمزراح » وترجمتها العربية « قلبي من الشرق » ، وهي من قصائده الدينية عن التوبة والتوبة هي الفكرة الرئيسية في شعر يهوذا اللاوي ، فهو ينفي الحاضر ويعيش في المستقبل ومن أجل ذلك يحترق حياً لصهيون التي هي هدفه الوجداني ، ولذلك يأمل في الإقامة على أرضها المقدسة ونورد فيما يلي بعض أبياتها :

قلبي في المشرق وأنا في أقصى المغرب
فكيف أتذوق زادي وكيف يطيب لي ؟
وكيف أفي بنذوري (٣) في حين
أن صهيون في قبضة أدوم وأنا في قيد العرب
يهون في نظري كل جمال اسبانيا مثلاً
يعز على نفسي رؤية تراب قدس الأقداس مغرباً

كما نظم قصيدة عن الأرض المقدسة بعنوان « شيري ارتس إسرائيل » ومعناها بالعربية

(١) شيرمان : هشيرا هعفریت بسفراد وبفرو باتس «الشعر العبري في اسبانيا وجنوب فرنسا» - ص ٤٢٥ .

Waxman : Jewish Literature Vol . I , P . 229 .

(٢) كتبه باللغة العربية بحروف عبرية وقد ترجمه إلى العبرية يهوذا بن تبون تحت « سفر مخزري » كتاب الخزري بفتح الخاء أو ضمها .

(٣) كفارة عن النذر الذي نذره بالهجرة إلى القدس .

(أشعار أرض إسرائيل) ، تظهر تعمقه في الديانة اليهودية وفلسفتها اللاهوتية ومن خلالها يبرز جمال مدينة القدس ويعرض كل ثروته في الأندلس (التي جمعها تحت راية الاسلام وساحته) من أجل امتاع نظره بتراب القدس ، كل ذلك في ظل حلم يريده في إطار النوجدانيات الدينية التي امتزجت بصهيونية روحية تخاطب آلام اليهودي الذي طرد من زمن طويل .

يا جميلة المشهد يابهجة الكون ، يامدينة الملك العظيم (١)
لك تتطلع نفسي من مكاني من الغرب (الأندلس)
ويفيض حناني عندما أتذكر تاريخ
مجدك الذي انقضى وقديسك الذي خرب
ومن يحملني فوق أجنحة النسور حتى
تختلط دموعي بشراها فتروها
ألا أتلمس أحجارك وأقبلها
فمذاق ترابك عندي أحلى من العسل

نموذج من شعر اسحاق بن غياث عن القدس (٢)
معظم القصائد التي كتبها ابن غياث تنتمي في غالبيتها إلى الأشعار الدينية ، ويذكر موسى بن عزرا وهو أحد تلاميذ اسحق بن غياث ، أن أستاذه قد تميز باللمامه الواسع باللغة الأرامية التي كتب بها معظم قصائده والتي وزنت على بحور الشعر العربي وفقاً للقواعد العامة لأصول البلاغة العربية . وقد استوحى الأمور العلمية في أشعاره من الأعمال الفلسفية لمن سبقه من الفلاسفة العرب .
وفي مراثية التاسع من آب (٣) ، يصور الشاعر مدى الدمار الذي حاق بالقدس والهيكल الثاني لليهود ، وفي هذه القصيدة اقتبس كثيراً من ألفاظ العهد القديم وخاصة مراثي ارميا وفيها يبيكي على المجد الضائع القديم .

(١) كلها أوصاف لصهيون استعارها الشاعر عن المزمور ٣٨ : ٣ من العهد القديم ، وتلك كانت لازمة لشعراء اليهود في الأندلس قلدوا فيها شعراء العرب عند اقتباسهم من القرآن الكريم كما أسلفنا .

(٢) ولد اسحاق بن غياث في الأندلس عام ١٠٣٨ م وتوفي عام ١٠٨٩ .

(٣) وهي ذكرى سقوط القدس في التاسع من آب عام ٧٠ م على يد الامبراطور الروماني تيتوس ، كما دمر الهيكل الثاني لليهود (والذي أعاد تشييده عزرا ونحميا بعد العودة من السبي البابلي .

مطرودون من بيت عزهم
يوم خروج العذارى من هياكلها
يوم حملن قيدهن عوضاً عن حليهن
يوم سفكت الدماء كالطر
وتلطف كتاب التوراة بالدماء
خرجوا إلى الأمام شرقاً وغرباً
نقلت نفسي من رؤية قتلاهم
والأمهات ثكالى على أطفالها
وهن سبايا حرب في أيدي قاداتهن
وانتهكت حرمة الهيكل في الأرض
وصارت صهيون عجباً أمام الساخرين
وكيف مر عليهم سيف الانتقام
موسى بن عزرا وتأثره بالأدب العربي^(١) :

استفاد موسى بن عزرا كثيراً من الحركة الفكرية العبرية التي تأثرت باللغة العربية الثرية في ظلال الحضارة الإسلامية ، فقد اهتم بدراسة الأدب العربي ونسج شعره على منوال شعراء العرب . وبعد أن درس الأدب العربي تحول إلى تناول الأدب العربي والعبري بالدراسة والنقد ، وفي أعقاب ذلك ألف كتاباً بالعربية في الأدب والبلاغة بعنوان « المحاضرة والذاكرة » وفيه قلّد من سبقه من البلاغيين العرب في تناوله لتاريخ الأدب والشعر العربي والعبري على حد سواء ، وخاصة وأنه كان مولعاً بالمحسنات البديعية ولاسيما الجناس ، كما تناول فيه عرضاً تاريخياً لفتح العرب للأندلس ، وظهر فيه أيضاً أثر العلوم اللغوية والأدبية العربية في إثراء الأدب العبري^(٢) .

يهودا اللاوي^(٣) وبعض نماذج من أشعاره

عاش يهودا الحريزي في أواخر الفترة الزمنية التي وصل فيها تطور الثقافة العربية الأندلسية إلى القمة ، وأثناءها اشتهر بأنه أفضل من كتب المقامات العبرية وجاءت شهرته من خلال ترجمته لمقامات الحريزي^(٤) العربية إلى اللغة العبرية ، هذا بالإضافة إلى ترجمته لبعض الكتب العربية إلى العبرية .

(١) هو موسى بن يعقوب بن عزرا ، وقد عرفه اليهود باسمه المختصر (رب م // ع) ، ربي موسى بن عزرا ، ويكنيه العرب باسم أبي هارون . وله ديوان شعر يتغنى فيه بالحب والخمر والطيبة على منوال شعراء العرب . ثم تغلبت عليه الروح الدينية وأدركت روحه الشوق إلى الرب ، فكرّس حياته لشعر التوبة والغفران .

راجع :

Waxman : Vol . I , PP . 225 - 226 .

(٢) د . شعبان محمد سلام : الأثر العرب في الشعر العبري (ج ١) صفحات ٣٧ - ٤٦ .

(٣) هو يهودا بن سليمان الحريزي الذي ولد في عام ١١٦٥ م وتوفي في عام ١٢٢٥ م .

(٤) تعتبر مقامات « أبي علي محمد قاسم بن الحريزي » (ولد ١٠٥٤ م أو ١٠٥٥ م ، وتوفي عام ١١٢٢ م) من أشهر كتب الأدب العربي وأوسعها ، وكان يروي مقاماته على لسان شخصية « أبي

الفصل السابع

ففي سوريا كانت بداية كتابة يهوذا الحريزي للمقامات العبرية والتي تسمى اليوم « تحكموني » ، وتشتمل على خمسين مقامة تروى على لسان « هيمان ها ازراحي » شخصية البطل في هذه المقامات باسم « حبر هاقيني » يكنى به عوضاً عن المجتمع اليهودي ، وهاتان الشخصيتان اقتبس اسميهما من العهد القديم (١) .

ومن الممكن أن يسمى كتاب يهوذا الحريزي « تحكموني » بعنوان آخر هو « كتاب حروب يهوذا الحريزي » وقد أطلق عليه هذا العنوان نظراً للجهود الكبيرة التي بذلها في تطوير اللغة العبرية وجعلها قادرة على التجاوب مع أعماله الأدبية المختلفة وخاصة عندما نظم مقاماته بالعبرية على غرار مقامات الحريري العربية . فهو يكشف بكل صراحة عن حسده للأديب العربي الكبير ورغبته في أن يحدو حذوه ، وأن ينتج أعمالاً على غرار أعماله باللغة العبرية ، ونورد هنا نص مقاله يهوذا الحريزي :

(والأمر الذي أيقظ نفسي وروحي لتأليف هذا الكتاب هو أن رجلاً حكيماً من حكماء العرب وصفوة المثقفين ، فلغته أعلى من أن توصف بالبلاغة ، وعلى فمه تطلعت نبوءة الشعر ، وعلى ذلك فقد كتبت هذا الباب لكي أظهر قوة اللغة المقدسة) (٢) .

وقد ضمّن كتابه « تحكموني » موضوعات شتى منها على سبيل المثال مقامتين منظومتين في تاريخ الأدب العبري ، كما أدخل فيه البركات والترنيمات ، ونظراً لما تضمنه هذا الكتاب من ثراء موسوعي ، فقد أصبح أحد الكتب اليهودية المشهورة التي أدخلت نصوص منه إلى الصلوات الدينية .

ومن بين ثنايا كتابه نبرز مقامته عن صهيون ، والتي يظهر فيها تعمقه في الديانة اليهودية ، وحنينه إلى صهيون يتضح من خلال وصفه لجمال القدس حتى أن العين لم تر مثل بهائها ، كما يتحسر على دمارها ، ويسير يهوذا الحريزي على منوال يهوذا اللاوي في طلب الخلاص من الرب حتى يتجنب اليهود عذاب المنفى ويقل الخلاف بينهم داخل المدينة المقدسة ، ولذلك أطلق عليها اسماً جديداً هو « صخرة الخلافات » :

== زيد السروجي « ويشتمل كتابه على خمسين مقامة (فصلاً) ، وبعد كتابتها قلدها كثير من الأدباء العرب واليهود في الأندلس ، حيث كان الحريري من أهل البصرة في العراق .

راجع : تاريخ الفكر الأندلسي ترجمة د . حسين مؤنس - صفحات ١٨٠ - ١٨١ .

(١) د . محمد بحر عبد المجيد : اليهود في الأندلس صفحات ٩٢ - ٩٣ .

(٢) يهوذا الحريزي : كتاب « تحكموني » ج ١٨ - ص ٣ .

ويقول في مقامة صهيون :

صهيون وكم من الدول ازداد بهاؤها
ولكن بهائها لم تره عين بشر
المدينة التي كانت مقراً للسكينة
وكشفت عن مجدها لعيون بني الانسان
وكيف هبطت ربها أسفل سافلين
بعد أن كانت في أعلى القمم فخورة
نفي شعبها من القصور الفخمة
ولم تنفذ وصايا السرب
تتعشم ان تطهر بمياه المنفى
ولكنها لم تطهر بعد ، ولم تغتسل
لقد انقضى عليها ألف سنة ومائة
وثمانية وأربعون عندما استيقظت من سباتها
وطردت من قلب صهيون
وحتى الآن تريد صهيون سبيها
وهي تبكي حينما ترى جموع الغرباء
يصعدون إلى بيت الرب وهي لم تبرا بعد
ولم تعجز يد الرب عن انقاذها
وجمع شمل أفراد شعبها ليعيدهم للبيت
وسوف يعيدها الرب فوق عرشها
وتعود إلى مجدها بعد خرابها^(١)

ويقول في إحدى مقاماته على لسان « هيمان ها ازراحي » مانصه : « فقلت له ماذلك هنا وما هي وجهتك ؟ قال : كنت على أرض اسبانيا مشيت ومفرق ، وفي كل يوم كنت أسمع عن معجزات عزرا . مقدس الرب . ولقد أخافت الكلمات أفكاري وأطارت النوم من عيني . وأيقظ الله روحي لأركب السفن وأسير في المستنقعات من جبال النور ومواطن الأسود بعد أن تركت وطني بعيداً مهجوراً حتى تميز الحق من الباطل »^(٢) .
ولقد وقفنا في دراستنا ليهودا الحريزي على حقائق بالغة الأهمية ، وهي أن الثقافة

(١) يهودا الحريزي : كتاب « تحكموني » صفحات - ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٢) الحريزي : المرجع السابق - ص ٢٨٧ .

العربية قد صبت كل روحها في الأدب العبري في الأندلس ، بل الأمر أبعد من ذلك مدى ، فهو لم يقتصر على ترجمة الشعراء اليهود للشعر العربي والمقامات العربية ، وإنما تجاوز ذلك إلى تأثرهم بالفكر اللغوي الاسلامي ، وكما ربطه المسلمون بالقرآن ربطه اليهود بالتوراة ، كما قلدوا نحاة العرب في النحو والصرف وعلوم البلاغة وعلم المعاني وعلم البيان وعلم البديع (طباق وجناس) إلى جانب أوزان الخليل بن أحمد في العروض العربية التي أدخلها إلى العبرية دوناش بن لبراط وأصبحت من بعده إلى قيام الصهيونية الحديثة الطريقة المثلى لكتابة الشعر العبري لم تتزحزح عن عرشها هذا إلا عندما كتب يهود أوروپيون أشعارهم على الأوزان الأوروبية ، ومن بعد ذلك قلّ من يكتب على الأوزان العربية ، وإن كان بعضهم ما يزال يلتزم ذلك إلى الآن خصوصاً اليهود السفرد .

وقد جاء في المقامة الثامنة عشرة من كتابه « تحكموني » تفسيراً ليهودا الحريزي لافتاً للنظر ، وهو أنه تحدث عن فضل شعراء العرب ونحاتهم على الأدب العبري ، ونورد هنا نص ماقاله الحريزي عن فضل العرب في هذه المقامة :

« اعلّموا أن الشعر الرائع الذي يمتلئ بالنفائس والروائع هو من ممتلكات العرب في البداية ، واستطاعوا رآب كل صدع فيه وأن يزونه بموازين عادلة وأن يضعوه في مكانته ، بل وأثروا به على غيرهم فنجدهم قد بنوا أسقافه وشذبوا قصوره وأقاموا مصاريعه ولهم اليد الطولى بين شعراء الدنيا .

فوجدهم أول من يتحدثون إذا ما دعي الشعراء للحديث ، وعلى الرغم من أن لكل أمة من ينظم لها الشعر ويعمل في صنعة الشعر ، إلا أن شعرهم لا يمثل شيئاً وكلامهم نوع من العبث الذي لا يجدي بالمقارنة بشعراء أبناء الاسماعيليين (يعني العرب) حيث لا نجد الشعر الجميل اللفظ ، الجزل العبارة مثل الشمس في اشراقها ، صحيح المخرج كالفجر إلا لدى العرب ، أما الباقيون فلا يعتبرون إلى جانبهم شيئاً » (١) .

ولا يتسع المجال هنا للتفصيل في أمر هذه الناحية الفريدة التي تستوقف الاهتمام في تاريخ الأدب العبري وتأثره الواضح والجلي بالثقافة العربية والفكر الاسلامي ، وبحسبنا الآن أن نعلم أن الشعر العبري على وجه الخصوص قد أخذ منهجه في الأندلس من الشعر العربي كما أنه نظم على ضوابط ومقاييس القصيدة العربية ، وهذا ما عرّ عنه الحريزي في قوله :

(١) حاييم شيرمان : المرجع السابق ، ج ١ صفحات ١٣٢ - ١٣٣ . وقد ترجم هذا الجزء من المقامة الثامنة عشرة من كتاب « تحكموني » ، الدكتور شعبان سلام في كتابه « الأثر العربي في الشعر العبري » ، صفحات ٥٩ - ٦٠ .

« أقام العديد من شعبنا بعد النفي ، بين العرب في أقطارهم وسلوكوا الحديث بلغتهم والنطق بنطقهم ، وفي اختلاطهم بهم تعلموا عنهم صنعة الشعر . فعندما كان يسكن آباؤنا الأرض المقدسة لم يعرفوا الشعر الموزون باللغة العبرية فلا يوجد في أسفار أيوب والأمثال والمزامير إلا بعض الفقرات القصيرة تشبه أبيات الشعر ولكنها بلا قافية أو وزن » (١) .

وبوفاة يهوذا الحريزي أسدل الستار على العصر الذهبي للأدب العبري في الأندلس خلال أربعة قرون ، وكل ذلك إنما يدل على ما كان يتمتع به اليهود من حرية في ظل الحضارة الإسلامية وتسامح الاسلام ، وهو الأمر الذي اعترف به اليهود كما أسلفنا في بعض مقامات الحريزي . وبعد هذا العصر نضبت مصادر الشعر باللغة العبرية .

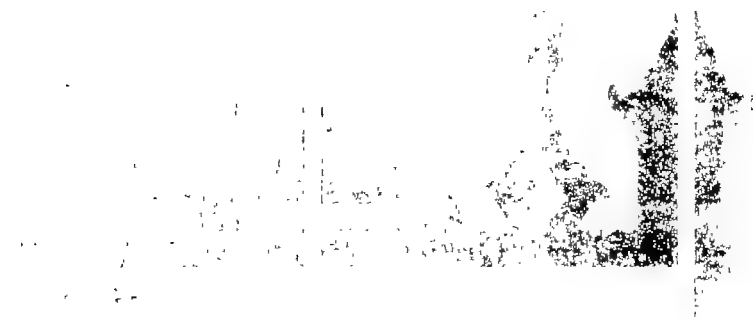
ونحن بهذا العرض الموجز لليهود الأندلس وحنينهم إلى القدس ، والذي يرد في أشعار أدبائهم في العصور الوسطى ، تجدنا نقف على أرض صلبة وهي أننا نختلف معهم عقائدياً ولكننا لم نختلف على أن شعرهم في الحنين إلى القدس وهم في الأندلس كان شعراً جيداً ، وإنما كان في اطار الوجدانيات الدينية التي لبست طابعاً صهيونياً روحياً أصبح فيما بعد مُمهّداً للصهيونية السياسية التي اعتمدت على نصوص التوراة في تبرير ادعاءاتها في إقامة الدولة الصهيونية على أرض فلسطين العربية .

(١) حاييم شيرمان : المرجع السابق ١٣٣ .

د . شعبان سلام : المرجع السابق - ص ٦٠ .



الفصل الثامن



صالح الذبيح واسترداد بيت المقدس من الصليبيين

صالح التربة واسترداد بيت المقدس للصليبيين

فلسطين بين الحروب الصليبية

لم يجرؤ اليهود طوال أيام الخلفاء الراشدين على الإقامة في القدس ، ولما جاء الأمويون أولوا القدس اهتمامهم ، وبنى الخليفة عبد الملك بن مروان مسجد قبة الصخرة المشرفة عام اثنين وسبعين هجرية (٦٩١ م) ، ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنوات كاملة ، هذا إلى جانب اهتمام الأمويين بالقدس ورفع شأنها ، وهو ما حتمته الظروف في تلك الأثناء . وعلى كل حال فقد احتفظ المسيحيون بكنائسهم في بيت المقدس ومن بينها كنيسة القيامة .

وعندما انتقل الحكم إلى العباسيين ، قام الخليفة أبو جعفر المنصور بزيارة القدس عام ٧٥٨ م ، فهاله الدمار الذي حل بالمسجد الأقصى من جراء الزلزال الذي حدث عام ٧٤٧ م ، فأمر بإصلاحه وترميمه وقد أنجزت هذه الإصلاحات في عام ٧٧١ م . وفي عام ٧٧٤ م حدث زلزال آخر أضرب بالمسجد الأقصى من جديد وعندما قام الخليفة المهدي بزيارة القدس عام ٧٨٠ م أمر بإصلاح وترميم ما أحدثه الزلزال من خراب للمسجد الأقصى ، بل أدخل تعديلات على تخطيطه . وفي عهد هارون الرشيد (٧٨٦ م) وفي ظل ساحة الاسلام ، قام الامبراطور شارلمان بترميم الكنائس وبناء كنيسة العذراء وعندما جاء الخليفة المأمون بن الرشيد (٨١٣ - ٨٣٣ م) تمت التعديلات في مسجد الصخرة وجددت عمارته .

وقد أثرت الأحداث التي وقعت في العصر العباسي في أوضاع الدولة الاسلامية ، ونشبت الخلافات داخل المجتمع الاسلامي وتضعضعت وحدته السياسية ، وانتهى الأمر بتقلص الحكم العباسي .

ولم تكتسب القدس أهميتها أيام الدولة الاخشيدية مثلما كانت على عهد الأمويين ، فظلت تقصد للأغراض الدينية فقط .

وقد رأينا كيف فرضت المحن على فلسطين وأصبحت من جديد موضع نزاع بين مصر

الفصل الثامن

وسوريا ، ففي عهد الطولونيين وقعت اضطرابات داخلية في فلسطين (٨٧٨ م) وتكررت تلك الأحداث في أيام الفاطميين وخاصة في عهد الحاكم بأمر الله الذي اضطهد اليهود حتى وفاته . وفي عهد الخليفة الظاهر بيبرس - الذي يعد امتداداً لعصر الحاكم بأمر الله - اضططر إلى عقد صلح مع القيصر رومانوس الثالث البيزنطي ، ويمقتضاه سمح للقيصر بترميم بعض الكنائس التي هدمها الزلزال ، وفي تلك الأثناء أصيب مسجد قبة الصخرة من جراء الزلزال ، فسارع الخليفة الظاهر إلى إعادة تعمير المسجد ، واصلاح قبه أفضل مما كانت عليه .

وفي الوقت الذي نشبت فيه الصراعات السياسية في الأندلس بين الامارات المسيحية وبين المرابطين ، كانت قد بدأت في المشرق ما اصطلح على تسميته في التاريخ باسم الحروب الصليبية .

وعندما نتبع كيف بدأ الصراع في المشرق العربي منذ ظهور الاسلام ، بين الدولة الاسلامية التي أرسى قواعدها سيدنا محمد ﷺ ، وبين الدولة البيزنطية وحلفائها من الغساسنة والمناذرة ، نجد أن الدولة البيزنطية أحست بالخطر منذ ظهرت الدعوة الاسلامية الجديدة ، فأخذت تخطط لمجابهتها بهدف تصفيتيها والقضاء عليها . وقد واجهت الأمة الاسلامية هذا الخطر تحت قيادة نبينا محمد ﷺ بالتخطيط المحكم والقيام بعمليات هجومية لتوسيع رقعة الأمة الاسلامية لنشر الدعوة ، واستمر هذا الخط في عهد الخلفاء الراشدين ، واتخذ صورة المد والهيمنة على أراضي الدولة البيزنطية في الشام ومصر وشمال افريقيا ، فضلاً عن بلاد فارس في الشرق ، وبلغ المد ذروته بعبور طارق بن زياد من شمال افريقيا إلى بلاد الأندلس وأصبح البحر الأبيض بحيرة عربية .

ولم تلبث هذه الوحدة الاسلامية السياسية أن تضعضعت وتجزأت ، ويبدو أن هذا الانقسام كان أمراً طبيعياً ونتيجة محتومة ، فقد كانت رقعة العالم الاسلامي عندئذ شاسعة مترامية الأطراف ، وما كان من المتيسر أن تدار هذه الرقعة كلها من مركز واحد في القرن الثالث أو الرابع الهجري ، ومن ثم فقد كان من الطبيعي أن تتخذ الشكل السياسي الذي اتخذته في تلك الأيام ، وكان انقسامها إلى ثلاث وحدات ، فسقطت الخلافة الأموية في دمشق على يد العباسيين وتأسست الخلافة العباسية في بغداد ، بينما قامت الدولة الأموية في الأندلس والتي تحولت إلى خلافة ، كما قامت الخلافة الفاطمية في المغرب ؛ ومن هنا نشب خلاف بينها وبين الدولة الأموية في الأندلس من جهة ، ومع الدولة العباسية في بغداد من جهة أخرى .

وساعد على ذلك خلاف مذهبي في الدين الاسلامي نفسه ، فالأندلسيون كانوا أهل

سنة مالكيين يميلون إلى فهم النصوص على ظاهرها ويكرهون التأويل ، أما العباسيون في بغداد فكانوا أهل سنة يتخير المؤمن هناك لتعبده وقضائه مذهباً من مذاهب الأئمة الأربعة ، وكانوا مع ذلك يتعايشون مع مذاهب أخرى كالشيعة الجعفرية الاثنى عشرية ، والمعتزلة والمرجئة والأشعرية وغيرهم ، بينما كان الفاطميون طائفة من الشيعة الاسماعيلية الباطنية التي تقول بالتأويل إلى أبعد ما يحتمله النص ، كما كانت تقول بتقسيم التعاليم إلى علنية وسرية ، فالخلاف إذن كان دينياً وسياسياً وعسكرياً مما جعل الوصول إلى نقطة لقاء بينهم أمراً مستحيلاً .

وفي تلك الأثناء كانت أوروبا تعاني من تغيرات سياسية تكاد تكون مشابهة للأوضاع في الأمة الاسلامية ، فامبراطورية شارلمان في غرب أوروبا والمعروفة باسم الامبراطورية الرومانية المقدسة كانت تقف في مواجهة الامبراطورية البيزنطية في الشرق .

وفي ظل هذا الجو المضطرب والأوضاع المفككة ، جاء الصليبيون إلى الشرق ، وكان البابا « أوربان الثاني » قد لعب على أوتار العاطفة الدينية ببلاغته في مؤتمرين أحدهما عقد في ايطاليا والآخر في فرنسا وذلك في عام ١٠٩٥ م ، مستغلاً فكرة الخطر المزعوم على المسيحية في فلسطين . وحتى نتصور ما أوصى به البابا أوربان إلى الجماهير المسيحية في أوروبا لحثها على انقاذ المسيحية - على حد تصوره - في فلسطين ، كان لا بد أن ننقل فقرة هامة ذكرها المؤرخ وليم مالمسبوري من خطاب البابا أوربان « يا أمة الفرنج ، يا أبناء السلالة التي أحبها الله واصطفها . وصلتنا من جهات القدس والقسطنطينية (!) أنباء مفرجة مفادها أن أمة من الأمم اشتطت السبيل ، فعاثت في ديار المسيحية سلباً وحرقاً وقتلاً وقادوا جموعاً منهم أسرى وأهلكوا آخرين بالتعذيب المبرح ، ودمروا بيوت الله ، واستولوا على بلاد تابعة ليونان شاسعة الأرجاء ، لا تقطع بمسيرة شهرين ! . . ، فعلى من تقع تبعة الثار واستعادة الديار ألا تنهضوا أنتم بهذا الأمر ؟ يامن شرفكم الله بفضله وأسبغ عليكم العزة والسؤدد ، وجباكم من نصره على أعدائكم ؟ . . لتكن مآثر الأجداد ، ومآثر شارلمان ومن سار بسيرته حافزاً لكم . وليكن استعادة القبر المقدس سبباً ليقظتكم . .

اسلكوا سبيل الله حيث يوجد البيت ، وانقذوا الأرض ، وامتلكوها لأنفسكم ، فإن القدس هي من أكثر بلاد الدنيا ثمراً وهي جنة الأفراح ومركز الدنيا . إنها اليوم تناشدكم المساعدة ، فاقصدها بكل شوق تغفر لكم ذنوبكم جزاؤكم دار الخلود » (١) .

وفي أعقاب ذلك حدد البابا يوم ١٥ اغسطس ١٠٩٦ لبدء الحملة الصليبية الأولى ،

(١) د . عبد العظيم رمضان : الصراع بين العرب وأوروبا ، صفحات ٣٢١ - ٣٢٣ .

الفصل الثامن

على أن تكون القسطنطينية نقطة التجمع والانطلاق ومن العجيب أنه وعدهم بغفران ذنوبهم ماتقدم منها وما تأخر بعد أن يحملوا السلاح لتنفيذ هذه المهام التي ألبسها عباءة الدين وقد هدد بعقاب كل من يرفض الاشتراك في هذه الحملة (المقدسة ١) وأغراهم بأن سبل الثراء تنتظرهم هناك .

ومؤدى هذا كله أن البابا حث مستمعيه على محاربة المسلمين دفاعاً عن المسيحية - وفي هذا تضليل لهم عن الحقيقة - مستخدماً لغة الدين ، والدنيا باغرائهم بالجنة في الآخرة وبالثراء في الشرق .

وفي ذلك الحين كان الفاطميون ينشرون سيطرتهم على فلسطين والساحل السوري الجنوبي ، ولذلك قرر الصليبيون محاصرة بيت المقدس في ٧ يونيو ١٠٩٩ ، ولم يصمد الوالي الفاطمي للقدس أمام هذا الحصار سوى أربعين يوماً ، اقتحموا بعدها المدينة في يوم ١٥ يوليو ١٠٩٩ ، وتتبع الصليبيون جنود المسلمين الذي احتموا في المسجد الأقصى ، ولكن الصليبيين اقتحموا المسجد وأحدثوا بهم مذبحه مروعة وبشعة حتى بلغ عدد القتلى عشرات الألوف (١) ، وجاء على لسان ابن الأثير (٢) « وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ، ما يزيد على سبعين ألفاً ، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ، ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف وأخذوا نيفاً وأربعين قنديلاً من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستائة درهم ، وأخذوا تنوراً من فضة وزنه أربعون رطلاً بالشامي ، وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلاً ، ومن الذهب نيفاً وعشرين قنديلاً ، وغنموا منه ما لا يقع عليه من الاحصاء » ، وكتب أبو الفرج ابن العبري الملقب ، أحد المؤرخين المسيحيين يقول : « ولبت الفرنج في البلد أسبوعاً يقتلون فيه المسلمين وقتل في المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً » (٣) . وبعد أن استقرت أمورهم في القدس على هذا النحو ، قرروا مواصلة الاستيلاء على بقية مدن فلسطين ، ورغم ذلك استمرت الدول الإسلامية في المنطقة تستعد لانتزاع زمام المبادرة بالاستعداد للقتال لاستعادة القدس وبقية الأراضي والمدن التي فقدت منها ؛ وفي (١) ستيفن رنسيان : تاريخ الحروب الصليبية ، من الترجمة العربية للدكتور السيد العربي ج ٢ صفحات ٤٢٥ - ٤٢٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٠ صفحات ٢٨٣ - ٢٨٤ .

(٣) وبينما نجد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يترك الكنائس للمسيحيين يباشرون فيها عباداتهم أحراراً ، نجد الصليبيين يستولون على المساجد ويحولونها إلى كنائس ، ومن العجيب أنهم حولوا المسجد الأقصى إلى ماعرف خطأ باسم « معبد سليمان » .

راجع : الحافظ شمس الدين الذهبي : كتاب دول الاسلام ، ج ٢ ص ٧٠ .

سبيل استعادة القدس قرر الوزير الأفضل الفاطمي ارسال حملة كبيرة إلى فلسطين واتخذت مدينة عسقلان مركزاً لتجمعها ، ولكنها بقيت مدة طويلة هناك انتظاراً لبقية الامدادات مما أتاح للصليبيين الهجوم والانتصار على الجيش الفاطمي .

ونلخص من ذلك إلى نتيجة هامة مؤداها أن فشل التعاون المشترك بين عرب مصر (الفاطميين) وبين ترك دمشق (السلاجقة) ، أدى إلى توطيد مركز الصليبيين واستمرارهم في بسط سيطرتهم على القدس ؛ وعندما حسم الخلاف المذهبي فيما بعد لصالح المذهب السني على يد صلاح الدين الأيوبي اتحدت مصر والشام في مواجهة العدو الصليبي (١) .

وبوفاة نور الدين زنكي - الذي يعد من أكبر قادة المسلمين والذي هزم الملك فولك ملك بيت المقدس هزيمة منكرة - انتهى الدور التاريخي في ذلك الحين لقيادة دمشق في مواجهة العدو الصليبي ، وأخذت مصر ذلك الدور القيادي تحت حكم صلاح الدين الأيوبي والذي كان يبدو أقوى أمراء الدولة الزنكية ، وقد حرص على المحافظة على التقاليد الزنكية ، فلم يشأ مهاجمة الصليبيين إلا بعد أن أعاد الوحدة إلى دولة نور الدين ، التي كادت تتفكك بعد وفاته .

وفي تلك الأثناء أخذ صلاح الدين يعمل على تقوية التحصينات في مصر فأقام سوراً ضخماً يحيط بالقاهرة والفسطاط والقطائع ، وأخذ في بناء قلعة الشهيرة في القاهرة . وكانت الأحوال في بيت المقدس مشجعة لصلاح الدين على اتخاذ عمل حاسم ضد الصليبيين ، خاصة بعد استيلائه على حلب عام ١١٨٣ م ، وهو بذلك طوق الامارات الصليبية على امتداد الساحل .

وسرعان ما أخذ المسرح السياسي في المشرق العربي يتهيأ لموقعة حطين ، خاصة بعد أن شعر المسلمون بتهديد الصليبيين لطريق الحج إلى مكة المكرمة .

موقعة حطين نقطة تحول لاسترداد القدس

أرسل صلاح الدين يجمع جيوشه في ربيع عام ١١٨٧ م وجعل مركز قيادته في دمشق ، فلما تكامل الجيش الاسلامي في الصيف سار في اتجاه طبرية (في ٤ يوليو ١١٨٧ م) ، وجعلها وراء ظهره ثم تقدم غرباً عند قرية « حطين » وذلك عندما علم أن الجموع الصليبية جاءت واحتشدت عند جبل طبرية من جهة الغرب وكان ذلك في يوم شديد الحرارة ، ولكن جيوش صلاح الدين كانت ترابط بينهم وبين الماء مما اضطر الجيش

(١) د . عبد العظيم رمضان : المرجع السابق - ص ٣٧٩ .

الفصل الثامن

الصلبي إلى قضاء ليلته يئن من العطش والانهك ، واستغل صلاح الدين انهكهم وطوقهم في الليل ، فكان هذا انتصاراً له قبل أن يضرب ضربة واحدة ، وفي اليوم التالي حاول الصليبيون بلوغ الماء ولكنهم فشلوا ، وفي تلك الظروف دارت موقعة حطين الشهيرة والتي انهزم فيها الصليبيون هزيمة منكراً^(١) .

وظهر صلاح الدين على درجة عالية من الحنكة العسكرية ، فلم يتقدم بعد حطين للاستيلاء على القدس مباشرة ، بل فضل أن يعزها عن الامدادات البحرية التي تأتي إليها من الخارج ، ولكي يحقق عزها اتجه إلى عكا التي سقطت دون مقاومة واتخذها صلاح الدين مركزاً لقيادته ، ومن هناك وجه جيوشه لفتح المدن القريبة فاستولى على الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية والفولة والطور ، بينما استولى أخوه العادل على حصن مجدليا بين يافا ونابلس ثم يافا ثم سبسطية (السامرة القديمة) وصيدا .

وفي عام ١١٨٧ م سقطت بيروت ثم حاصر عسقلان وهي التي اتخذها الصليبيون قاعدة لتهديد مصر ، وبذلك قطع خطوط المواصلات بينها وبين الشام . وفي أوائل سبتمبر ١١٨٧ استسلمت عسقلان ولم يبق أمام صلاح الدين سوى القدس^(٢) .

وكان صلاح الدين قد عقد النية على أخذ بيت المقدس ، فبعد أن رأى رايات النصر تحفّق له بعد استسلام معظم المدن التي كان يحتلها الصليبيون بلا مقاومة تذكر فيما عدا مدينة صور التي بدأت تتحصن وتتجهز ، سار إلى قلب فلسطين وأخذ كل ما كان بين بيت المقدس والساحل من حصون ، فلما تأكد من تأمين الساحل لمنع وصول الامدادات البحرية إلى الصليبيين في المقدس ، ألقى الحصار عليها وعرض على أهلها التسليم بنفس الشروط التي استسلمت بها بقية المدن الصليبية ، نظير تأمينهم على أرواحهم وأولادهم وأموالهم ، ولكنهم أبوا ذلك وعندئذ أقسم صلاح الدين أن يأخذ القدس عنوة ، وجعل يتلمس في أسوارها نقطة ضعف يهاجمها ، وفي ٢٠ سبتمبر ١١٨٧ م بدأ هجومه من نقطة الضعف التي اختارها جهة الشمال عند المكان المعروف بباب كنيسة صهيون (باب العمود) . وكان قد نصب المنجنيقات ونظم الرماة فوصلت جنوده إلى الأسوار وفتحوا فيها ثغرات ، غير أن ذلك التصادم لم يدم أكثر من أسبوع وفي أعقابه رأى المحاصرون أنه لا أمل لديهم في النجاة ، فأرسلوا إلى صلاح الدين يفاوضونه في شروط التسليم ، فأبى إلا أن يأخذ المدينة عنوة ليفعل بالصليبيين مثلاً فعلوه بالمسلمين عندما استولوا على القدس منذ نحو قرن ونذكر هنا نص ماقاله صلاح الدين « لا أفعل بكم إلا كما فعلتم بأهل

(١) ستيفن رنسيان : المرجع السابق ج ٢ صفحات ٧٣٥ - ٧٤٠ .

(٢) الحافظ الذهبي : المرجع السابق - ج ٢ صفحات ٧١ - ٧٣ .

القدس حين ملكتموه سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ، من القتل والسبي ، وأجزى السيئة بمثلها . وعند ذلك ألح أمير منطقة الرملة في طلب الأمان ووقف القتال ، وإلا قتلوا نساءهم وأطفالهم وذبحوا ما في المدينة من أسرى المسلمين ويقدر عددهم بخمسة آلاف أسير ؛ وهنا استشار صلاح الدين أصحابه فوافقوا على ترك المسيحيين يغادرون القدس مقابل عشرة دنانير للرجل وخمسة للمرأة وديناراً واحداً عن كل طفل ، فمن أدى ذلك في مدة أربعين يوماً خرج ونجا ، ومن لم يؤده صار أسيراً مملوكاً^(١) . وعلى هذا النحو جاءت شروط التسليم سهلة وميسرة كما جاء تفسير هذه الشروط لافتاً للنظر ، وهو إنما يدل على ساحة الاسلام بالمقارنة بما فعله الصليبيون عند غزوهم للقدس عام ١٠٩٩ م من تذبيح وقتل للمسلمين حتى وصلت الدماء في شوارع المدينة إلى الركب - على حد تعبير كثير من المؤرخين - ، ثم دخل صلاح الدين إلى بيت المقدس في يوم الجمعة الموافق ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ - ٢ / أكتوبر ١١٨٧ (٢) .

وقد بلغ عدد من دفع عنهم صلاح الدين الفداء نحو عشرة آلاف فرد ، عدا من أطلقهم أخوه سيف الدين ، وبذلك ضرب صلاح الدين المثل للأجيال القادمة من المسلمين في العزم والتصميم على استعادة حقوق المسلمين ، كما أظهر من التسامح والرحمة ما جعل كثيراً من المؤرخين يذكرونه بالثناء والتقدير .

وبمجرد أن دخلت جيوش المسلمين إلى القدس ، بدأوا يحفظون الأمن والنظام ، واستهل صلاح الدين وجنوده في بيت المقدس بزيارة مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى ، وقام بخلع الصليب الذهبي الذي رفعه الصليبيون على قبة الصخرة ووضع فوقها الهلال ، كما أزال ما وجدته في المسجدين من آثار مسيحية ، وقد بذل المسلمون جهداً كبيراً في ترميم وتعمير المسجدين . وكان صلاح الدين قد أمر بنقل المنبر من مدينة حلب إلى المسجد الأقصى - والذي كان قد أمر بتصنيعه نور الدين زنكي على درجة من الدقة والفخامة بحيث يتناسب والقدس عند فتحها - ، كما شيد صلاح الدين مسجداً عرف باسم مسجد النساء وذلك في الطرف الجنوبي الغربي للمسجد الأقصى .

هذا وقد سمح صلاح الدين للمسيحيين بإقامة شعائرهم الدينية في حين قام بإحضار

(١) ستيفن رنسيان : المرجع السابق ج ٢ صفحات ٧٤٨ - ٧٥٠ .

راجع عماد الدين اسماعيل أبي الفداء : المختصر في أخبار البشر - ج ٣ صفحات ٧٢ - ٧٣ (يذكر أن مايدفع مقابل خروج الطفل هو ديناران) .

جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي : كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - ج ٦ ص ٣٧

(يذكر أن مايدفع مقابل خروج الرجل عشرين ديناراً) .

(٢) محمد كرد علي : خطط الشام ، الجزء الثاني - صفحات ٥٨ - ٦٠ .

الفصل الثامن

بعض القبائل العربية مثل بني الحارث وبني مرة وبني سعد وبني زيد للاقامة في بيت المقدس ، كما قام بإنشاء عدد من المدارس (منها المدرسة الصالحية والمدرسة الميمونية) . ومن المهم أن نشير هنا إلى الخطوة الهامة التي اتخذها صلاح الدين والتي تدل على حنكته السياسية والعسكرية ، وذلك أنه قام بتجديد أسوار بيت المقدس وإنشاء عدد من الأبراج العسكرية في الجزء الواقع بين باب العمود وباب الخليل وهو الجزء المواجه للطريق العسكري الآتي من الساحل الفلسطيني على البحر الأبيض المتوسط من يافا خصوصاً ، وفي سبيل تحصين المدينة ضد الصليبيين قام بحفر عدد من الخنادق حول أسوارها (١) . وقد وقفنا في هذا الفصل على حقيقة هامة ، مؤداها أن النصر الذي حققه صلاح الدين على الصليبيين جاء لافتاً للنظر ، وذلك أنه اعتبره المؤرخون علامة هامة في التاريخ الاسلامي ، على أن سقوط بيت المقدس قد أزعج أوروبا وأفزع البابوية ، فنادت بحملة صليبية جديدة ، اشترك فيها ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا وفيليب أوغسطس ملك فرنسا وإمبراطوري المانيا وروما ، وقاموا بتجهيز أكبر حملة صليبية من حيث العدد والعدة لاستعادة القدس وهيبة أوروبا البابوية ، إلا أن جميع محاولات الصليبيين فشلت بقيادة ريتشارد قلب الأسد في أخذ بيت المقدس ، واضطر إلى فكرة المفاوضات التي انتهت بصلح الرملة في سبتمبر ١١٩٢ م ، وفيه اتفق الطرفان على احتفاظ الصليبيين بالمدن الساحلية الممتدة من عكا حتى يافا ، على أن تستمر مدينة بيت المقدس تحت حكم المسلمين ، مع السماح للحجاج المسيحيين بالحج إليها من طريق واحد هو طريق عكا ، وفي أعقاب ذلك رحل ريتشارد قلب الأسد من عكا إلى إنجلترا ، وهكذا أسدل الستار فترة من الزمن على الحملة الصليبية الثالثة ، التي فشلت في استعادة بيت المقدس من أيدي المسلمين (٢) .

وبعد موت صلاح الدين في دمشق عام ١١٩٣ م أخذت الجبهة الاسلامية تتداعى ، وانقسمت إمبراطوريته إلى عدة ممالك ، فأصبحت الشام وفلسطين من نصيب ابنه على الملقب بالملك الأفضل ، وحلب لابنه غازي الملقب بالملك الظاهر ، ومصر لابنه عثمان الملقب بالملك العزيز وبلاد ما بين النهرين لأخيه الملك العادل ، وكانت القدس من نصيب

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١٢ صفحات ٧٣ - ٧٤ .

وقال ابن الأثير مانصة : (ثم إن الحجارة عند العمالين ، فكان صلاح الدين رحمه الله ، يركب وينقل الحجارة بنفسه على دابته من الأمكنة البعيدة ، فيقتدي به العسكر ، فكان يجمع عنده من العمالين في اليوم الواحد ما يعملونه عدة أيام) .

(٢) محمد كرد علي : المرجع السابق ج ٢ صفحات ٦٥ - ٦٨ .

ستيفن رنسيان : المرجع السابق ج ٣ صفحات ١٣٨ - ١٤٣ .

الملك الأفضل والذي تنازل عنها بعد فترة قليلة لأخيه الملك العزيز حتى يضمن لها المال والرجال للدفاع عنها ضد الصليبيين^(١).

وفي عام ١٢٠٠ م تمكن الملك العادل من توحيد ممالك البيت الأيوبي في مصر والشام تحت سيطرته ، وأقام نفسه سلطاناً على الامبراطورية الأيوبية - اعترف به سائر الأمراء الأيوبيين - فترة امتدت من عام ١٢٠٠ وحتى ١٢١٨ م ، ونتيجة لقيام وتوحيد الامبراطورية الأيوبية ، قامت البابوية في أوروبا بتجهيز حملة صليبية جديدة ، إلا أنها لم تحقق هدفها الرئيسي ، إلا بعد تولي الملك الكامل القيادة بعد وفاة والده الملك العادل في دمشق عام ١٢١٨ م .

وبعد فشل الحملة الصليبية الخامسة على مصر ، تمكن فريدرىك من عقد اتفاق هدنة مع الملك الكامل في سبتمبر ١٢٢٨ م في عكا ، وتتضمن هذه الاتفاقية أن يتسلم الصليبيون بقيادة فردريك مدينة بيت المقدس وبيت لحم مع الإبقاء على طريق « عكا - القدس » في أيدي الصليبيين بما في ذلك يافا وعكا واللد والناصر ، على أن يبقى المسجد الأقصى وقبة الصخرة في أيدي المسلمين ، كل ذلك مقابل هدنة مدتها عشر سنوات لا تقوم خلالها أي حملات صليبية على مصر أو الشام ، وفي أعقاب هذا الاتفاق أنكر المسلمون في مصر والشام والعراق هذه الهدنة التي ترتب عليها التنازل عن بيت المقدس^(٢).

ولم تلبث الظروف أن تهيأت مرة أخرى لعودة بيت المقدس إلى أيدي المسلمين بعد وفاة السلطان الكامل في عام ١٢٣٩ وانقسمت الدولة الأيوبية للمرة الثالثة ، فقد أصبحت مصر من نصيب العادل الثاني ابن الكامل ، والشام من نصيب أخوه الأكبر الصالح أيوب - الذي استعان بالخوارزمية - واستمر الصراع بين الأخوة على قيام الدولة الأيوبية الموحدة ، وخلال تلك الاضطرابات حل وقت انتهاء الهدنة التي عقدها الكامل مع فريدرىك ، وفي تلك الأثناء جهزت البابوية حملة صليبية جديدة للإبقاء على القدس بعد نهاية الاتفاق ، فاستغل قادة الصليبيين الخلافات داخل الدولة الأيوبية واستولوا على القدس ، التي سرعان ما عادت إلى الملك الصالح أيوب والذي زارها وأمر بترميم أسوارها .

(١) ابن الأثير : المرجع السابق جـ ١٢ - صفحات ٩٦ - ٩٧ .

(٢) ابن الأثير : المرجع السابق - جـ ١٢ صفحات ٤٨٢ - ٤٨٣ .

محمد كرد علي : المرجع السابق صفحات ٨٤ - ٨٥ .

القدس في عهد المماليك

. ونتيجة لاستعادة المسلمين للقدس ، تجددت نداءات البابوية بحملة صليبية سابعة لاستعادة القدس بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا والتي بدأها بمهاجمة مصر ، ولكنه فشل فشلاً ذريعاً وأسر هناك .

ويشير بعض المؤرخين أن هذه الحملة السابعة اقترنت بروح دينية ، ولكن يبدو أن ما أصاب الحركة الصليبية من انحسار الشرف واشتداد التعصب وضعف الإدراك ، جعل قداساتها تحت عباءة التعصب الأعمى باسم الله ، فقدت فاعليتها وأصبح انهيار الحروب الصليبية أمراً واقعاً .

وبموت الصالح أيوب تولى زوجته شجرة الدر^(١) السلطنة في مصر في عام ١٢٥٠ م ، ويعتبر هذا التاريخ بداية قيام دولة المماليك فقد كانت أقرب إلى المماليك ، منها إلى الأيوبيين^(٢) .

على أنه في النصف الأول من القرن الثالث عشر برزت قوة المغول كقوة عسكرية كبيرة في آسيا ، حيث استولى جنكيز خان على الصين بين عامي ١٢١٠ ، ١٢١٦ م ، ثم ظهر هولاكو على رأس جيش المغول ليهدد المشرق العربي وخاصة بلاد ما بين النهرين والشام ومصر ، وذلك بعد أن انهزم لويس التاسع في مصر . ولكن الأمير سيف الدين قطز هزم هولاكو في معركة عين جالوت عام ١٢٦٠ م هزيمة منكرة كانت الأولى في تاريخ المغول ، وترتب على ذلك طردهم من الشام وبلاد ما بين النهرين^(٣) .

وكان الملك الظاهر بيبرس (المملوكي) قد زار بيت المقدس مرتين ، الأولى عام ١٢٦٢ م والثانية عام ١٢٦٥ م ، وفي أعقاب زيارته الأولى أمر بترميم كل ما تهدم من مسجد قبة الصخرة ، كما جدد قبة السلسلة وقام بزخرفتها .

وروى بعض المؤرخين أن الظاهر بيبرس كان شديد الإعجاب بدور صلاح الدين الأيوبي ، ومن ثم فقد حرص على محاكاته في أعماله الحربية التي اتسمت بالنجاح في معظمها ، مما جعل كثيراً من المؤرخين يعتبرونه المؤسس الحقيقي لدولة المماليك ، ومن أهم

(١) شجرة الدر كانت جارية مملوكة أرمنية الأصل وقد تولت الوصاية على الخلافة وأدارت شئون الدولة بنفسها وضربت لها العملة لا باسم شجرة الدر ولكن بكينيتها في الأسرة وهو « أم خليل » .

(٢) محمد كرد علي : المرجع السابق صفحات ١٢٦ - ١٢٨ .

د . عبد العظيم رمضان : المرجع السابق - ص ٥٢٥ .

(٣) زين الدين عمر بن الوردي : تنمة المختصر في أخبار البشر - ج ٢ صفحات ٣٤٢ - ٣٤٤ .

انتصاراته العسكرية التي حققها هي استيلاءه على إمارة انطاكية في مايو ١٢٦٨ م .
وبعد صراع على السلطة تولى السلطان المملوكي قلاوون السلطة في أواخر عام ١٢٧٩ م ليواجه الخطرين المغولي والصليبي في آن واحد ، على أنه في تلك الأثناء عقد اتفاق هدنة مع الصليبيين في عكا وطرابلس لمدة عشر سنوات ، وبذلك تفرغ لمواجهة الخطر المغولي ، ففي عام ١٢٨١ م ألحق الهزيمة بالجيش المغولي قرب حمص ، وفي عام ١٢٨٩ م انتهز السلطان قلاوون فرصة نقض الصليبيين لاتفاقية الهدنة وحاصر طرابلس ثم هاجمها واستولى عليها ، وبذلك انفتح له الطريق إلى عكا ولكنه توفي في عام ١٢٩٠ م .

ولم يلبث ابنه الأشرف خليل بن قلاوون أن تقدم لتنفيذ مخططات والده التي لم يكملها ، وفي سبيل تحقيق ذلك قام بتوحيد الجيوش الإسلامية في مصر والشام ولبنان ، وحاصروا عكا التي مالبت أن استسلمت في مايو ١٢٩١ بعد أن كانت عاصمة للصليبيين لمائة عام .

وفي أعقاب ذلك توالى سقوط المدن الساحلية التي كانت في أيدي الصليبيين ، ومن بينها صور وصيدا وبيروت ، وبذلك انتهى الوجود الصليبي في فلسطين والشام ، وحل محله فيما بعد الوجود الصهيوني بعد أن انتقلت إليه الفكرة الصليبية كما سنوضح ذلك في فصلنا التالي .

ومؤدى ذلك كله أننا لانجد لليهود أثراً بالمرّة على مدى مائتي عام أيام الحروب الصليبية بين المسلمين والمسيحيين في فلسطين ، فقد كانوا متأكدين بعدم وجود دور لهم هناك ومازالوا نظرتهم إلى القدس في هذا الوقت على أنها مكان للحج فقط ، ولم يكن عندهم أي مطامع للبقاء هناك .

ومن أبرز السمات التي تميز عصر المماليك في القدس اهتمامهم بها وترميم مقدراتها الإسلامية ، حتى أننا نجد سلاطينهم يكسون قبة الصخرة المقدسة من الخارج بالفيسفساء .

القدس في العصر العثماني (١٥١٦ - ١٩١٨)

من المعروف أن الحملات الصليبية قد جرى توجيهها لانقاذ العالم المسيحي الشرقي من المسلمين - على حد تعبير البابا أوربان الثاني - ، فلما انتهت الحروب الصليبية أضحي العالم المسيحي الشرقي خاضعاً لحكم المسلمين ؛ فحينما ألقى البابا أوربان الثاني نداءه

الفصل الثامن

الشهير في كلير مونت ، كان الأتراك فيما يبدو يوشكون على تهديد البوسفور ، ولما دعا البابا بيوس الثاني إلى قيام الحملة الصليبية الأخيرة ، كان الأتراك يجتازون نهر الدانوب . على أنه وفقاً للمنظور التاريخي ، ليست الحركة الصليبية بأكملها إلا فشلاً ذريعاً .

وكان السلطان سليم الأول قد فتح القدس عام ١٥١٦ م ، بعد أن تغلب على المماليك في معركة « مرج دابق » ، وقتل سلطانهم « قنصوة الغوري » وأحكم قبضته على فلسطين وبلاد الشام ثم زحف إلى مصر وفتحها ، وشنق طومان باي على باب زويلة ، وبذلك انتهى حكم المماليك لفلسطين بفتح العثمانيين للقدس .

وعندما تولى السلطان سليمان الأول الملقب بالقانوني^(١) (١٥٢٠ - ١٥٦٦ م) العرش ، قامت على عهده منشآت كثيرة في القدس نتيجة لاهتمامه بحركة البناء والتعمير ، فأمر بتجديد أسوار المدينة كما أنشأ برجاً بالقرب من باب الخليل ، وأصلح طبقة الفسيفساء التي كانت تغطي قبة الصخرة من الخارج بالإضافة إلى إصلاحه عمارتها ، كما جدد قبة السلسلة وأنشأ مسجد الطور في المكان الذي كانت تقوم عليه كنيسة الصعود . وبعد وفاة السلطان سليمان القانوني ، فقدت القدس أهميتها لدى السلاطين العثمانيين^(٢) ، وفي عهد السلطان مراد الرابع (١٦٢٢ م) كانت القدس تابعة لمصر ، وكانت أحوالها الأمنية مضطربة إلى حد كبير ، ثم انتقلت تبعيتها للشام ولكن اختلال الأمن استمر كذلك وظلت القدس خارج دائرة الاهتمام .

وفي عهد السلطان سليم الثالث (١٧٨٨ - ١٨٠٧ م) هاجم نابليون بونابرت العرش في عام ١٧٩٩ ، وكان قد خرج على رأس جيشه وسلك طريق صحراء سيناء ، ثم اتخذ الطريق الساحلي القديم إلى فلسطين واستولى على العريش وغزة والرملة ويافا ، ثم واصل جيش نابليون تقدمه إلى الشمال على طول سهل مرج ابن عامر ليحقق هدفه الرئيسي وهو الاستيلاء على عكا عاصمة الحكم العثماني في فلسطين .

وفي أثناء حصار عكا أرسل نابليون عدة وحدات من جيشه إلى صفد وإلى جسر بنات يعقوب على نهر الأردن الشمالي قاصداً قطع الامدادات التي يحتل أن يرسلها العثمانيون إلى دمشق ، وعندما علم الفرنسيون أن القوات العثمانية نجحت مع ذلك في عبور نهر الأردن من موضع آخر واخترقت وادي مرج بن عامر ، تقدم جزء من جيش نابليون لمواجهة الجنود المدافعين عن فلسطين تحت قيادة عثمانية ؛ ولكن الجيش الفرنسي هُزم في هذه

(١) وينسب إليه ترميم حائط المبكى وذلك بإزالة الأتربة والقمامة من أسفله ، ورفع الحائط ستة أسطر من الحجارة في أعلاه وهي تبدو واضحة للعين حتى الآن ، لأن الحجارة المستعملة أصغر بكثير من بقية الحائط الذي يرجع إلى عصر هرودس أي إلى القرن الأول الميلادي .

(٢) محمد كرد علي : المرجع السابق ج ٢ صفحات ٢١٨ - ٢١٩ .

المواجهة وبالتالي فشل في فك حصار عكا ، ولذلك اضطر نابليون آخر الأمر إلى التراجع عائداً إلى مصر سالكاً نفس الطريق الذي سلكه من قبل^(١) ؛ على أن اهتمام أوروبا بفلسطين قد بدأ يتبلور منذ ذلك التاريخ .

وفي عهد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩ م) أمر بتذهيب قبة الصخرة وترميمها من الخارج .

وعندما أعلن محمد علي باشا - والي مصر - العصيان على تركيا في عهد السلطان محمود الثاني ، أرسل جيشاً بقيادة ابنه ابراهيم باشا إلى فلسطين والشام ، لم يلبث أن احتل بيت المقدس في عام ١٨٣١ م ومعظم مدن فلسطين . ولكنه واجه مقاومة شديدة من أهلها الذين أعلنوا الثورة في مواجهة ابراهيم باشا وجيشه ، إلا أنه قمع هذه الثورة وقد وقفت بعض الدول الأوروبية في وجه ابراهيم باشا وفتوحاته في فلسطين والشام وبلاد الأناضول ، مما اضطره إلى الانسحاب من فلسطين بعد عشر سنوات . وهكذا استرد السلطان عبد المجيد القدس وفلسطين في عام ١٨٤١ م بمساعدة انجلترا والنمسا وظلت تحت الحكم العثماني حتى الحرب العالمية الأولى^(٢) .

وأغلب الظن أن اليهود حاولوا استصدار أمر من محمد علي باشا للسماح لهم بشراء وتملك الأراضي الزراعية ، والعقارات وإنشاء بعض الصناعات الخفيفة ، ولكن أعضاء مجلس القدس الشريف اعترضوا على هذا الطلب - على اعتبار أنه طلب لا مثيل له من قبل - فأصدر محمد علي موافقته على ما جاء في قرار مجلس القدس الشريف ولم يسمح لليهود بعد ذلك بالبيع أو الشراء للعقارات والأراضي الزراعية .

ويبدو أن تعداد سكان القدس في عهد السلطان عبد المجيد كان حوالي عشرين ألفاً معظمهم من المسلمين ، وكان السلطان قد أمر بتجديد عمارة الحرم القدسي .

وفي عهد السلطان عبد العزيز (١٨٦٠ - ١٨٧٤ م) انفصلت القدس عن تبعيتها للشام وأصبحت مستقلة تتبع الباب العالي رأساً ، كما أنشئ في عهده طريق القدس يافا وطريق القدس نابلس ، ورصفت شوارع القدس وأسواقها ، كما قام بتجديدات في المسجد العمري .

وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٨ م) نشبت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا (١٨٧٧ م) ، وفي أعقابها صدر قانون (١٨٨٢ م) يحرم هجرة اليهود إلى فلسطين وشراءهم الأراضي الزراعية والعقارات هناك ، ثم صدر تعديل لهذا القانون

(١) جودت باشا : تاريخ استنبول - ج ٧ - ص ٢١ (١٣٠٩ هـ) .

(٢) محمد فريد : تاريخ الدولة العثمانية ، تحقيق د . احسان حقي - صفحات ٤٥٠ - ٤٥١ .

يسمح لليهود بدخول فلسطين للحج وإقامة طقوسهم الدينية ، على ألا يبقوا فيها أكثر من ثلاثة أشهر ، وبعد انعقاد المؤتمر التأسيسي لمنظمة الصهيونية العالمية ، في بازل سنة (١٨٩٧ م) برئاسة تيودور هرتسل ، - الذي رسم خريطة لإسرائيل - والذي في أعقابه عُرض على السلطان عبد الحميد الثاني ، أن تسدد ديون الدولة العثمانية الباهظة - بسبب الحرب مع روسيا - ويُدفع إلى جيب السلطان خمسة ملايين من الجنيهات ، مقابل السماح لليهود بوطن في فلسطين ، ولما اعتذر بأنه لا يملك المساومة على فلسطين ، وليست من خاص أملاكه في صفقة بيع وشراء ، تقرر عزله واسقاط الخلافة الإسلامية ، وعلى إثر ذلك تحالفت الصهيونية العالمية مع بعض الدول الغربية على خلع السلطان عبد الحميد وإبعاده إلى سلانيك^(١) .

وخلفه السلطان محمد رشاد الخامس (١٩٠٨ م) ، وعلى عهده قامت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٧) وانضمت الدولة العثمانية إلى جانب الألمان ، وبنهاية الحرب فقدت تركيا معظم ماكان لديها ، بما في ذلك القدس الشريف التي احتلها الانجليز في التاسع من شهر ديسمبر ١٩١٧ م بقيادة السير «ادموند اللّنبّي» - بعد أن ظلت في أيدي العثمانيين أربعة قرون - فدخلت اسماً (فلسطين) تحت الحماية البريطانية ، حتى تسلمتها الصهيونية العالمية . وكان اليهودي المتطرف «زئيف جابوتنسكي» قد اتفق على إنشاء كتبية من المتطوعين اليهود تحارب العرب والأتراك تحت الراية البريطانية ، وصدر لها الأمر بالتحرك في اتجاه فلسطين - «في نفس وقت صدور تصريح بلفور وبالطبع فهذا التنسيق ليس مجرد صدفة» - مع الجيش البريطاني الزاحف عليها بقيادة الجنرال (السير) ادموند اللّنبّي ، وفي فبراير عام ١٩١٨ م وصلت مقدمة الكتبية اليهودية إلى فلسطين ، وما أن لمست أقدامهم أرض فلسطين حتى رفعوا الراية الصهيونية ذات النجمة السداسية وعليها فقرة من المزمور ١٣٧ - من المزامير المنسوبة زورا إلى داود - «إن نسيثك يا أورشليم تُنسى يميني» . وكان هرتسل قد جعله شعاراً للصهيونية .

(١) ورد رفض السلطان عبد الحميد الثاني في نص رسالة بعث بها السلطان إلى مرشده للطريقة الصوفية ، وهذه الرسالة موجودة ضمن الوثائق العثمانية القيمة في مكتبة مدينة شقراء والتابعة لدارة الملك عبد العزيز بالرياض .

الفصل التاسع



وعند بلقور وقيام اسرائيل



وعد بلفور وقيام إسرائيل

هرتسل والصهيونية السياسية

لعل أول دعوة علنية لإنشاء وطن قومي لليهود ، كانت تلك التي أفصح عنها السير هنري فنش عام ١٦١٦ في كتابه « نداء اليهود » والذي نشر في انجلترا في تلك الأثناء ، وبعد مرور حوالي قرنين من الزمان ، بدأت أصدااء هذه الدعوة إلى الظهور مرة أخرى ، حيث ظهر اتجاهان فكريان متعارضان لحل المسألة اليهودية ، الاتجاه الأول فقد حمل لواءه موسى مندلسون (١٧٢٩ - ١٧٨٦ م) ، حيث نادى باندماج اليهود مع المجتمعات التي يعيشون فيها في أوروبا . أما الاتجاه الثاني فكان على رأسه تيودور هرتسل (١٨٦٠ - ١٩٠٤ م) ، والذي يدعو فيه إلى الصهيونية السياسية^(١) .

فإذا عدنا إلى القرن الماضي نرى أن الكثرة الغالبة من اليهود قد وقعت تحت تأثير فكرة القوميات التي سادت الفكر السياسي في أوروبا حينئذ ، فاعتقدوا أن الروابط الدينية والعنصرية لديهم تصلح لتكون أساساً لقومية يهودية تمنح الأمة اليهودية - حسب ادعاءاتهم - حقوقاً لتكوين دولة يهودية .

واستغلت الحركة الصهيونية الأمانى الروحية لليهود في العودة إلى أرض الأجداد - على حد تعبيرها - ، هذا بالإضافة إلى أن الاتجاهات السياسية التي سادت القرن الماضي ، قد ساعدتهم على الاعلان عن هدفهم باعتبار فلسطين وطناً لهم يهاجر إليه يهود العالم ، غير أن الهجرة في أول الأمر كانت محدودة جداً ، حيث فضل يهود أوروبا الهجرة إلى الولايات المتحدة وأستراليا والأرجنتين .

ويرى البعض أن ظهور الصهيونية السياسية كان انعكاساً مباشراً لأحداث الاضطهاد التي تمت في روسيا ضد الجماعات اليهودية على إثر اغتيال قيصر روسيا الاسكندر الثاني في

(١) وكان مناحيم بيغن قد دلل على روح الصهيونية السياسية بقوله «استحالة التفريق بين المعادة

لاسرائيل والمعادة للصهيونية ، والمعادة للسامية ، وقد اعتبرت المنظمات الصهيونية العالمية قول

بيغن هذا على أنه شعار ، فقامت بترديده على أسباع العالم .

الفصل التاسع

عام ١٨٨١ م ، فقد سرت شائعة بين اليهود مؤداها أن هذه المذابح والاضطهادات قد تمت تحت علم وبصر الحكومة الروسية . وفي أعقاب ذلك هاجرت مجموعة من اليهود إلى أوروبا الغربية والولايات المتحدة في الفترة الممتدة من عام ١٨٨١ إلى عام ١٩١٤ م . ومن الملفت للنظر أن بداية تحليل ظاهرة المعاداة للسامية كانت في أعقاب أحداث روسيا ، وكان « ليونسكر »^(١) (١٨٢١ - ١٨٩١) أول المفكرين الصهاينة الذين فسروا هذه الظاهرة على أنها ظاهرة مرضية ، فالمعاداة للسامية في رأي ليونسكر هي كراهية الغريب والمقصود هو كراهية اليهود ، فهم عنصر غير مرغوب فيه ، وهم أجاناب في المجتمعات التي يعيشون فيها ولا يمكن اندماجهم فيها لأنهم فضلوا حياة العزلة التي أطلق عليها اليهود اسم « جيتو »^(٢) .

وبعد أن تتبع « ليونسكر » مسار المعاداة للسامية وأسبابها ، وصل إلى نتيجة مؤداها تهجير اليهود من المجتمعات التي يعيشون فيها إلى إقليم يملكونه ليكونوا أمه يهودية ، ولكنه لم يحدد أرض فلسطين بصفة خاصة ؛ هذا بالإضافة إلى اعلانه عن مساواة اليهود مع غيرهم من الشعوب ، وبذلك فسّر تأثره بما أعطته الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ لليهود من الحقوق المنصوص عليها في اعلان حقوق الانسان ، وجعلهم مواطنين من الدرجة الأولى ، بل إنها ألغت ذكر الدين في أية وثيقة رسمية حتى الآن ، لتسهيل للأقليات الاندماج في المجتمع .

وقد ضمّن ليونسكر مقاله الشهير « التحرر الذاتي » نداء من يهودي روسي إلى إخوته ، آراءه عن الصهيونية ، والتي من بينها أن المشكلة اليهودية عملية وليست نظرية وهي في حاجة إلى حل حاسم كما اتهم دول العالم بأنها لا تطبق مبدأ المساواة في معاملتها لليهود ، بهم غير قابلين للاندماج في الأمم التي يعيشون بين ظهرانيها ، وهذه الظاهرة من مسلمات نصرين واللاسامين .

يونسكر : طبيب روسي يهودي اعتنق الصهيونية السياسية وأصبح زعيماً لجماعة « أحباء سيمون » ، وفي أعقاب أحداث روسيا عام ١٨٨١ م طالب بإعادة توطين اليهود في وطن جديد ، سم بدأ في التجول في العواصم الأوروبية للدعوة لفكرته الخاصة ، فقابل زعماء الاليانس وبعض المفكرين من اليهود ، ولكنه قوبل بمعارضة منهم ، وبعد ذلك كتب مقاله الشهير « التحرر الذاتي » .

(٢) تستخدم كلمة « جيتو » للدلالة على أحياء اليهود الخاصة في أوروبا ، وأول حي يهودي أطلق عليه هذا المصطلح كان في البندقية عام ١٥١٦ م ، ومن المرجح أن كلمة جيتو مشتقة من كلمة « بورجيتو » الإيطالية التي تعني جزءاً صغيراً من مدينة .

وهكذا يتضح لنا أن ليوبنسكير هو الذي وضع المبادئ الأولى للفكر الصهيوني السياسي ، كما أنه وضع منهاجاً واضحاً لتنفيذ فكرة إنشاء وطن قومي ، وقد اعتبره « تيودور هرتسل » رائده في الفكر الصهيوني ، حيث قام بتحويل الحركة الصهيونية من حركة فكرية إلى حركة سياسية في أعقاب قضية « دريفوس »^(١) . فهرتسل لا يعتبر المشكلة اليهودية مشكلة اجتماعية أو دينية - حتى وإن أخذت هذا الطابع في بعض الأحيان - بل المشكلة من وجهة نظره مشكلة قومية يجب حلها كمسألة سياسية على المستوى الدولي ، واختار فلسطين كأفضل مكان لغرس الدولة اليهودية المزعومة ، واضعاً في اعتباره تراثاً دينياً لم يكن هو شخصياً يؤمن به .

وقد نجح هرتسل في أن يصور هذه المسألة الخاصة على أنها المسألة العامة التي يكابدها اليهود ، وقد عكف في فينا منذ عام ١٨٨٢ م على تشكيل مذهبها حتى انتهى من إرساء منهجها عام ١٨٩٦ م في كتابه الشهير « الدولة اليهودية » ، وفيه دعا إلى عقد اجتماع يهودي لوضع سياسة صهيونية منظمة ، كما جاء في كتابه أنهم شعب يرفض الاندماج الذي لم يكن مسموحاً به آنذاك في أوروبا الشرقية وفي روسيا على وجه الخصوص ، إلا أنه تحقق وبصورة مكثفة في أوروبا الغربية وخاصة في فرنسا ولذلك فالعلاج الوحيد في نظره لحل مشكلتهم ، هو إقامة دولة يهودية يجتمع فيها كل يهود العالم وليس كمركز روحاني فقط للعقيدة والثقافة .

غير أن هرتسل رشح فلسطين كأنسب مكان يصلح لزراعة الدولة اليهودية فيه من منطق استقطاب عشاق صهيون ، واجتمع المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال بسويسرا في ٢٩ اغسطس ١٨٩٧ م ، وانتهى المؤتمر إلى أن تحقيق أهداف الصهيونية ، يتلخص في إنشاء وطن لليهود يتم الاعتراف به من الناحيتين الرسمية والقانونية واستقر رأي المؤتمر على أن يكون هذا الوطن هو فلسطين ، ثم قرر المؤتمر الخطوات التالية تحقيقاً لهذا الغرض : -

- ١ - اتباع الوسائل العلمية الفعالة لإنشاء مستعمرات زراعية وعمرانية لتستوعب عمال اليهود من الزراعيين والصناعيين .

- ٢ - تنظيم جماعات يهودية من خلال المنشآت المحلية والدولية لتحقيق هذا الغرض ، بحيث تتواءم مع قوانين الدول التي يعيش اليهود بين ظهرانيها .

- ٣ - تقوية الروح القومية اليهودية وازكاء الحماس في صدورهم .

(١) هو الضابط اليهودي الفرنسي الذي اتهم بالخيانة عام ١٨٩٤ م لنقله أسراراً عسكرية إلى الألمان ، وتمت محاكمته أمام مجلس عسكري وقد أقر المجلس إدانته وتجريده من رتبته العسكرية ، وشاءت الظروف أن تثبت براءته بعد ذلك .

الفصل التاسع

٤ - محاولة الاستفادة من تنافس الدول (الاستعمارية) ومساعدتها في تحقيق أهداف الصهيونية .

ومما يجدر ذكره أن اليهود تحاشوا في مؤتمر بال وكذلك في المؤتمرات اللاحقة حتى عام ١٩٤٢ ، استعمال تعبير الدولة اليهودية مفضلين عليها كلمة وطن منعاً لاثارة حساسيات بعض الدول الأوروبية وللشعور العربي بصفة خاصة ، وإن مهدوا سراً لتحقيق هذا الهدف .

وسعت الصهيونية سعياً حثيثاً للحصول على تأييد الحكومة العثمانية بوصفها صاحبة السلطة الشرعية على فلسطين لتسمح بالهجرة اليهودية إليها ، غير أن السلطان عبد الحميد الثاني رفض فكرة الاستيطان في فلسطين . وفي هذه الأثناء عرضت بريطانيا على هرتسل عام ١٩٠٣ م فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في أوغندا نظراً لاعتدال مناخها وغناها ، غير أن هرتسل رفض قائلاً مانصه : « إن أفريقيا ليست فلسطين ولا يمكن أن تحمل محل صهيون » ، كما رفض المؤتمر الصهيوني السابع عام ١٩٠٥ هذا العرض فسحبته بريطانيا .

وعد بلفور

وعندما بدأت الحرب العالمية الأولى ، اتفقت الدول الكبرى على اقتسام أملاك السلطان العثماني ، ووجدت الصهيونية فرصتها في الوصول إلى أرض الميعاد ، فعمل ايبم وايزمان^(١) على توثيق علاقاته بكبار ساسة انجلترا ، ونجح وايزمان بمساعدة يقه « بلفور » الذي أصبح وزيراً للخارجية بريطانيا ، على وعد يحقق التحالف بين انيا والصهيونية العالمية ضد حركة القومية العربية ، وهو ما عرف فيما بعد باسم « وعد » والذي صدر عن وزارة الخارجية البريطانية في ٢٠ نوفمبر ١٩١٧ م مانصه : « إن با تعد بالنظر بعين العطف والرعاية إلى أمل الصهيونية في إنشاء وطن قومي لليهود سطين ، وأن بريطانيا ستستخدم كل ما في وسعها لتحقيق هذا الأمل ، على ألا ينتج ذلك أي أضرار أو تعريض للحقوق المدنية والدينية للهيئات غير اليهودية الموجودة في سطين ، أو أن يؤثر ذلك على الحقوق أو الأوضاع السياسية لليهود في البلاد الأخرى » .

وارتكازاً على تلك الرسالة وماورد فيها : نقول إنه مما يثير في النفس ريبة أن المقصود هنا

(١) حايم وايزمان (١٨٦٤ - ١٩٥٢) : زعيم صهيون وعالم كيميائي وأول رئيس لإسرائيل في مايو

١٩٤٨ وهو من أصل روسي .

بالهيئات غير اليهودية هي عرب فلسطين ، وقد ورد ذكرهم بطريقة تحمل على الظن أنهم لا يكونون الكثرة الغالبة ، وواقع الأمر أن العرب الذين لم ترد الإشارة إليهم بصريح العبارة كانوا يكونون ٩٢٪ من عدد سكان فلسطين . وإذا نظرنا نظرة فاحصة إلى الفقرة الأخيرة من التصريح « أو أن يؤثر ذلك على الحقوق والأوضاع السياسية لليهود في البلاد الأخرى » ؛ يتضح لنا أن هذا النص يؤكد الروابط القانونية والسياسية بين اليهود والدول التي يعيشون فيها ، ويعطي لهذه الدول حرية السماح لمواطنيها من اليهود بالهجرة إلى فلسطين .

وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى ، اتفق الحلفاء في ٢٥ أبريل ١٩٢٠ على وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، وتقدموا بمشروع وثيقة الانتداب إلى عصبة الأمم دون أن يكون هناك رأي للشعب العربي في فلسطين ، وهذا مايتعارض مع ضروريات احترام حرية وسلامة الاقليم الذي وضع تحت الانتداب ، وجاء في هذه الوثيقة « . . . وحيث أن دول الحلفاء (الكبرى) وافقت أيضاً على أن تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن تنفيذ التصريح الذي صرحت به حكومة ملك بريطانيا في ٢٠ نوفمبر ١٩١٧ للشعب اليهودي ، مع التأكيد بأن لا يؤثر ذلك على الحقوق أو المركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى . . . » وحيث أن ذلك اعتراف بالصلة التاريخية التي تربط الشعب اليهودي في فلسطين ، والدوافع وراء إعادة إنشاء وطنهم اليهودي القومي في تلك البلاد . . . » .

ومن المهم هنا أن نوضح كيف ضمنت الحكومة البريطانية تصريح بلفور في وثيقة الانتداب إلى عصبة الأمم لتضفي على وعد بلفور الصفة الشرعية التي يفتقدها ، وهو عمل باطل من الناحية القانونية ، فوعد بلفور صادر في صورة خطاب إلى البارون « دي روتشيلد » بصفته الشخصية كفرد عادي ليس له أي كيان دولي .

وعلى هذا النحو فقد سهّلت وثيقة الانتداب ، إهدار حقوق شعب فلسطين وسمحت للوكالة اليهودية^(١) كهيئة عمومية رسمية من الناحية القانونية في إدارة شئون فلسطين ،

(١) الوكالة اليهودية : واسمها الحقيقي المنظمة الصهيونية العالمية ، وكانت تعتبر الساعد الأيمن للحركة الصهيونية ، وقامت محاولات عديدة لتوسيع قاعدتها لتضم معظم يهود العالم ، فقام حايم وايزمان بالتفاوض مع كبار اليهود من غير الصهاينة لإنشاء وكالة يهودية موسعة حتى تمثل كافة يهود العالم . وكانت المهمة الرئيسية للوكالة اليهودية أيام الانتداب هي تمثيل الحركة الصهيونية ويهود العالم أمام سلطات الانتداب وعصبة الأمم ، وقد تطورت الوكالة حتى أصبحت مايشبه حكومة داخل حكومة الانتداب لها جيشها (الهاجاناة والبلماخ) وجهازها الإداري وميزانيتها المستقلة .

الفصل التاسع

ومن اللافت للنظر أن بريطانيا الدولة المنتدبة لم تحقق ولو جزءاً يسيراً مما ورد في نص وثيقة الانتداب من حماية لحقوق الشعب الفلسطيني . وهكذا سائر الانتداب البريطاني الصهيونية في تدعيمها للهجرة اليهودية إلى فلسطين ، ومن الجلي أن حركة الهجرة إلى فلسطين ظلت ضعيفة جداً رغم دعاية الصهيونية السياسية ، ففي عام ١٨٤٥ م لم يكن في فلسطين سوى ١٢ ألف يهودي من أصل مجموع السكان البالغ عددهم ٣٥٠ ألف ، وفي عام ١٨٨٠ م بلغ عدد اليهود ٢٥ ألفاً من أصل مجموع السكان البالغ عددهم ٥٠٠ ألف ، ثم أتت حملات الاضطهاد في روسيا عام ١٨٨٢ م بموجة جديدة تبعها موجات من يهود بولندا ورومانيا ، حتى أصبح هناك خمسون ألف يهودي في فلسطين في نهاية القرن التاسع عشر ، وبعد صدور وعد بلفور بعامين لم يكن هناك سوى ٦٥ ألف يهودي (أي حوالي ٧٪ من مجموع سكان فلسطين) ، ولكن خلال اثني عشر عاماً من بدء الانتداب البريطاني (١٩٢٠ - ١٩٣٢) هاجر إلى فلسطين ما يقرب من ١١٨ ألف يهودي ، وهذا يوضح مدى مساعدة سلطات الانتداب للصهيونية على تدعيم أركانها في فلسطين .

على أن الصهيونية قد جندت امكانياتها في جميع أنحاء العالم وفي الولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص للضغط على بريطانيا فوجئت مذكرة في ٢ نوفمبر ١٩٤٢ عن طريق نواب وشيوخ الكونجرس الأمريكي مطالبين روزفلت الرئيس الأمريكي بتبني قضية اليهود - على حد تعبيرهم - جاء فيها « إن الغاية من وعد بلفور هو فتح أبواب فلسطين للجماعات اليهودية التي لا مأوى لها والتمهيد لإقامة دولة يهودية فيها » . وفي أعقاب ذلك وقفت الصهيونية وراء ترومان في حملته الانتخابية للرئاسة الأمريكية ، وبعد نجاحه قام بالضغط على بريطانيا لإنشاء جيش يهودي تم تجهيزه عام ١٩٤٤ ، وذلك بعد أن أعدت الوكالة اليهودية مراكز في كثير من الدول لتدريب اليهود وحشدت لهم الأسلحة والمعدات ، وبعد ذلك أبحروا إلى الساحل الفلسطيني .

وعلى هذا النحو نظر الغرب إلى المشكلة عام ١٩٤٧ على أنها مشكلة ستائة ألف يهودي تجمعوا في فلسطين أثناء فترة الانتداب ، وموضع الدهشة هنا هو أنهم يريدون إقامة دولة على أرض يمتلكها مليون وربع مليون عربي منذ زمن بعيد ، ولذلك حشد اليهود طاقاتهم المالية والعسكرية والإدارية بمساندة الصهيونية العالمية لتنفيذ هذا المخطط ، ومن ثم أصبحت الوكالة اليهودية الوسيلة المؤقتة لتنظيم الأجهزة الحكومية وتشكيل الوحدات العسكرية المختلفة من العصابات اليهودية المتعددة ، والتي من بينها عصابة

الارجون^(١) . وشتين^(٢) وقوات البالمخ^(٣) والهاجاناة^(٤) التي اندمجت فيما يسمى بجيش الدفاع الاسرائيلي وذلك عقب اعلان قيام اسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨ م . وهكذا صبت هذه العصابات كل حقدتها في القيام بعمليات ارهابية ضد العرب والأراضي المخصصة لهم ضمن قرار التقسيم .

قرار التقسيم

أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٦ نوفمبر ١٩٤٧ قرارها الذي تضمن التوصية بتقسيم فلسطين وانهاء الانتداب البريطاني على فلسطين ، ومن اللافت للنظر أن الجمعية العامة قد تجاهلت بقرارها هذا شعب فلسطين في تقرير مصيره ، بل الأمر أبعد من ذلك مدى ، فهو لا يقتصر على ذلك وإنما جاوزه إلى إعطاء اليهود ٥٦٪ من أراضي شعب فلسطين ، في حين أنهم كانوا يمثلون فقط ٥٦٪ قبل التقسيم ، وكان الأجدي أن

(١) الأرجون : هي الكلمة الأولى من المصطلح العبري (ارجون تسفائي لثومي بإرتس إسرائيل) ، بمعنى المنظمة العسكرية القومية في أرض إسرائيل ، وهي منظمة يهودية مسلحة أنشأت عام ١٩٣١ وكان زعيمها الروحي « زئيف جابوتنسكي » ، وقامت المنظمة بدور رئيسي في تهجير اليهود إلى فلسطين ، بالإضافة إلى القيام بأعمال الارهاب ضد العرب بغرض طردهم من أراضيهم وأهمها مذبحه ديرياسين التي قادها مناحيم بيغن نفسه ، بالتعاون مع الهاجاناة ثم أدمجت في الجيش الاسرائيلي بعد قيام اسرائيل في عام ١٩٤٨ م .

(٢) شتين : منظمة عسكرية للارهاب اسمها الأصلي (لوهي حيروت اسرائيل) ومعناها المحاربون من أجل اسرائيل ، ثم أصبحت تعرف باسم شتين نسبة إلى مؤسسها ابراهام شتين (١٩٠٧ - ١٩٤١) ، وقد انشقت كفرع من الارجون عام ١٩٤٠ م ، وهي تمثل الجناح الصهيوني المتطرف وأدمجت في جيش الدفاع الاسرائيلي في عام ١٩٤٨ م .

(٣) البالمخ : اختصار للمصطلح العبري (بلوجوت ماحاتس) بمعنى سرايا الصاعقة ، وقام البالمخ عام ١٩٤١ ليكون القوة الضاربة للهاجاناة والغرض من إنشائها القيام بالمهام العسكرية باللغة الصموية ، وكان من مهامها تأمين عمليات هجرة اليهود إلى فلسطين ، وهي تمثل الجناح اليساري اليهودي ومن أبرز قادتها ألون واسحاق راين وبارليف .

(٤) الهاجاناة : كلمة عبرية تعني الدفاع ، وهي منظمة صهيونية عسكرية استيطانية تم قيامها عام ١٩٢١ ، وقد كان هناك تنسيق سري بينها وبين الارجون أعلنه مناحيم بيغن مؤخراً . قامت الهاجاناة بأعمال ارهابية ضد عرب فلسطين ، كما شاركت في بناء المستوطنات اليهودية وتعاونت مع سلطات الانتداب البريطاني وكانت أهم المؤسسات العسكرية اليهودية التي تحولت إلى جيش الدفاع الاسرائيلي في أعقاب قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ م .

تأخذ الجمعية العامة الأمر مأخذ الجد وتقرر المنظمة الدولية استقلال فلسطين وقبولها عضواً بها أسوة بما حدث لسورية ولبنان والعراق كأقاليم كانت تحت الانتداب .

وما أن أعلنت بريطانيا انتهاء انتدابها على فلسطين في ١٥ مايو ١٩٤٨ ، حتى أعلن بن جوريون قيام دولة يهودية في فلسطين - على حد قوله - باسم اسرائيل ، وفي بداية الأمر عملت الصهيونية على تكوين دولة هي في واقع الأمر امتداد عنصري في قلب الوطن العربي ، وبالتالي فهي إحدى صور الاستعمار الاستيطاني .

ولابد من إضافة واجبة ، دفعاً لسوء الفهم ، وتلك الاضافة هي أنه من الخطأ القول بأن نشوء دولة صهيونية قد تم على أيدي منظمة الأمم المتحدة ، بل قام على سلسلة من الأمور الواقعة نفذتها بإحكام عصابات الأرجون والهاجاناة وشترن .

فإذا نظرنا إلى محاور الاهتمام الأساسية في السياسة التي اتبعتها الصهيونية ، نجد أن التشابه واضح بينها وبين مارود في كتاب « كفاحي » لأدولف هتلر ونصه « يجب أن توفر السياسة العنصرية للدولة أسباب المعيشة على هذا الكوكب للعنصر الذي تشمله الدولة ، وذلك بإقامة تنظيم محكم مستمر ومتفق مع القوانين الطبيعية بين زيادة عدد السكان من جهة وبين اتساع رقعة الاقليم من جهة أخرى » .

فإذا كان هتلر قد نادى بنظرية نقاوة الدم الألماني ، فإن الصهيونية ترى أيضاً أن النقاوة العنصرية هي الطريق الوحيد لخلاص يهود العالم وتحقيق وحدتهم القومية .

ومن ذلك يتضح لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن هناك مخططاً صهيونياً للتوسع كل عشر سنوات ، فالصهيونية في طمع جغرافي مستمر وتوسع استيطاني متزايد ، وهو حتمية ملازمة للوجود الصهيوني في المنطقة وذلك حتى تستوعب اسرائيل ٢٠ مليوناً من اليهود .

تقييم للوجود اليهودي في فلسطين لأ/ الروابط الروحية والدينية

وهكذا أسدل الستار على مسلسل الحقوق التاريخية بخاتمة من الأراجيف والدماء ، فأولى الحجج التي تستند عليها الصهيونية ، هي الدعوة الخاصة بالروابط التي تربط بين اليهود وفلسطين على أساس الوعد الإلهي لبني اسرائيل في أرض كنعان ، فالصهيونية السياسية تقرأ التوراة بروح قبلية متعصبة ونزعة قومية عنصرية ، لتستخرج من نصوصها ما تبرره ادعاءاتها من إقامة الدولة الصهيونية على أرض فلسطين العربية ؛ وارتكازاً على تلك القراءة غير الواعية فإن الصهيونية تقيم وزناً لسته وثلاثين عاماً مضت على قيام

اسرائيل وتهدر ثلاثة آلاف عام عاشها العرب على أرض فلسطين .

ثانياً/ الحقوق التاريخية

ومؤداها أن اليهود كانت لهم دولة في فلسطين فترة من الزمن ازدهرت في عهد داود وابنه سليمان ، وحقيقة الأمر أن الاسرائيليين عندما تسللوا إلى فلسطين بعد الخروج من مصر بقيادة موسى عليه السلام - الذي توفي على جبل بنو على مشارف فلسطين - ثم تولى يوشع بن نون قيادتهم ، وجدوا اليوسيين والأدوميين والمؤابيين والعمونيين والكنعانيين وغيرهم وهؤلاء جميعهم عرب ، أي أن العرق السامي عربي في أصوله الجغرافية ، ثم غدت مسيحية في عهد الرومان ، ولكنها ظلت سامية من حيث العرق والسلالة البشرية ثم أصبحت اسلامية من حيث الدين وظلت عربية سامية من حيث التكوين والسلالة . والكثرة الغالبة من اليهود الذين وجدوا خارج فلسطين في العصور الحديثة لا يمتون بصلة ليهود فلسطين القدماء ، فهم ينتمون إلى أجناس غير سامية اعتنقت اليهودية في فترات متباعدة عبر التاريخ ، وكذلك كان بين اليهود الذين طردهم الملك الكاثوليكي فرديناند من اسبانيا كثير من المواطنين الأسبان الذين تهوّدوا وانتشروا في ايطاليا وفرنسا والشرق الأوسط ، ويهود طائفة الاشكينا زوهم يهود شرق أوروبا ووسطها هم أحفاد الخزر (١) الذين عاشوا في جنوب روسيا واعتنقوا الديانة اليهودية في القرنين السابع والثامن الميلاديين .

وعلى هذا النحو فالقول بوجود تاريخ مشترك لليهود قول يفنده الواقع ، فقد عاش اليهود خلال الألفي سنة الماضية منفين منتشرين داخل بلدان مختلفة ، ولم تكن لهم سيادة

(١) كان الخزر - قبل هجرتهم من آسيا وبعد استقرارهم في جنوب روسيا - شعباً وثنياً حتى القرن السابع الميلادي ، وكونوا مملكة الخزر ، ولم يعتنق الخزر الديانة اليهودية إلا في نهاية القرن السابع ، أي بعد نزول الرسالة على موسى عليه السلام بأكثر من ألفي عام . وقد تنبه الروس أهل البلاد الأصليين إلى خطر هذا الوجود الخزري في القرن العاشر الميلادي ، فشنوا عليهم حروباً استمرت حتى منتصف القرن الثالث عشر ، وعندما نجح الروس في طرد الخزر من أراضيهم انتشروا في دول شرق أوروبا .

وعلى ذلك فإن الصهاينة يزيفون للعالم أن اليهود من شرق أوروبا بولنديين ولتوانيين وأوكرانيين وروساً ورومانيين ، لهم حق شرعي في أن يعودوا إلى فلسطين بما يوحي بأن هذه العودة هي إلى وطنهم الأصلي وهو وطن لم يكن للخزر به على امتداد حياتهم أية صلة تاريخية أو عرقية .

في مملكة خاصة إلا ما يقرب من سبعين عاماً (من حوالي عام ١٠٠٠ ق.م حتى ٩٣٣ ق.م) هي فترة حكم داود وسليمان في القدس ، وحتى بعد انقسام مملكة سليمان إلى مملكتين انصهرت اسرائيل في قلب الامبراطورية الآشورية حوالي عام ٧٢٢ ق.م ، وسقطت يهوذا في يد البابليين سنة ٥٨٧ ق.م ، وحتى مايسمونه بممالك قصيرة الأجل ، فهي تتصل بالدين والروح العاطفية أكثر من اتصالها بالتاريخ السياسي والاجتماعي . على هذا فمعظم الصهاينة أوروبيون وليس هناك أي رابط عضوي بين أجداد يهود أوروبا وبين الأسباط اليهودية القديمة .

ومؤدى هذا كله أن الرابطة التي تجمع بين اليهود في مختلف جنسياتهم ، هي رابطة الدين فقط وليست رابطة القومية كما تدعي الصهيونية ، وهذه الحقيقة العلمية يؤمن بها اليهود غير الصهيونيين كقاعدة أساسية .

وجرياً على هذه الصورة فإن التاريخ اليهودي أوضح بما لا يدع مجالاً للشك ، عدم صحة ادعاءات الصهيونية حول أرض الميعاد والصلوات التراثية المفتعلة التي تحاول الصهيونية ايجادها في المنطقة العربية ، اعتماداً على بعض المرويات القديمة التي يحترمها اليهود وهذا يعني أنهم حاولوا أن يربطوا هذه الادعاءات ربطاً مفتعلاً بالتاريخ .

ومن هنا نرى أن اليهود لم تواتهم ظروف حياتهم بمعرفة عملية دقيقة يصححون بها أوهامهم ، فظلوا متشبثين بنظرتهم الذاتية تلك ، متأثرين بدافع الأهواء المخزونة ، وآمنوا أن الفكر العميق يتعين أن يكون ملفوفاً في رداء من الغموض ، ولذلك لم ينكشف لهم الحق كما هو واقع ، أي الحق الموضوعي الذي يستمد صدقه من الواقع الفعلي .

الخاتمة





الخاتمة

يمثل موضوع هذا البحث صعوبات كثيرة نظراً لما يتسم به من أهمية فريدة من نوعها على الصعيدين العلمي والقومي في آن واحد ، فمدينة القدس تمثل عقدة من عقد الصراع العربي الاسرائيلي التي استعصت على نطس السياسيين ، والتي تجول من حولها فيما يبدو مساومات طويلة جداً ، ذلك أنها مدينة مقدسة للأديان السماوية جميعاً الاسلام والمسيحية واليهودية ، وهي مدينة السلام كما أنها كانت فريسة للعدوان الصهيوني في أكثر من مرحلة وأكثر من عصر ، منها هذا العصر الحديث الذي نعيشه الآن .

فالبحث في القدس يتخذ طرائق كثيرة جداً ، وقد وقفنا في بحثنا عند نتيجة هامة جداً ، وهي أن القدس قبل عصر داود لم تكن تمت بأية صلة للفكر اليهودي ، فموسى لم يعرف القدس ولا يوشع بن نون ولا القضاة ولا الآباء الأول ، وإنما انتقل إليها داود وسليمان ، ثم حدث بعد ذلك أن طُرد اليهود منها ، فاكسبت في أذهانهم صورة الحرم المقدس الذي طردوا منه ، وأصبحت الحركات الصهيونية المتعاقبة إلى الصهيونية الحديثة تعتمد على القدس شعاراً لالهاب الاحساس الاسرائيلي وتوجيه اليهود من كافة أنحاء الأرض نحو المدينة المقدسة عند المسلمين والمسيحيين ، والتي اعتبرها اليهود مدينة داود بينما هي مدينة الله من قبل .

ولكنني آثرت ألا أصل إلى بغيتي بأقصر الطرق ، لأنني لو فعلت ذلك لأضعت على نفسي والقارئ معالم هامة أردت لها أن تكون موضع السمع والبصر ، ولذلك صحبتني في خط دائري يدور حول الموضوع من كافة جوانبه الفكرية والدينية والتاريخية والأثرية . وكان علي أن أواجه مشاكل أثرية لا تكاد تحل في مدينة القدس ، نظراً لقداسة المدينة للأديان السماوية الثلاثة ، بحيث أصبح المساس بها يعتبر خروجاً على هذه الأديان وتدنيساً لهذه الحرمة المقدسة الكامنة في ثرى هذا الموقع المقدس ، ولذلك كف المسلمون والمسيحيون عن الحفائر ، واكتفوا بعمليات جس محدودة جداً .

ثم دنست الصهيونية القدس العربية سنة ١٩٦٧ ، وانتهكت كل هذه الحرمات على أمل أن تجد وثائق تثبت أحقية هذه المدينة للاسرائيليين وباءت أبحاثهم وجهودهم

بالفشل ، لأنهم أوغلوا في تشويه هذه المدينة وتعميق حفائهم فيها كلما ظهر ما يثبت أنهم دخلاء ومتطفلون على ثراها وطبقاتها القديمة .

ومعنى ذلك أن العنعنات والروايات التي وردت عند بعض الحاخامات موضع شك كبير ، لأنها تقال على سبيل التبرك أكثر منها على سبيل البحث العلمي ، أما هذه الحفائر التي كان آخرها مقام به قسم الآثار بالجامعة العبرية بإشراف البروفسور بجائيل يادين ، فلم تسفر عن شيء يثبت أحقية اليهود في المدينة المقدسة كما يدعون ، فعادوا وطمروا حفائهم هذه وطووها طي الكتمان .

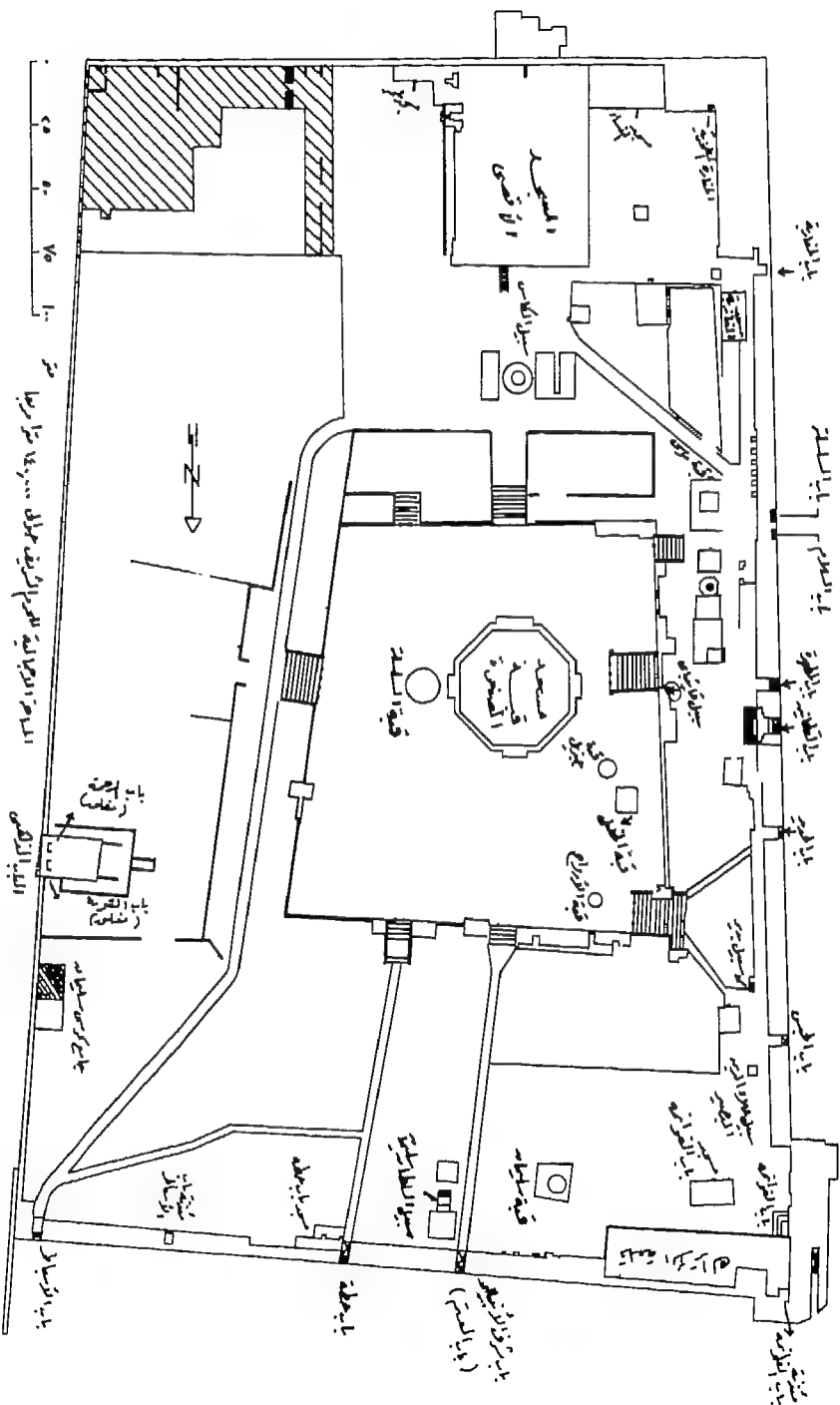
هناك الجانب التاريخي أيضاً الذي لعب دوراً في بلورة الفكر اليهودي حول المدينة المقدسة ، وهذا الجانب التاريخي فيه جزء خاص بالفولكلور ، فهو يحتوي على تاريخ قومي وتاريخ شعبي وفيه جزء يعتبر وقائع سياسية وعسكرية حدثت فعلاً ، ثم الجانب الأخير وهو انعكاسات هذا على الدين وعلى السياسة وعلى الأدب في اللغة العبرية . وقد قمت بمعالجة هذه النواحي الثلاث في البحث بالقدر الذي اتاحته المراجع المتيسرة .

ومن هذا الفولكلور والتاريخ تكوّن التعصب اليهودي لمدينة القدس ، وهو التعصب الذي يعتبر صخرة من الصخور السياسية الصلبة التي تتحطم عليها أي قرارات تصدرها هيئة الأمم في عصرنا الحديث .

وأمام هذا السيل من الادعاءات الصهيونية الخاصة بالقدس ، يتلخص الرد الانساني العام في أن هذه المدينة ليست وقفاً على اليهود بحال من الأحوال ، فالمسيحيون يتجهون إليها في صلاتهم ويسافرون إليها حجاجاً وعددهم مليار في العالم ، والمسلمون عندهم من الوثائق التي لا يرقى إليها الشك ما يبرهن على أنها أولى القبلتين وثالثة الحرمين ، وأن سكانها منذ الأزل لم يكونوا من اليهود وعدد المسلمين يناهز المليار أيضاً ، بينما يضع زعماء الصهيونية في وجه مليارين من البشر - الذين يقدسون هذه المدينة - خمسة عشر مليوناً من اليهود هم كل اليهود في العالم والذين لا يقدسون شيئاً إلا الاستعمار والدولار .

ثم إن وقائع التاريخ تبين أن القدس تحت الحكم الاسلامي كانت مدينة مفتوحة للزوار جميع الأجناس والأديان ، كما أن الرحالة الأندلسي المسلم ابن جُبَيْر الذي ركب البحر ، أوروبا إلى الشرق في زمن صلاح الدين الأيوبي وفي عنفوان الحروب الصليبية يذكر أن مف ركاب سفينته كانوا من المسيحيين والنصف الآخر من المسلمين ، كل منها يتجه إلى الحج ، المسيحيون إلى القدس والمسلمون إلى مكة ، وكان صلاح الدين الذي يحارب في فلسطين يؤمن أثناء هذه الوقائع المهولة طريق الوصول إلى الأماكن المقدسة للحجاج المسيحيين القادمين من أوروبا ، كما أن الرحالة اليهودي بنيامين الططيلي يدخل القدس

لوحة رقم (١٠)



تخطط توضيحي للحرم الشريف بين الأوضاع النسبية لمسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى كما يوضح المآذن والبوابات ومصادر المياه داخل سور الحرم الشريف . وهذا المخطط من عمل عبد الرحمن الراس من الأردن بأشراف حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين ، ١٩٤٠ - ١٩٤٩ .

The Nobla Sanctuary by Alistair Duncan

البريطاني في فلسطين: ١٩١٨-١٩٤٨

حاجاً وواقفاً بحائط المبكى والمدينة تحت الحكم الاسلامي فلا يشعر بأي ضغط أو تقييد أو تهديد .

ومن هنا نجد المسلمين في العصر الحديث يتساءلون في حسرة واندھاش ماذا جنت القدس الاسلامية حتى تخلع عن عرشها الذي رضي به المسلمون وأهل الذمة على السواء ، ولم تحجبه إلا هذه الحركة الصهيونية التي أبْتُلِي بها الوطن العربي .
تحت هذا الضوء نتبين أبعاد كلمة قالها وكررها مراراً صاحب الجلالة المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز الذي يقول إننا نرحب بالسلام وعلامة هذا السلام عندي أن أستطيع أن أقود سيارتي من مكة لأصلي في قبة الصخرة بالقدس دون أن يتعرض لي أحد .
بهذا التلخيص المختصر يبين السياسي العربي الكبير أن السلام ليس حبراً على ورق ، وإنما هو نتائج عملية وسلوك انساني إذا لم ينفذ فهو الخداع بعينه ، وما زالت المسألة حيث تركها العاهل العربي الكبير ، فالمسلم والمسيحي إذا لم يستطيعا الوصول إلى القدس بسهولة وابتهاج وروحانية تامة فمعنى ذلك أن الوحش الصهيوني الشرس مازال يهدد طريقهما ، وقد فكر بعض البعيدين عن بؤرة المشكلة في التدويل ناسين أن كل مكان في العالم طُبِق فيه التدويل تضاعفت فيه المشاكل ، وليس أدل على ذلك من رفض الملك فيصل رفضاً باتاً لمبدأ التدويل مع تأكيده دائماً تمسكه بعروبة القدس . ثم إن التدويل يكون حلاً إذا كان النظام الماضي وهو هنا الولاية الاسلامية قد أخفق في القيام بالمهمة وأداء الأمانة ، بينما المعروف أنه منذ أن فتح عمر بن الخطاب مدينة القدس في السنة الخامسة عشرة من الهجرة (٦٣٦ ميلادية) ، لم يحدث أن اشتكى واحد من أهل الذمة من الادارة الاسلامية للمدينة المقدسة .

وهكذا يتبين لنا أن العالم الاسلامي ما يزال حتى اليوم مدعواً إلى عدم التخلي عن هذا المقياس الديمقراطي البسيط الذي نادى به صاحب الجلالة المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز ، وهو أن تظل المدينة مقدسة مفتوحة دون قيد أو شرط وللجميع في ظل ساحة الاسلام .

المَصَادِرُ والمراجع



المصادر والمراجع

أولاً/ المراجع العربية

أ/ مراجع عربية قديمة :

- (١) القرآن الكريم .
- (٢) الكتاب المقدس (العهد القديم - العهد الجديد) : دار الكتاب المقدس ، القاهرة ١٩٦٩ م .
- (٣) الأسفار القانونية التي حذفها البروتستانت ، الاسكندرية ١٩٧٧ م .
- (٤) ابن الأثير : كتاب الكامل في التاريخ (١٢ جزءاً) بيروت ١٩٦٩ م .
- (٥) الحافظ شمس الدين الذهبي : كتاب دول الاسلام ، المجلد الثاني ، طبعة أولى ١٣٣٧ هـ .
- (٦) ابن حزم الأندلسي : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، مكتبة ومطبعة صبيح ، القاهرة ١٩٦٤ م .
- (٧) جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الجزء السادس ، القاهرة .
- (٨) زين الدين عمر بن الوردي : تنمة المختصر في أخبار البشر ، الجزء الثاني دار المعرفة ، بيروت ١٩٧٠ م .
- (٩) عماد الدين اسماعيل أبي الفداء : المختصر من أخبار البشر ، الجزء الثالث ، الطبعة الأولى ، القاهرة .

ب/ مراجع عربية حديثة :

- (١٠) أبو حديد ، محمد فريد : صلاح الدين الأيوبي ، دار المعارف ١٩٦٠ م .

- (١١) أمين ، أحمد : ظهر الاسلام ، الجزء الثالث ، الطبعة الرابعة مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٦ م .
- (١٢) العقاد ، عباس محمود : الله كتاب في نشأة العقيدة الألهية ، الطبعة السادسة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٩ م .
- (١٣) العقاد ، عباس محمود : ابراهيم أبو الأنبياء ، دار الهلال ، القاهرة .
- (١٤) العارف ، عارف باشا : تاريخ القدس ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥١ م .
- (١٥) ابراهيم ، د . نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء الثالث الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٦ م .
- (١٦) د . ابراهيم رزقانة ، د . محمد صفى الدين أبو العز : المجتمع العربي ، القاهرة ١٩٦٤ م .
- (١٧) النجار ، عبد الوهاب : قصص الأنبياء ، مطبعة العلوم ، القاهرة ١٩٣٢ م .
- (١٨) أولبريت ، وليم ف : آثار فلسطين ، ترجمة د . زكي اسكندر ، د . محمد عبد القادر محمد ، مطابع الأهرام ، القاهرة ١٩٧١ .
- (١٩) أحمد العوامري بك ، محمد أحمد جاد المولي بك : مهذب رحلة ابن بطوطة ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٣٣ م .
- (٢٠) المحيني ، د . محمد جابر عبد العال : في العقائد والأديان ، الهيئة المصرية العامة القاهرة ، ١٩٧١ م .
- (٢١) الطويل ، د . السيد رزق : بنو اسرائيل في القرآن ، دار المعارف ١٩٨٠ م .
- (٢٢) القصاص ، د . محمد : الشعر العبري ، القاهرة ١٩٥٨ - ١٩٥٩ م .
- (٢٣) العسيلي ، د . كامل جميل : وثائق مقدسية تاريخية ، المجلد الأول ، عمان ١٩٨٣ .
- (٢٤) بدوي ، د . عبد الرحمن : دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ، دار الآداب بيروت ١٩٦٥ م .
- (٢٥) باليشيا ، آنخل جونشالت : تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة د . حسين مؤنس ، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٥٥ م .
- (٢٦) جلال ، د . ألفت : الأدب العبري القديم والوسيط ، مطبعة جامعة عين شمس ١٩٧٨ م .
- (٢٧) جيمس فريزر : الفولكلور في العهد القديم ، ترجمة د . نبيلة ابراهيم - ج ١ ، القاهرة ١٩٧٢ م .

- (٢٨) حسنين ، د . فؤاد : فلسطين العربية ، القاهرة ١٩٧٣ م .
- (٢٩) حسنين ، د . فؤاد : من الأدب العبري ، القاهرة ١٩٦٣ م .
- (٣٠) خمار ، قسطنطين : موسوعة فلسطين الجغرافية منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٩ م .
- (٣١) خليفة ، د . محمد : الحركة الصهيونية (مذكرات كلية الآداب - جامعة القاهرة ، ١٩٧٨ م) .
- (٣٢) رمضان ، د . عبد العظيم : الصراع بين العرب وأوروبا ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٣ م .
- (٣٣) رنسيهان ، ستيفن : تاريخ الحروب الصليبية (ثلاثة أجزاء) الطبعة الثانية - ترجمة الدكتور السيد الباز العريني دار الثقافة ، بيروت ١٩٨١ م .
- (٣٤) راتب ، د . عائشة : العلاقات الدولية العربية ، القاهرة ١٩٧٠ م .
- (٣٥) رشيد ، د . فوزي : الشرائع العراقية القديمة ، بغداد ١٩٧٣ م .
- (٣٦) زكي ، د . عبد الرحمن : الفن الاسلامي ، دار المعارف - ١٩٨٤ م .
- (٣٧) زيادة ، د . نقولا : الرحالة العرب ، دار الهلال ، القاهرة ١٩٥٦ م .
- (٣٨) عبد الحميد ، د . محمد حرب : (ترجمة) مذكرات السلطان عبد الحميد ، دار الأنصار ، القاهرة ١٩٧٨ م .
- (٣٩) عبد البديع ، د . لطفي : الاسلام في أسبانيا ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨ م .
- (٤٠) عبد المجيد ، د . محمد بحر : اليهود في الأندلس ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٧٠ م .
- (٤١) عبد العليم ، د . مصطفى كمال : اليهود في مصر في عصري البطالة والرومان ، القاهرة ١٩٦٨ م .
- (٤٢) غومس ، امبليو غرسييه : الشعر الأندلسي ، ترجمة د . حسين مؤنس ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة ، القاهرة ١٩٦٩ م .
- (٤٣) فريد ، محمد (بك المحامي) : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق د . احسان حقي ، الطبعة الأولى ، (دار النفائس) بيروت ١٩٨١ م .
- (٤٤) سينووزا ، باروخ : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة د . حسن حنفي ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧١ م .
- (٤٥) سلام ، د . شعبان محمد : الأثر العربي في الشعر العبري ، الجزء الأول في

المصادر والمراجع

- البحور والأوزان ، القاهرة ١٩٨١ م .
- (٤٦) ظاظا ، د . حسن : الساميون ولغاتهم ، مكتبة الدراسات اللغوية القاهرة ١٩٧١ م .
- (٤٧) ظاظا ، د . حسن : الفكر الديني الاسرائيلي ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٧١ م .
- (٤٨) ظاظا ، د . حسن : اسرائيل ركيزة للاستعمار بين المسلمين ، مجمع البحوث الاسلامية ، القاهرة ١٩٧٣ م .
- (٤٩) ظاظا ، د . حسن : الشخصية الاسرائيلية ، مجلة عالم الفكر ، المجلد العاشر ، الكويت ١٩٨٠ م .
- (٥٠) موسكاتي ، سبتينو : الحضارات السامية القديمة ، ترجمة د . السيد يعقوب بكر ، دار الكتاب العربي ، القاهرة .
- (٥١) نصحي ، د . ابراهيم : تاريخ مصري في عصر البطلمة ، الطبعة الرابعة جزآن ، القاهرة ١٩٧٦ م .
- (٥٢) هنداي ، د . ابراهيم موسى : الأثر العربي في الفكر اليهودي ، مكتبة الانجلو القاهرة ١٩٦٣ م .
- (٥٣) ولبر ، دونالد : ايران ماضيها وحاضرها ، ترجمة د . عبد النعيم محمد حسنين ، القاهرة ١٩٥٨ م .
- (٥٤) ول ديورانت : قصة الحضارة ، الجزء الثاني ، الشرق الأدنى ترجمة محمد بدران ، القاهرة ١٩٧١ م .

ثانياً/ المراجع العبرية

- (١) التلمود البابلي والتلمود الأورشليمي :
- (٢) العهد القديم (التوراة - أسفار الأنبياء - كتب الحكمة) .
- (٣) مشنايوت (المشنا) :
- Philip Blackman , New York , 1977 .
- (٤) ابراهام قورمان : زريت وكيوتوت بيهودوت (التيارات والطوائف اليهودية) ، القدس ١٩٦٠ .
- (٥) اسحاق بن صبي : ندحي اسرائيل (الضالون من بني اسرائيل) ، القدس ١٩٦٣ م .
- (٦) اسحاق بن صبي : عيقري أمونتام بنوسح قصير (أسس عقيدتهم في نسخة

- مختصرة) القدس ١٩٦٥ م .
- (٧) أورئيل رقفورط : تولدوت اسرائيل بتقوفت هبيت هشيئي (تاريخ اسرائيل في فترة البيت الثاني) القدس ١٩٦٧ م .
- (٨) اسرائيل بلكيند : هشومرونيم (السامريون) ، القدس ١٩٢٨ م .
- (٩) اسرائيل بلكيند : عسرت هشبطيم (القبائل العشر) القدس ١٩٢٨ م .
- (١٠) اشعيا برس : محقرم بيديعت هآرتس وطبوجرافيا مقرايت (بحوث في الجغرافيا والطبوجرافيا التوراتية) القدس ١٩٦٠ م .
- (١١) بنيامين مزار : كنعان ويسرائيل محقرم هيسطورين : (كنعان واسرائيل بحوث تاريخية) ، القدس ١٩٧٤ م .
- (١٢) جدليا هو ألون : تولدوت هيهوديم بارتس اسرائيل بتقوفت همشنا وتلمود يروشليمي .
- (تاريخ اليهود في أرض اسرائيل في عصري المشنا والتلمود الأورشليمي) ، القدس ١٩٥٣ م .
- (١٣) حزقيال قوفيمان : تولدوت هائمونا هيسرائيليت ميمي قدم عد سوف بيت هشيئي . (تاريخ العقيدة اليهودية في العصور القديمة وحتى نهاية البيت الثاني) ، القدس ١٩٥٣ م .
- (١٤) حايم شيرمان : هشيرا هعفريت بسفراد وبفروبانس (الشعر العبري في اسبانيا وجنوب فرنسا) القدس ١٩٥٤ م .
- (١٥) زئيب فيلنائي : يهودا وشمرون (يهودا والسامرة) ، القدس ١٩٦٨ م .
- (١٦) ميخال أبي يونا : بيمي روما وبيزنطيون : (تاريخ روما وبيزنطة) ، القدس ١٩٤٧ م .
- (١٧) صموئيل يبين : محقرم بتولدوت اسرائيل (بحوث في تاريخ اسرائيل) ، القدس ١٩٦٠ م .
- (١٨) شمعون دوفنوف : دبيري هيميم لعام اسرائيل (تاريخ الشعب الاسرائيلي) ، القدس ١٩٤١ م .
- (١٩) يوحنا أهاروني : إرتس اسرائيل بتقوفت همقرا (أرض اسرائيل في عصر المقر) ، القدس ١٩٦٢ م .
- (٢٠) يوحنا أهاروني : هتتحلوت شبطي اسرائيل بجليل هعليون . (استيطان أسباط اسرائيل في الجليل الأعلى) ، القدس ١٩٦٠ م .
- (٢١) يوشع جوتان : هسفروت هيهوديت ههيلنسطين . (الكتب اليهودية

المصادر والمراجع

والهيليستية) ، القدس ١٩٥٨ .

(٢٢) يوشع جرينتس : براقيم بتولدوت ببيت شني (فصول من تاريخ البيت الثاني)
القدس ١٩٦٩ م .

بعض دوائر المعارف العبرية

(٢٣) أوتساريسرائيل انسيكلويديا : مهدوراً شليشيت . (دائرة المعارف العبرية :
الطبعة الثالثة) ، لندن ١٩٣٥ .

(٢٤) هانسيكلويديا هعفريت كوليت يهوديت . (دائرة المعارف العبرية الشاملة
اليهودية) ، القدس ١٩٦٩ م .

ثالثاً / المخطوطات

(١) كتاب (تاريخ السامرين) لأبي الفتح بن أبي الحسن السامري الدنفي ، عام
١٣٥٢ م .

(٢) بعض أوراق البردي باللغة الآرامية والعبرية . مخطوط رقم . 9180 . OR

رابعاً / المراجع الأجنبية

1 . Ackroyd , P.R.

Israel under babylon and Persia , Oxford , 1970 .

2 . Albright , W.F.

From the Stone age to Christianity , Baltimore , 1940 .

3 . Adler , E.

Jewish Travellers , London , 1930 .

4 . Allegro , J.

The Dead Sea Scrolls , London , 1977 .

5 . Alt , A.

Essays on old Testament History and Religion Translated by R.A. Wil-
son , New York , 1967 .

6 . Baly , D.

Geographical Companion to the Bible , New York , 1963 .

7 . Charles , R.H.

The Apocrypha and Pseudepgrapha of the Old Testament , Oxford ,
1913 .

- 8 . *Coggins , R.J.*
Samaritans and Jews , London , 1975 .
- 9 . *Cary , M.*
A History of the Greek world from 323 to 146 B.C. , London , 1965 .
- 10 . *Cowely , M.*
Aramaic papyri of the Fifth Century B.C. , Oxford , 1923 .
- 11 . *Duncan , A.*
The Noble Sanctuary , portrait of a Holy place in Arab Jerusalem ,
Beirut , Second Edition , 1981 .
- 12 . *Delaporte , L.*
Mesopotamia the Babylonian and Assyrian Civilization , translated by V.
Gordon Childe , London , 1970 .
- 13 . *Driver , G.R.*
Aramaic Documents of the Fifth Century B.C. , Oxford , 1965 .
- 14 . *Edward , F. and Freedman , D.N.*
The Biblical Archaeologist Reader 2 Vol. II , New York , 1964 .
- 15 . *Edward , F. and Freedman , D.N.*
The Biblical Archaeologist Reader 3 Vol. III , New York , 1970 .
- 16 . *Epstein , I.*
Babylonian Talmud , Translated into English with notes , under the
Eldorship of Rabbi Dr. I. Epstein , London , 1935 - 1948 .
- 17 . *Gaster M.*
The Samaritans their History , Doctrines and Literature , London , 1923 .
- 18 . *Gray , J.*
The Canaanites , London , 1964 .
- 19 . *Greatz , H.*
Popular History of the Jews , New York , 1949 .
- 20 . *Heaton , E.W.*
The Hebrew Kingdoms , Oxford , 1968 .
- 21 . *Hindson E.*
The Philistines , and Old Testament , New York , 1971 .
- 22 . *Jastrow M.*
The Civilization of Babylonia and Assyria , Philadelphia , 1915 .
- 23 . *Johnson , A.R.*
The one and the many in the Israelite conception of God , Oxford , 1960 .
- 24 . *Josephus , F.*
Antiquities of the Jews , Vols. II - III , Michigan , 1974 .

- 25 . *Josephus , F.*
The wars of Jews , Vol. I , Michigan , 1974 .
- 26 . *Johns , C.H.W.*
Assyrian Deeds and Documents , Vol. II , 1901 .
- 27 . *Kracling , E.G.*
The Brooklyn Museum Aramaic Papyri , New Haven , 1953 .
- 28 . *Kenyon , K.*
Archaeology in the Holy Land , New York , 1969 .
- 29 . *Kenyon , K.*
Digging up Jerusalem New York , 1974 .
- 30 . *Kaufmann , Y.*
The Religion of Israel from its beginning to the Babylonian Exiles , New York , 1966 .
- 31 . *Lods , A.*
Israel from its Beginnings to the Middle of the Eight Century , translated by S.H. Hooke , London , 1932 .
- 32 . *Lods , A.*
The Prophets and the Rise of Judaism translated by S.H. Hooke , London , 1955 .
- 33 . *Macalister , R.A.*
The Philistines , their History and Civilization , London , 1914 .
- 34 . *Macdonald , J.*
The Samaritan chronicle No. II , London , 1969 .
- 35 . *Montgomery , J.A.*
The Samaritans , New York , 1907 .
- 36 . *Olmstead , A.T.*
History of Assyria , New York , 1923 .
- 37 . *Olmstead , A.T.*
History of Palestine and Syria , New York , 1931 .
- 38 . *Ricciotti , G.*
The History of Israel (2 Vols) . Milwaukee , 1955 .
- 39 . *Robinson , Th. H.*
A History of Israel , Oxford , 1957 .
- 40 . *Rops , D.*
Israel and Ancient World , London , 1960 .
- 41 . *Russell , D.S.*
Between the Testaments , London , 1972 .

- 42 . *Rosenthal , E.*
Judaism and Islam , London , 1961 .
- 43 . *Ringgren , H.*
Israelite Religion , translated by David E. Green , New York , 1966 .
- 44 . *Schuss , H.*
The Jewish Festivals , New York , 1978 .
- 45 . *Schurer , E.*
A History of the Jewish People In the time of Jesus , New York , 1978 .
- 46 . *Schurer , E.*
The literature of the Jewish People in the time of Jesus , New York , 1972 .
- 47 . *Smith , A.E.*
The Legacy of Israel , Oxford , 1948 .
- 48 . *Smith , G.A.*
The Historical Geography of the Holy Land , New York , 1966 .
- 49 . *Smith , W.R.*
The Prophets of Israel , London , 1907 .
- 50 . *Smith , W.R.*
The Religion of the Semites , New York , 1972 .
- 51 . *Techerikover , V.*
Hellenistic Civilization and the Jews , New York , 1979 .
- 52 . *Wardle , W.L.*
The History and Religion of Israel .
- 53 . *Welch , A.C.*
The Religion of Israel under the Kingdom , London , 1912 .
- 54 . *Wright , G.E. and Freedman , D.N.*
The Biblical Archaeologist , Reader 1 , Vol. I , New York , 1961 .
- 55 . *Waxman , Meyer*
A History of Jewish Literature New York , Second Edition 1938 .
- 56 . *Alalas of Israel*
Cartography , Physical , Geography , Human , Economic Geography
History , Published by Survey of Israel , Ministry of Labour , Jerusalem ,
1970 .
- 57 . *Encyclopedia Religion and Ethics .*
New York , 1928 .
- 58 . *Encyclopedia Judaica :*
Jerusalem , 1978 .

59 . *Interpreter's Dictionary of the Bible* :

An Illustrated Encyclopedia in 4 Vols . New York , 1963 .

60 . *The Babylonian Talmud* :

Translated Into English , London , 1935 - 1948 .

المختصرات

اتبعت طريقة اختصار بعض أسماء أسفار العهد القديم وأسفار المكابيين لكثرة الإشارة إليها في البحث وذلك على النحو التالي :

الاختصار	اسم السفر
تك	التكوين
يش	يوشع
١ صم	صمويل الأول
٢ صم	صمويل الثاني
١ ملك	الملك الأول
٢ ملك	الملك الثاني
١ أخ	أخبار الأيام الأولى
٢ أخ	أخبار الأيام الثاني
١ مكا	سفر المكابيين الأول
٢ مكا	سفر المكابيين الثاني

الفهرس

أولاً : فهرس الأعلام	
(أ)	آحازيا ٧٠
ابراهيم ٧ - ١٢ - ٣٠ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٧ - ٥٧	أدد نيراري الثالث ٧١
	أرتاكزسيس ٨٥ - ٨٦
	أرسطو ١٣٩
ابراهيم باشا ١٦١	ارميا ٨٠ - ٨٤ - ٨٦ - ٩٨ - ١٤٠
ابن الأثير ١٥٢ - ١٥٦	ارنست رايث ١٠٧
ابن جبير ١٣٤ - ١٥٦	آرونا ٤٦ - ٥٤
ابن سينا ١٣٩	آسا ٦٧
ابن عباس ٢٦	اسحاق رابين ١٧١
ابن عساكر ٢٦	اسرائيل ٣٩ - ٤٤ - ٤٧ - ٦٢ - ٦٣ -
إبشالوم ٢٧ - ٥٣	٦٤ - ٦٥ - ٦٧ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ -
أبو جعفر المنصور ١٤٩	٧٥ - ٨٣ - ٩٣ - ٩٥ - ٩٨ - ١٠٣ -
أبوذر ٣٠	١١٠ - ١٣٧ - ١٤٠ - ١٦٢ - ١٧١ -
أبوزكريا يحيى بن داود ١٣٢	١٧٢
أبو عبيدة الجراح ٣١	الاسكندر الأكبر ٨ - ٢٦ - ٨٧ - ٨٨ -
أبو الفتح السامري ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ -	٩٣ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٨ -
أبو الفرج بن العبري ١٥٢	الاسكندر الثاني (قيصر روسيا) ١٦٥
أبوليد مروان بن جناح ٣٣	اسماعيل ٣٠
أبولوتئوس ١١١ - ١١٢ - ١١٣ -	إشبوشتا ٥٢
إتوبعل ٦٩	إشعيا ١٥ - ٧٢ - ٨٢
أجربيا ١١٩	آشور بانيبال ٧٤ - ٧٩
آحاب ٦٩ - ٧٠	آشور نانصر بال الثالث ٦٩
آحاز ٧١ - ٧٢	أشيرا ٦٩ - ٩٥

- أغسطس ١١٧ - ١١٩
 أفرام ٤٦ - ٥١ - ٦٢ - ٦٥ - ١١٩
 الأفضل الفاطمي ١٥٣ - ١٥٦
 أكرسيس الأول ٨٣
 الكسندر ١١٥
 الكيمس ١١٤
 ألون ١٧١
 إلياس (إيليا التشبي - الياهو النبي) ٦٣ -
 ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠
 إمصيا ٧٠
 أمينوفيس ٢٥ - ٤٤
 انتيباتير ١١٧
 انتيجونوس ١١٧
 أندروماخوس ١٠٦ - ١٠٧
 انطيوخوس الثالث ١٠٣ - ١٠٩
 انطيوخوس الرابع ١١٠ - ١١١ - ١١٢ -
 ١١٣
 انطيوخوس الخامس ١١٤
 أوربان الثاني ١٥١ - ١٥٩
 أوفاشاترا ٧٩
 أونياس ١٠٨
 ايزابيلا ٦٩
 (ب)
 بارليف ١٧١
 بختنصر (نبوخذ نصر) ١٥ - ٧٩ - ٨٠ -
 ٨٥ - ٨٩ - ٩٣
 بركويا ١٢٤
 بطليموس الأول ١٠٥ - ١٠٧ - ١٠٨
 بطليموس الثالث ١٠٨ - ١٠٩
 بطليموس الرابع ١٠٨ - ١٠٩
 بعشابن أخيا ٦٥ - ٦٧
 بعل ٩٥ - ١٠٠
 بعل صور (ملكارت) ٦٩
 بكيدس ١١٤
 بلفور ١٦٢ - ١٦٥ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠
 بنيامين ٤٦ - ٤٧ - ٥١ - ٥٢ - ٦١
 بنيامين الططيلي ١٣٤ - ١٧٨
 بومبي ١٠٣
 بيرديكاس ١٠٦ - ١٠٧
 بيوس الثاني ١٦٠
 (ت)
 تشركوفر ١٠٥ - ١٠٦
 تراجان ١٢٤
 تغلات فالصر الثالث ٧١ - ٧٢
 تيتوس ٣٥ - ١٢٢ - ١٤٠
 (ج)
 جاد ٤٦
 جادو ٨٦ - ٨٧
 جافينوس ١١٦ - ١١٧
 جراليا بن أحيقام ٨٠ - ٨٨
 جاستر ٨٨ - ١٠٦ - ١٢٤
 جشم ٣٩
 جندبو ٣٩
 جوبتر ١١٢ - ١١٣ - ١٢٦
 (ح)
 الحاكم بأمر الله ١٥٠
 حجي ٨٣ - ٨٤
 الحريري ١٣٣ - ١٤١ - ١٤٢

- حرقيا ٧٣ - ٧٤
حمورابي ١٦
(خ)
خالد بن الوليد ٣١
الخليل بن أحمد ١٤٤
خليل بن قلاوون ١٥٩
(د)
دانيال ١٠٤ - ١٠٥
داود ٧ - ٨ - ١٦ - ١٧ - ١٨ - ٢٥ - ٢٧ - ٢٩ - ٤٣ - ٤٦ - ٤٧ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٦٩ - ٦٩ - ٩٨ - ١١٩ - ١٣١ - ١٧٧ - ١٧٤ - ١٦٢
دارا (داريوس) ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ١٠٤ - ١٠٥
دان ٤٧
دريفس ١٦٧
دوناش بن البرط ١٤٤
دي روتشيلد ١٦٩
ديمتريوس ١١٤ - ١١٥
(ر)
رأوين ٤٦
رجعام ١٧ - ٦١ - ٦٤
روزفلت ١٧٠
رومانوس ١٥٠
ريتشارد قلب الأسد ١٥٥
(ز)
زئيف جابوتنسكي ١٦٢
زبولون ٤٦
زروابل ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥
زكريا (ابن يربعام الثاني) ٧١
زيوس أليميوس ١١١ - ١١٢
(س)
سالم اليبوسي ٤٣
سرجون الثاني ١٦ - ٣٩ - ٧٢ - ٧٣ - ٩٣
سعديا الفيومي ١٣٥
سلمانصر الثالث ٣٩
سلمانصر الخامس ٧٢
سلوقيوس الثاني ١٠٨
سليمان ٧ - ٨ - ١٢ - ١٦ - ١٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٤٣ - ٤٦ - ٤٧ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٦٩ - ٦٩ - ٩٨ - ١١٩ - ١٣١ - ١٧٧ - ١٧٤ - ١٦٢
سليم الأول ١٦٠
سليم الثالث ١٦٠
سنبط ٣٩ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ١٠٤
سنحاريب ٢٦ - ٧٢ - ٧٣
(ش)
شازلمان ١٤٩ - ١٥١
شاعول ٤٦ - ٥٢ - ٥٣
شجرة الدر ١٥٨
ششوق ٦١ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٩
شمعون ٤٦ - ١١٥
شيشبصر ٨٣

- عمر بن الخطاب ٩ - ٣١ - ٤٠ - ١٥٢ -
١٧٩
الصالح أيوب ١٥٨ (ص)
صدقياهو ٧٩
عمر بن العاص ٣٢ - ١١٦
صلاح الدين الأيوبي ١٢ - ١٤٩ - ١٥٣ -
١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٨ - ١٧٨
عمر ٦٢ - ٦٧ - ٦٩ - ٧٠ - ٧٢
صمويل ٥٢ - ٥٣
(غ)
غازي الملقب بالظاهر ١٥٦
صهيون ١١٩ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ -
(ف)
١٤٠ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٥٤ - ١٦٧
فرديناند ١٧٣
فردريك ١٥٧
١٦٨
فزايل ١١٩ (ط)
طارق بن زياد ١٥٠
طوبيا العموني ٤٠
(ظ)
(الملك) فيصل بن عبد العزيز ١٧٩
فيلون السكنري ١٣٩
الظاهر ببرس ١٥٠ - ١٥٨
(ق)
قسطنطين ١٩ - ١١٦ - ١٢٧ -
قطز ١٥٨
قلاوون ١٥٩
قنصوه الغوري ١٦٠
قورش ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ١١٩
(ك)
الكامل ١٥٧
كرليس ١٢٢
كلاوديوس ١٢٢
كموش ٧٥
كولي ٨٧
كيتيوس جاليوس ١٢٢
(ل)
اللنبي (أدموند) ١٦٢
(ع)
(السلطان) عبد الحميد ١٦١ - ١٦٢ -
١٦٨
(الملك) عبد العزيز آل سعود ١٦٢
(السلطان) عبد العزيز ١٦١
عبد الملك بن مروان ٣٤ - ٣٦ - ١٤٩
عبد يحيى ٣٢ - ٤٤
عتاليا ٧٠
عثمان (الملقب بالعزير) ١٥٦ - ١٥٧
العادل الأول ١٥٤ - ١٥٦ - ١٥٧
العادل الثاني ١٥٧
عاموس ٩٨
عزرا ٨٦ - ٨٨ - ٩٠ - ٩٩ - ١٠٣
١٤٣ - ١٤٠
عشروت ٧٥ - ٩٥

- لوط ٤٣ نبوزرا دان ٧٩
لاوي ٤٧ نبو فالصر ٧٩
لويس التاسع ١٥٨ نحميا ٥٧ - ٨٢ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨
ليزياس ١١٣ - ١١٤ ٩٠ - ٩٩ - ١١٩ - ١٤٠
ليونسكر ١٦٦ - ١٦٧ نخاز الثاني ٧٤ - ٧٩
(م) نرام سين ٣٨
مارك انطونيو ١١٩ نفتالي ٤٧ - ٧٢
المأمون بن الرشيد ١٤٩ نور الدين زنكي ١٥٣ - ١٥٥
محمد علي باشا ١٦١ نيرون ١٢٢
(السلطان) محمود الثاني ١٦١ نيكاسو ٨٦
(السلطان) مراد الرابع ١٦٠
مريم ١١٧ (هـ)
المسيح ١٣ - ٢٦ - ٢٧ - ١١٠ - ١٣٧ - ١٦٧ هرتسل (تيودور) ١٣٤ - ١٦٢ - ١٦٥
١٣٨ - ١٣٩ هارون ١٢ - ١٥ - ٤٧ - ٥٥ - ١١٤
معاوية بن أبي سفيان ٣٢ هتلر (أدولف) ١٧٢
ملكي صادق ١٢ - ١٧ - ١٨ - ٣٠ - ٤٣ - ٦٩ هدد ٦٢ - ٦٩
٥٤ هديران (إيلوس) ٢٦ - ٣٦ - ٦٧
مناحم بن جادي ٧١ ١٢٤ - ١٢٦
مناحم بيجن ١٦٥ - ١٧١ هرقل ١١٠
منسا ٤٦ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٩ - ٩٠ - ١٠٤ هقلير ١٣٥
موسى ٧ - ١٢ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - ٢٦ هنري فنش ١٦٥
٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٥٤ - ٦٣ - ٨٩ هوشع ٧١ - ٧٢ - ٩٠
٩٠ - ١٢٠ - ١٣١ - ١٧٣ - ١٧٧ هولاكو ١٥٨
موسى بن عزرا ١٣٣ - ١٤٠ - ١٤١ هيبيكوس ١١٩
موسى بن ميمون ١٣٣ ميرش ١٣٤
مونتجمري ٨٩ - ١٢٢ ميركانوس ١١٧
(ن) هيرودس ٥٧ - ١١٧ - ١١٩ - ١٢٠
١٢٧ - ١٦٠ نابليون بوناپرت ١٦٠ - ١٦١
ناداب بن يربعام ٦٥ هيرودوت ٢٦

- يوسف بن طوياس ١٠٨ - ١٠٩
يوسيفوس ٨٥ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ١٠٤ -
١٠٥ - ١١١ - ١١٢ - ١٢٢ - ١٢٤
يوشع بن نون ١٦ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٥١ -
٥٥ - ٦٢ - ١٢٦ - ١٧٣ - ١٧٧
يوشياهو ١٧ - ٧٤ - ٧٥ - ٩٥
يوياداع ٨٦ - ٨٧
ثانياً : الفهرس الجغرافي
(أ)
آرام ٤٤ - ٤٥ - ٧١ - ٧٢
أرجنتين ١٦٥
الأردن ٣٩ - ٤٣
أرض مدين ١٠٠
أرض الميعاد ١٦ - ١٦٨ - ١٧٤
أريحا ٤٣ - ٤٥ - ٩٥ - ٩٧ - ١١٦
أسبانيا ١٣١ - ١٣٩ - ١٤٣ - ١٧٣
استراليا ١٦٥
آسيا ١١ - ١٧٣
آسيا الصغرى ٧٩ - ٩٩
أشدود ٧٣ - ٧٤
آشور ٨ - ٣٦ - ٣٩ - ٥٢ - ٦٢ - ٦٣ -
٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٨٣ -
١٣٨
افريقيا ١١ - ١٥٠ - ١٦٨
المانيا ١٥٥
انجلترا ١٦١ - ١٦٥ - ١٦٨ - ١٦٩
الأندلس ٩ - ١٣ - ١٩ - ١٣١ - ١٣٢ -
١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٨
- (و)
وايزمان (حايم) ١٦٨ - ١٦٩
الوليد بن عبد الملك ٣٦
وليم مالبسوري ١٥١
(ي)
ياسون ١٠٩ - ١١٠
ياهو ٦٢ - ٧٠
يجائيل يادين ١٧٨
يربعام بن نباط ١٧ - ٦١ - ٦٢ - ٦٥ -
٦٧ - ٧٥
يربعام الثاني ٧١
يعقوب ٤٤ - ١٥ - ١٠٠
يساكر ٤٦ - ٦٥
يهوذا ٣٩ - ٤٦ - ٥١ - ٥٤ - ٦١ - ٦٢ -
٦٤ - ٦٥ - ٦٧ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٣ -
٧٤ - ٧٥ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٨ -
٨٩ - ٩٧ - ٩٨ - ١٠٠ - ١٠٧ - ١٠٨ -
١٠٩ - ١١٤ - ١٢٢ - ١٧٤
يهوذا الحريزي ١٣٣ - ١٤١ - ١٤٢ -
١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥
يهوذا اللاوي ١١٣ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٢
يهوذا المكابي ١١٣ - ١١٤ - ١١٥
يهوآحاز ٧٠
يهوشافاط ٦٩
يهوه ١٠٠ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١١٣
يهوياكين ٧٩
يوآش ٧٠
يورام ٦٩
يوساي اليتيم ١٣٥

١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٤ - ١٤٥ - بيت شمش ٨٠	
١٥٠ - بيت لحم ١٣١	
١٠٠ - ١١١ - ١٣٧ - ١٦٢ - أورشليم ١٢ - ١٣ - ٢٦ - ٤٦ - ٩٨ - بيت مرسيم ٨٠	
١٠٠ - ١١١ - ١٣٧ - ١٦٢ - بئر سبع ٢٩ - ٩٨	
١٠٠ - ١١١ - ١٣٧ - ١٦٢ - أوروبا ٩ - ١١ - ١٥١ - ١٥٥ - ١٥٧ - بيروت ١٥٤ - ١٥٩	
١٦١ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٧٣ - (ت)	
١٧٤ - ١٧٨ - ترصه ٦٢ - ٦٧ - ٧١	
١١ - ايران	
١٥٣ - ١٥١ - ايطاليا	
١٢٤ - ٣٦ - ٣١ - ٢٦ - ايليا كابيتولينا ١٢ - ٢٦ - ٣١ - ٣٦ - ١٢٤ - تل العمارنه ٢٥ - ٢٦ - ٤٤	
(ب)	
١١ - ٣٦ - ٣٨ - ٥٧ - ٧٣ - ٧٩ - بابل	
٨٠ - ٨٢ - ٨٦ - ٩٤ - ٩٩ - ١٠٦ - (ج)	
١٢ - باب الواد	
١٦٨ - ١٦٧ - بال	
٤٣ - البحر الميت	
١٤٢ - البصرة	
١٥٠ - بغداد	
١٥٣ - ١٥٠ - ٥٤ - ٢٦ - بلاد الشام	
١٥٤ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - جبل الزيتون ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩	
١٦١ - ١٦٠ - جبل صهيون ٢٨ - ٢٩ - ٤٣ - ٥١ - ٥٣ - ٥٦	
١٦١ - بلاد الأناضول	
١٥٨ - بلاد ما بين النهرين	
١٦٠ - البوسفور	
١٧٠ - بولندا	
١٠٠ - ٩٨ - ٧٥ - ٦٢ - ٤٣ - بيت ايل	
٦٤ - بيت حران	
٨٠ - بيت زور	
١١٦ - ٥٥ - بيت شان	
١٢٦ - ١٢٢ - جريزيم ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٩٠ - ١٠٠ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١١٢ - ١١٣	
١٢٦ - ١٢٢ - جبل نبو ٨٩ - ١٧٣	
٦٤ - جبعون	
١٠٠ - ٩٠ - ٨٨ - ٨٧ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٩٠ - ١٠٠ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١١٢ - ١١٣	
١٢٦ - ١٢٢ - ١٢٦ - ١٢٢	

- الجزيرة العربية ٢٥ - ٣٨ - ٤٣ - ٤٤
الجلجال ٥٢ - ١٠٠ - ١٣١
الجليل الأعلى ١١٦
جيحون ٧٣
جسر بنات يعقوب ١٦٠
جوف سوريا ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨
١٠٩ - ١١٣
(ح)
حائط المبكى ١٢ - ١٧ - ١٦٠ - ١٧٩
حبرون (الخليل) ٢٧ - ٤٣ - ٥٢ - ١٣١
الحجاز ٣٨
الحرم الشريف ١٢ - ٣٤ - ٥٧ - ٥٨
حلب ١٥٣ - ١٥٦
حطين ١٥٣ - ١٥٤
حماه ٧٣
حمص ١٥٩
حيفا ١٠٠
(خ)
خليج العقبة ١٣٨
(د)
دان ٦٢ - ٩٨
دجله ٧٩
دمشق ٦٩ - ٧٢ - ١٥٣ - ١٦٠
(ر)
رأس شمرة ٩٥
الرملة ١٥٥ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٦٠
روسيا ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٥ - ١٦٧
١٧٠ - ١٧٣
روما ١١٧ - ١١٩ - ١٢٢ - ١٢٤ - ١٢٧
١٣١ - ١٥٥
رومانيا ١٧٠
(س)
السامرة ١٥ - ١٧ - ٢٧ - ٣٩ - ٦٢ - ٦٧
٦٩ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥
٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩٣ - ٩٧
٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦
١٠٧ - ١٠٩ - ١١٢ - ١١٦ - ١١٩
١٢٢ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٥٤
سبسطيه ١١٩ - ١٢٢ - ١٥٤
سروم ٤٣
الاسكندرية ١٠٨
سهل الحولة ٩٨
سهل مرج بن عامر ١٦٠
سهل فلسطين ٦٩ - ٧١
سوريا ٥٥ - ٦٤ - ٧٤ - ٧٩ - ٨٥
١٠٩ - ١١٦ - ١٥٠ - ١٧٢
سوكه ٧١
سوكه ٧١
سويسرا ١٦٧
سيلون ٥١
سيناء ٤٥ - ٥٥ - ٦٣ - ٦٥
(ش)
شالم ١٢
شرق الأردن ٦٩ - ٧١ - ٧٢ - ٨٩ - ١١٦
شقراء ١٦٢
شكيم (نابلس) ٤٣ - ٦٢ - ٨٤ - ١٠٠
١٠٦ - ١١١ - ١١٢ - ١٢٦ - ١٣١
١٦١
شمش ٧١

(ف)	شيلوه ٨٤
فارس ٩٩	الشرق الأوسط ١٧٣
فرنسا ١٣٩ - ١٥١ - ١٥٦ - ١٥٨ -	(ص)
١٦٧ - ١٧٣	صحراء سيناء ١٦٠
فلسطين ٩ - ١٢ - ١٥ - ١٦ - ١٨ - ٢٥ -	صحراء النقب ٦٣ - ٦٥ - ٩٨
٢٩ - ٣١ - ٣٦ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤٥ -	صفر ١٦٠
٤٧ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٦١ -	صفورية ١٥٤
٦٤ - ٦٥ - ٦٩ - ٧١ - ٧٤ - ٧٩ - ٨٠ -	صور ٢٩ - ٥٤ - ٦٧ - ٦٩ - ٨٠ - ١٠٤ -
٨٢ - ٨٩ - ٩٣ - ٩٨ - ١٠٣ - ١٠٤ -	١٠٥ - ١٥٩
١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١١٣ - ١١٥ -	طيه ١٠٤ - ١٠٥
١١٦ - ١١٧ - ١١٩ - ١٢٢ - ١٢٤ -	صيدا ١٥٤ - ١٥٩
١٢٧ - ١٤٥ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ -	الصين ١٥٨
١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٦ - ١٥٩ -	(ط)
١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٥ - ١٦٦ -	طبريه ١٥٣
١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ -	طرابلس ١٥٩
١٧٢ - ١٧٣	الطور ١٥٤
الفوله ٥٤	طور سيناء ٨٩
فيينا ١٦٧	(ع)
فينوئيل ٦٢ - ٦٥	عجلون ٦٤
فينيقيا ٦٧ - ٦٩ - ٩٧ - ١٠٣ - ١٠٦ -	العراق ١١ - ٣٨ - ٥٢ - ٥٥ - ٩٥ -
١٠٧ - ١٠٨ - ١١٣	١٤٢ - ١٥٧ - ١٧٢
الفيوم ١٠٥	العريش ١٦٠
(ق)	عسقلان ٧٣ - ١٥٣ - ١٥٤
القاهرة ١٥٣	عقرون ٧٢ - ٧٤
قبة السلسلة ١٥٨ - ١٦٠	عكا ٢٩ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٩ - ١٦٠ -
قبة الصخرة ١٢ - ٣٤ - ١٥٥ - ١٥٧ -	١٦١
١٦١ - ١٧٩	عوا ٧٣
القدس ٧ - ٨ - ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣ -	عين جالوت ١٥٨
١٦ - ١٨ - ١٩ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٩ - ٣٠ -	(غ)
	غزة ٢٩ - ٦٥ - ٧٣ - ٧٤ - ١٠٨ - ١٦٠ -

٣١-٣٤-٣٥-٤٠-٤٣-٤٤-٤٥	مجدو ٦٥-٧٤-٩٥
٤٦-٤٧-٥١-٥٢-٥٣-٥٤-٥٧	مخانيم ٦٥
٦١-٦٢-٦٣-٦٤-٦٥-٧٠-٧١	مخاضة اليبوق ٦٢
٧٢-٧٣-٧٤-٧٥-٧٩-٨٠-٨٢	المدينة المنورة ٩-١٨-١٣١
٨٣-٨٤-٨٥-٨٦-٨٨-٨٩-٩٠	مرج دابق ١٦
٩٣-٩٥-٩٧-٩٨-١٠٠-١٠٤	المسجد الأقصى ٧-١٨-٣٠-٣١
١٠٥-١٠٧-١٠٩-١١٠-١١١	٣٤-٣٦-١٤٩-١٥٢-١٥٥
١١٢-١١٣-١١٤-١١٦-١١٧	المسجد الحرام ١٨-٣٠-٣١
١١٩-١٢٠-١٢١-١٢٢-١٢٤	مسجد عمر (المسجد العمري) ١٢-
١٢٦-١٣١-١٣٤-١٣٦-١٣٧	٣٦-١٦١
١٣٩-١٤٠-١٤٢-١٤٥-١٤٩	مسجد قبة الصخرة ٣٤-٣٦-١٤٩-
١٥١-١٥٣-١٥٤-١٥٥-١٥٧	١٥٠-١٥٥
١٥٨-١٥٩-١٦٠-١٦١-١٦٢	مصر ٧-١١-٢٥-٢٩-٣٤-٣٥-
١٧٧-١٧٨-١٧٩	٣٩-٤٤-٤٧-٥٢-٥٤-٥٥-٥٧-
القسطنطينية ١٥١-١٥٢	١-٦٢-٦٣-٦٤-٦٥-٦٩-٧٢-
قلعة أكر ١٦١	٧٣-٧٤-٨٠-٨٥-٩٤-٩٥-١٠٤-
قيسارية ١٥٤	١٠٥-١٠٦-١٠٧-١٠٨-١٠٩-
(ك)	١٢٢-١٣٨-١٤٩-١٥٠-١٥٣-
الكرمل ٦٥-١٠٠	١٥٦-١٥٧-١٥٨-١٥٩-١٦١-
كنعان ٣٩-٩٣-٩٥-١٧٢	١٧١
كوت ٧٣	المصفاة ١٠٠
كنيسة القيامة ١٢	المغرب ١٣٥-١٥٠
(ل)	مقدونيا ١٠٩
لكيش (تل الدوير) ٧٣-٧٤	مكة المكرمة ١١-١٧-٢٦-٣٠-٥٨-
لبنان ٥٦-١٥٩-١٧٢	١٣١-١٥٣-١٧٨-١٧٩
اللذ ١٥٧	معين ٣٨
(م)	مؤاب ٣٩-٧١
مجان ٣٨	مودين ١١٣
المجدل ٩٨	ميديا ٧٩

ثالثاً : فهرس الشعوب والطوائف والقبائل	(ن)
	الناصره ١٥٧
	النمسا ١٦١
(أ)	نهر الأردن ١٦ - ٤٥ - ٥٣ - ١٠٦ - ١٦٠
الأتراك ١٦٠ - ١٦٢	نهر الفرات ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٧
الأدوميون ١٦ - ٦٤ - ٦٩ - ٧١ - ٨٥ - ٨٨	نينوى ٧٣ - ٧٤ - ٧٩
	(هـ)
الآراميون ٣٩ - ٤٤ - ٥١ - ٦٢ - ٦٤ - ٦٧	هضبة بيت المقدس
الإرجون ١٧١ - ١٧٢	(هضبة الحرم الشريف) ١٢ - ١٣ - ٢٨ - ٣٤
الاسرائيليون ١٦ - ٢٦ - ٣٩ - ٥١ - ٥٤ - ٦٣ - ٩٣ - ١٧٣ - ١٧٧	(و)
الأسبان ١٧٣	وادي الأرواح (العفاريت) ٢٨
الآسينيون ١٠٩	وادي الجبانه (لثيروبيون) ٢٨ - ٢٩
الآشودديون ٨٥	وادي الرفائين ٥٣
الآشكينايز ١٧٣	وادي الزباله (الدمن - القمامات) ٢٨
الآشوريون ٧٩ - ٨٣ - ١٠٠ - ١١٢ - ١١١	وادي سعير ٦٧
الإغريق ١١١	وادي السلوان ١٢ - ٢٧ - ٢٨
الألمان ١٦٧	وادي عجلون ٧١
الأمويون ٣٤ - ١٤٩	وادي قدرون ٢٧ - ٢٨
الانجليز ١٦٢	وادي هنم ٢٧ - ٢٨ - ١١٩
الأندلسيون ١٥٠	وادي يهوشافاط ١٢ - ٢٧
(ب)	الولايات المتحدة ١٦٥ - ١٦٦ - ١٧٠
البابليون ٨٩ - ١٠٠ - ١٢٢ - ١٧٤	(ي)
البالمخ ١٦٩ - ١٧١	يفافا ١٢ - ٢٩ - ٣٠ - ١٠٠ - ١١٩
البطله ١٠٣ - ١٠٥ - ١٠٧ - ١٠٨	١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٦٠
١٠٩	يبوس ١٢ - ٢٥ - ٤٣ - ٤٥ - ٤٦ - ٥٣
بنو اسرائيل ٨ - ١٥ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦	٥٤
٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٦١	اليمن ٨

(ش)	١٧٢-٩٥-٩٣-٦٢
شتيرن ١٧١-١٧٢	بنو الحارث ١٥٦
(ص)	بنو زيد ١٥٦
الصدوقيون ١٠٩	بنو مسعد ١٥٦
الصلبييون ١١-١٥١-١٥٢-١٥٣-	بنو مره ١٥٦
١٥٤-١٥٥-١٥٦-١٥٧-١٥٩	البيزنطيون ٩-١٦
الصيدونيون ١١١-١١٢	(ث)
(ط)	ثمود ٣٩-٤٤-٧٣-٨٨
الطولونيون ١٥٠	(ج)
(ع)	الجعفرية (الاثني عشرية) ١٥١
عاد ٤٤	(ح)
العباد ٧٣-٨٨	الحاير و ٢٥-٤٤
العباسيون ١٤٩-١٥٠-١٥١	الحسيديم ١١٠-١١٤
العبريون ٤٤	الحشمونيون ١١٥
العثمانيون ١٦٠-١٦٢	(خ)
العرب ١٨-٣٠-٣٦-٣٨-٣٩-٤٠-	الخزر ١٧٣
٤٣-٤٤-٤٧-٥٣-٦٣-٦٩-٨٠-	الخوارزمية ١٥٧
٨٥-١٠٠-١٣١-١٣٢-١٣٣-	(ر)
١٣٤-١٣٨-١٣٩-١٤٠-١٤١-	الربانيون ١١٠
١٤٢-١٤٤-١٤٥-١٥٣-١٦٢-	الركابيون ٩٣
١٦٩-١٧١-١٧٣	الرومان ٨-١٦-٣١-٣٦-٨٠-١٠٧-
العمونيون ١٦-٤٧-٥١-٦٤-٨٥-	١١٤-١١٥-١١٦-١١٩-١٢٠-
٨٨	١٢٤-١٢٦-١٢٧-١٧٣
(غ)	(س)
الغساسنة ١٥٠	السامريون ٨٦-٨٩-٩٠-١٢٢-
(ف)	١٢٤-١٢٦-١٢٧
الفاطميون ١٥٠-١٥١-١٥٢-١٥٣	الساميون ٤٥-٨٣-٨٤-١٠٤-١٠٥-
الفرس ٩-٨٠-٨٩-١٠٣-١٠٤	١٠٦-١٠٧-١٠٨-١١١-١١٢
الفرنسيون ١٦٠	السلوقيون ١٠٣-١٠٨-١٠٩-١١٠-
الغريزيون ١١٠-١١١	١١٤
	السوريون ١٠٨-١١٣

المناذرة ١٥٠	الفلسطينيون ١٦ - ٣٩ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣
الموآبيون ١٦ - ٤٧ - ٥١ - ٦٤ - ٦٩	١١٥ - ٨٨ - ٨٥ - ٧٣ - ٧٢ - ٧١ - ٦٤
الميديون ٧٩	الفينيقيون ٥٤ - ٦٧
	(ق)
(هـ)	القضاة ١٧٧
الهاجاناه ١٦٩ - ١٧١ - ١٧٢	القناتين ١١١
	(ك)
(و)	الكلدانيون ١٠٣
الوكالة اليهودية ١٦٩ - ١٧٠	الكنعانيون ١٦ - ٢٥ - ٤٧ - ٥١ - ٥٤
	٥٥ - ٩٣ - ٩٥ - ٩٨
	(ل)
(ي)	اللاويون ٤٧
اليوسيون ٧ - ١٦ - ٢٥ - ٢٩ - ٤٣	(م)
٤٦ - ٤٧ - ٥٣ - ٥٤ - ٨٨	مالكيون ١٥١
اليهود ٧ - ٨ - ٩ - ١٢ - ١٣ - ١٥ - ١٦	المديانيون ٥١
١٨ - ١٩ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٩ - ٣١ - ٣٦	المرابطون ١٥٠
٤٠ - ٤٤ - ٤٥ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٧ - ٦١	المرجثة ١٥١
٦٣ - ٦٧ - ٦٩ - ٧٠ - ٧٣ - ٧٥ - ٨٠	المسلمون ٧ - ١٣ - ١٨ - ٣١ - ١٣١
٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٧ - ٨٩ - ٩٠	١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٤٤ - ١٥٢
١٠٣ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨	١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧
١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٥ - ١١٧	١٥٩ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩
١١٩ - ١٢٠ - ١٢٢ - ١٢٤ - ١٢٦	المسيحيون ١٩ - ١٣٢ - ١٥٢ - ١٥٥
١٢٧ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤	١٧٧ - ١٧٨
١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٤٠	المغول ١٥٨
١٤٢ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٥٩ - ١٦١	المقدونيون ١٠٦ - ١٠٧
١٦٢ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨	المكابيون ١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٦
١٦٩ - ١٧٠ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤	١١٧
١٧٧ - ١٧٨	الأشعرية ١٥١
الأوييون ١٥٨	المعتزلة ١٥١
اليونان ٨ - ١٦ - ٢٦ - ١١١ - ١٥١	الماليك ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠

فهرس للصور والخرائط والمخططات

- ١ - خريطة لتضاريس فلسطين ٣٣
- ٢ - صورة للصخرة المقدسة داخل مسجد قبة الصخرة ٣٥
- ٣ - صورة من فوق جبل سكوبوس توضح الأوضاع النسبية لمسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى ٣٧
- ٤ - صورة لمسجد قبة الصخرة من خلال أعمدة قبة الأرواح وإلى اليمين قبة الخليلي وإلى اليسار قبة جبريل الصغيرة ٣٩
- ٥ - خريطة توضح حملة ششلق الأول على فلسطين ٦٨
- ٦ - خريطة تبين أهم مدن فلسطين في القرن الثامن ق. م ٧١
- ٧ - خريطة توضح التغريب الآشوري لمملكة اسرائيل ٧٢٢ ق. م ٧١
- ٨ - السبي البابلي لمملكة يهوذا ٥٨٧ ق. م ومناطق النفي ٨٤
- ٨ - مخطط لمعبد سليمان (طبقاً للوصف الوارد في العهد القديم) ٩٨
- ٩ - مخطط لمدينة السامرة قبل التدمير الآشوري لها وفي العصرين اليوناني والروماني ١٢١
- ١٠ - مخطط لمعبد هيرودس الكبير (طبقاً لوصف يوسفوس) ١٢٤
- ١١ - مخطط لمدينة القدس في بداية العصر الروماني (يوضح ١٢٥
- ١٢ - مخطط لمدينة القدس قبل تدميرها عام ٧٠ م على يد تيتوس ١٢٥
- ١٣ - يوضح أسوار المدينة الثلاث والقلاع والأبراج ١٢٧
- ١٣ - مخطط توضيحي للحرم الشريف يبين الأوضاع النسبية لمسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى ، كما يوضح المآذن والبوابات ومصادر المياه داخل سور الحرم ١٨١



الهيئة العامة للكتاب والوثائق

هذا الكتاب

يتناول في تسعة فصول عدا المقدمة ، قصة القدس وفي المقدمة يتناول أسماء القدس منذ عصر سكانها الأصليين اليوسيين وهم عرب في الألف الثالث قبل الميلاد ، وفي العصر الاسلامي ثم يدرس جغرافيتها بتفصيل مناسب ويعرج بعد ذلك على المقدسات الاسلامية فيها ، ومن خلال دراسته للمقدسات الاسلامية يذكر العهدة العمرية وأهميتها لسكان القدس أو إيلياء عند تحرير المسلمين لها ، كما يتحدث عن المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة . ويتضح هنا أن هناك فرقاً بين المسجد الأقصى وقبة الصخرة يجهله كثير من المسلمين في العصر الحاضر ، فكثيرهم أولئك الذين يعتقدون أن المسجد الأقصى وقبة الصخرة شيء واحد ويرجع ذلك إلى جهل المسلمين بتاريخهم وحضارتهم ، وذلك تقصير إعلامي يجب أن ننتبه إليه وواجب الأكاديميين المسلمين المسلمين أن يقوموا بواجبهم تجاه شعوبهم الاسلامية بالتعاون مع وسائل الاعلام المختلفة ، وهذا الكتاب إنما جاء لسد هذه الثغرة .

مما يجب أن نلاحظه في هذا الكتاب القيم هو أنه اتخذ خطأ واضحاً وهو عروبة القدس ، وهو في سبيل برهنته على هذه الحقيقة في وجه الصهيونية العارمة يعتمد على البراهين الواضحات ، فيبدأ في الفصل الأول بالحديث عن تاريخ القدس قبل الوجود اليهودي الطاريء ، ثم ينتقل إلى الفصل الثاني متحدثاً عن مرحلة التعايش السلمي بين الفلسطينيين الأصليين ودواود عليه السلام واستيلائه على القدس وبناء الهيكل حتى موت سليمان عليه السلام والذي كان موته بداية لانقسام بني اسرائيل .

(من تقديم الكتاب)

د. عبد الرحمن بن محمد الطيب الانصاري